



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى - كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الهوية في الرواية النسوية الخليجية (٢٠١٠-٢٠١٩)

رسالة تقدّمت بها الطالبة

منال سعد دواس

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة المثنى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فوزية لعيوس غازي الجابري

٢٠٢٠م

١٤٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

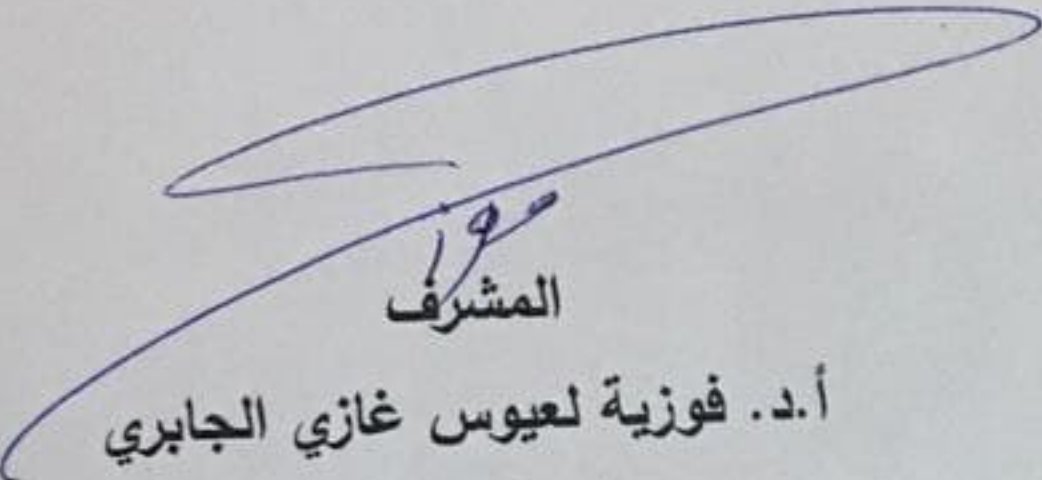
صدق الله العظيم

الحجرات / الآية ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرار المشرف

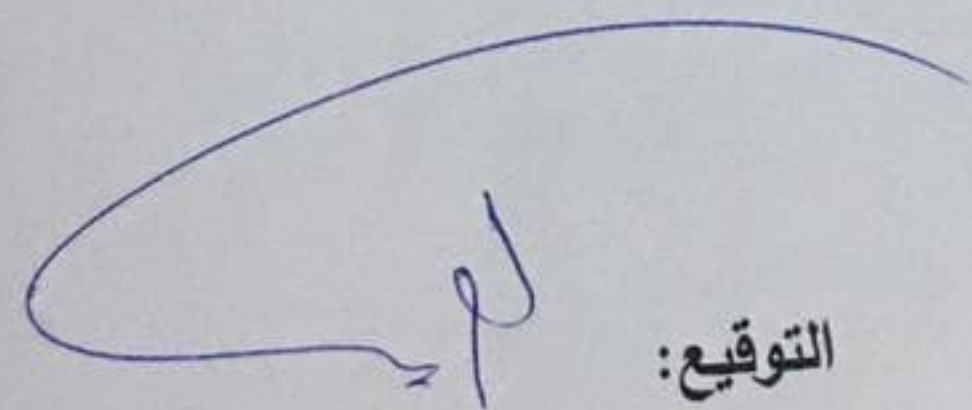
اشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة (الهوية في الرواية النسوية الخليجية (٢٠١٠ - ٢٠١٩))
لطالبة الماجستير (منال سعد دواس)، قد جرت تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية -
جامعة المتنى، وأنها أصبحت جديرة بالمناقشة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها.


المشرف

أ.د. فوزية لعيوس غازي الجابري

٢٠٢٠ / ٨ / ١٤

بناءً على التوصيات، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.


التوقيع:

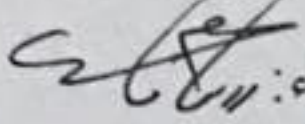
أ.م.د. أحمد حسين عبد السادة

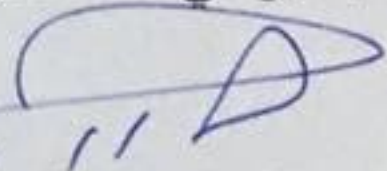
رئيس قسم اللغة العربية

٢٠٢٠ / ٨ / ١٤

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن لجنة المناقشة وأعضاءها أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة (الهوية في الرواية النسوية الخليجية ٢٠١٠ - ٢٠١٩) المقدمة من الطالبة (منال سعد دواس) وقد ناقشناها في محتوياتها، وفيما لها علاقة بها، وهي جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ أدب وبتقدير ()

الإمضاء: 

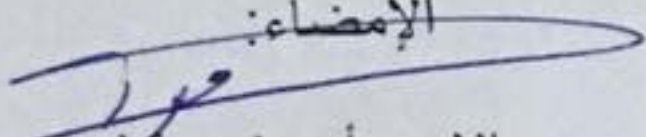
الإمضاء: 

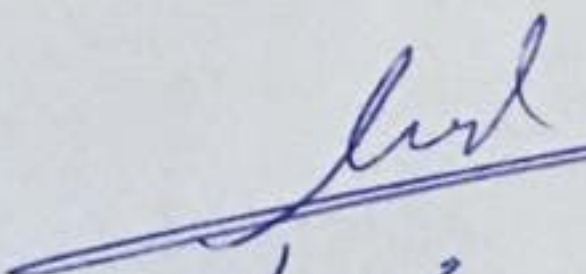
الاسم: د. محمد ترائي الزبيدي

رئيس اللجنة

التاريخ / /

التاريخ / /

الإمضاء: 

الإمضاء: 

الاسم: أ.د. فوزية لعيوس غازي

الاسم: أ.م.د. محمد عبد الحليم

عضواً ومشرفاً

عضواً

التاريخ / /

التاريخ / /

مصادقة مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى

الإمضاء:

أ.م.د. باسم خيري خضير

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى

التاريخ / /

الإهداء

إلى مَنْ غُفَّتْ عَيْنَاهُ فِي لَهْلِ الْفِرَاتِ، إِلَى رَوْحِ أَخِي الْحَبِيبِ خَالِدٍ
إِلَى مَنْ عَلَّمَنِي الْعَطَاءَ مِنْ دُونَ انْتِظَارٍ وَأَحْمَلُ اسْمَهُ بِكُلِّ افْتِخَارٍ
وَالِدِي الْعَزِيزِ

إِلَى مَنْ زَرَعَتْ الطَّمُوحَ وَالْأَمَلَ فِي نَفْسِي وَرَافَقَتْنِي بِدَعَائِهَا
أُمِّي الْحَنُونِ

إِلَى شَمْعِ حَيَاتِي الْمَضِيَّةِ أَخَوَتِي وَأَخَوَاتِي
إِلَى رَفِيقِ دَرَسِي زَوْجِي
إِلَى مَنْ أَوْسَقَ فِي حَيَاتِي أَزْهَارًا مَلُونَةً وَلَدِي عَبْدِ الْكَرِيمِ
إِلَيْكُمْ جِيعًا مَثْمُةً جَهْدِي هَذَا

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى وأحمده، فهو المنعم والمتفضل قبل كل شيء، اللهم لك الحمد ولك الشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لما تفضلت عليّ بانجاز هذه الرسالة.

أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لأستاذتي ومشرفتي الأستاذة الدكتورة (فوزية لعيوس غازي الجابري) على حسن تعاملها، فقد ساعدتني بخبرتها الدقيقة، وقدمت لي كثيراً من العون والمساعدة مما كان لها الأثر الكبير لإكمال هذه الدراسة فجزاها الله خيراً ووفقها.

لا يسعني إلا أن أقدم شكري وتقديري عرفاناً بالجميل، إلى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية وأساتذتها الأجلاء، ورئيس قسم اللغة العربية، وأعضاء الهيئة التدريسية جميعاً في قسم اللغة العربية في جامعة المثنى، والأساتذة جميعاً الذين كان لهم فضل تدريسي وتوجيهي طيلة مدة دراستي في الكلية، فلهم مني جميعاً الشكر والتقدير.

وختاماً كل الشكر والتقدير لكل من مدّ يد العون والمشورة الصادقة، جزاهم الله عني خير الجزاء.

ومن الله التوفيق

الباحثة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ _ د	المقدمة
٢٥ _ ١	التمهيد: إضاءة في مفهوم الهوية والرواية النسوية
٩ - ٢	مفهوم الهوية
٢١ - ٩	مفهوم النسوية
٢٥ - ٢١	نشأة الرواية النسوية الخليجية
٩٢ - ٢٦	الفصل الأول: أنواع الهوية
٢٧	مدخل
٤٧ - ٢٨	المبحث الأول : الهوية الهامشية
٦٤ - ٤٨	المبحث الثاني: الهوية المنسلخة
٩٢ - ٦٥	المبحث الثالث: اللاهوية
١٤١ - ٩٣	الفصل الثاني : أثر السلطة في تشكيل الهوية
٩٥ - ٩٤	مدخل
١١١ - ٩٦	المبحث الأول : السلطة السياسية
١٢٦ - ١١٢	المبحث الثاني: السلطة الدينية
١٤١ - ١٢٧	المبحث الثالث : السلطة الاجتماعية
٢٠٢ - ١٤٢	الفصل الثالث: هوية الجسد الأنثوي
١٤٣	مدخل
١٦١ - ١٤٤	المبحث الأول : هوية الجسد الأنثوي (المقدس والمدنس)
١٨٠ - ١٦٢	المبحث الثاني : العنف الجسدي والتصدع الهوياتي
٢٠٢ - ١٨١	المبحث الثالث: مقومات هوية الجسد الأنثوي
٢٠٦ - ٢٠٣	الخاتمة
٢٢٣ - ٢٠٧	قائمة المصادر والمراجع
A-B	الملخص باللغة الانكليزية

المُقَدِّمَةُ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه أجمعين .

وبعد...

تتصل هوية المجتمعات بالظروف المحيطة بها، ففي ظل زمن مليء بالتطورات الثقافية والتحديات السياسية والدينية والاجتماعية التي اكتسحت العالم كله، شهدت الهوية صراعات متعددة، على المستوى الذاتي والجماعي.

ولكل مجتمع هويته المتجذرة فيه، التي تميزه عن غيره من المجتمعات، ولطالما كانت الرواية من أقدر الفنون الأدبية تعبيراً عن خصوصية هوية المجتمع الذي أنتجها بما تحمله من رؤية تكشف عوالم المجتمعات ومكنونها الهوياتي، فهي الجنس السردي الأكثر تعالقاً واتصالاً بالواقع؛ لذلك فهي مخزون فكري خصب في تمثيل الهوية . من هنا جاء اختيار دراسة الهوية في الرواية النسوية الخليجية لنطلع على بيئة عربية من منظور مجموعة دول يجمعها نسق اجتماعي وثقافي وسياسي واقتصادي شبه متطابق .

واقترنت الدراسة للبحث عن الهوية تحديداً على الروايات النسوية الخليجية التي تكتبها امرأة؛ وذلك لأنها سجلت حضوراً متميزاً في الميدان الروائي في الساحة العربية، فقد برزت أسماء كثيرة قدمت أعمالاً إبداعية متميزة ، فالروايات النسوية عنصر فاعل ورافد مهم في الوجود الإبداعي؛ لذلك فهي تستحق الدراسة، ومن جانب آخر للتأمل في القضايا والموضوعات التي تتناولها الرواية النسوية الخليجية والتعرف على هوية المجتمع الخليجي من منظور نسوي .

مايميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات هو محاولتها الكشف عن الأبعاد الذاتية والغيرية التي لها أثر في تشكل الهوية.

وقد أفادت الدراسة من مصادر كثيرة ، ودراسات مهمة حول الهوية ، إلا أن أبرزها كان دراسة الباحثة غصون عزيز ناصر الموسومة بـ ((الهوية في روايات علي بدر بعد عام ٢٠٠٣ ، دراسة في ضوء النقد الثقافي)) أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، عام ٢٠١٥ ، بإشراف أ. د. ضياء راضي محمد الثامري ، وكذلك كتاب إليكسمكشلي الهوية وغيرها من المصادر العربية والأجنبية المهمة القديمة والحديثة .

ولا شك إن هذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة ، نظراً لخصوصية المجتمع الخليجي الذي تغذية أنساق اجتماعية ودينية مضمرة ، تساهم في تحديد نظرته للمرأة ، على خلاف المجتمعات العربية الأخرى التي تتأرجح بين الانغلاق والانفتاح على وفق البيئة ، والمعطيات الفكرية والثقافية التي تؤمن بها هذه المجتمعات .

ولقد أفادت الدراسة من مناهج كثيرة ، إلا أن المنهج الوصفي ، الاستقرائي التحليلي كان أكثر هذه المناهج حضوراً في تفكيك البنى السردية للرواية، فضلاً عن حاجة الباحثة إلى المنهج النفسي الاجتماعي نظراً لأن الهوية كيان نفسي، وبناء اجتماعي .

تناولت الدراسة (الهوية في الرواية النسوية الخليجية ٢٠١٠ - ٢٠١٩) وهدفت إلى إعطاء صورة واضحة وجليّة للهوية في الرواية النسوية الخليجية من خلال التوغل في المتن السردية.

وقد استدعت طبيعة الرسالة أن تكون بتمهيد وثلاثة فصول ، قدمنا في التمهيد إضاءة حول مفهومي الهوية والرواية النسوية لغوياً واصطلاحاً ، ثم عرضنا نبذة مختصرة عن نشأة الرواية النسوية الخليجية.

جاء الفصل الأول بعنوان (أنواع الهوية) فقد عمدت الباحثة في استجلاء أنواع الهوية في الروايات، فظهرت في ثلاثة أنواع ، ولتوضيح هذه الأنواع قسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث كل مبحث يعالج نوعاً من أنواع الهوية، فكان المبحث الأول بعنوان (الهوية الهامشية)، عرضنا فيه تمثالات الهوية الهامشية، وجاء المبحث الثاني بعنوان (الهوية المنسلخة)، ركزنا فيه على أنماط

الهوية المنسلخة، بينما حمل المبحث الثالث عنوان (اللاهوية)، قرأنا فيه أبرز نماذج اللاهوية في المجتمع الخليجي.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان (أثر السلطة في تشكيل الهوية) ، ولقد أوضحنا فيه أثر السلطة على الهوية وتشظيها واستلابها، ورصد المرجعيات الثقافية التي تغذيها، وتقف وراءها، وقد قسمناه على ثلاثة مباحث، الأول بعنوان (السلطة السياسية) وأثرها على تأزم الهوية، وتناولنا السلطة السياسية داخل الخليج العربي (السلطة السياسية الداخلية)، والسلطة السياسية خارج الخليج العربي (السلطة السياسية الخارجية) ، أما المبحث الثاني فكان بعنوان (السلطة الدينية)، وتناولنا فيه التعصب الديني، والارهاب، والموقف من الأديان ، أما المبحث الثالث فكان بعنوان (السلطة الاجتماعية) ، وتناولنا فيه السلطة الاجتماعية في المجتمع الخليجي ، وتفكك السلطة الاجتماعية في الغربية، وبيننا التقاطعات الثقافية لهذه السلطة التي عكست بظلالها على الهوية .

أما الفصل الثالث عالجنا فيه هوية الجسد الأنثوي، وضم ثلاثة مباحث ، المبحث الأول جاء بعنوان (هوية الجسد الأنثوي المقدس والمدنس) استنطقنا فيها الأنساق المضمر والمخفية والمسكوت عنها في المجتمعات الخليجية، وجاء المبحث الثاني بعنوان (العنف الجسدي والتصدع الهوياتي) وعرضنا فيه التصدعات الهوياتية والنفسية التي تصيب الفرد بسبب العنف، والمبحث الثالث حمل عنوان (مقومات هوية الجسد الأنثوي) تحدثنا فيه عن أبرز ملامح المظهر الخارجي للمرأة الخليجية.

فضلاً عن خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الرسالة ، متبعةً ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث، فملخصاً باللغة الانكليزية.

وإذا ما ، كان، هناك من صعوبات، واجهتها الرسالة، فهي تكمن في إنّ البحث عن هوية المجتمعات من الأمور الصعبة والشائكة الأمر الذي تطلب جهداً وأناة في قراءة الروايات، فضلاً عن قراءة الروايات الكثيرة ، أخذت وقتاً مكثفاً.

وفي الختام أقدم بجزيل شكري وامتناني لأستاذتي الفاضلة الدكتورة (فوزية لعيوس الجابري) التي سهلت لي صعوبات الرسالة وعقباتها، فلها الشكر والعرفان والامتنان وفائق

التقدير والاعتراف بكل جميل صادر عن شخصها الكريم ، فقد أغدقتني بحنانها ورعايتها وفضل خُلقها، وكان لها فضل الإشراف على هذه الرسالة فكانت بحق مثلاً رائعاً في الإشراف والتوجيه الأمين سواء بملاحظاتها العلمية السديدة ومتابعتها لمسيرة البحث بدأب متواصل دونما كلل، فكانت منهلأ زاهراً بالعلم والإرشادات، فجزاها الله تعالى عني خير ما يجزي به عباده الصالحين، وجزى بالخير كل من مدّ لي يد العون وسعى مخلصاً في إبداء النصائح والتوجيهات التي كان لها الأثر البالغ في إنضاج وإثراء هذا العمل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

إضاءة في مفهوم الهوية والرواية النسوية

- مفهوم الهوية
- مفهوم الرواية النسوية
- نشأة الرواية النسوية الخليجية

التمهيد

إضاءة في مفهوم الهوية والرواية النسوية

قبل الشروع في فصول الرسالة رأيت أن أوضح حدود دراستي من خلال تحديد معطيات العنوان، إذ يستند التمهيد إلى توضيح ما شاع عن مفهومين أساسيين في مضمون الدراسة هما: مفهوم الهوية ومفهوم الرواية النسوية.

أولاً: مفهوم الهوية

مفهوم الهوية لغة:

يردُّ لفظ الهوية في اللغة على وجهين: أحدهما - بفتح الهاء - (هَوِيَّة)، والآخر - بضمها - (هُوِيَّة)، وكلاهما يختلف معناه عن الآخر، فلفظ (هَوِيَّة) بالفتح يرتبط بالحُبِّ والعشق ((هوي فلانٌ فلاناً هوى أحبه، فهو هَوٍ وهي هَوِيَّة))^(١)، ولفظ (هُوِيَّة) بالضم هو ما يخص دراستنا ونريد توضيح معناه.

وتعرف الهُوِيَّة في اللغة على أنها لفظ مصغر من هُوَّة ((والهُوَّة : البئر، وقيل : الهُوَّة الحفرة البعيدة القعر، وهي المهواة. وقيل : الرواية عرش هُوِيَّة، أراد أهْوِيَّة، فلما سقطت الهمزة رُدت الضمة إلى الهاء))^(٢). وتحدّد الاشتقاق اللغوي من الضمير الغائب هو ((الهَوُ هَو : هو لفظ مركب جعل اسماً فعرف باللام والمراد به الاتحاد في الذات))^(٣).

ويأتي مع لفظ الهُوِيَّة في اللغة ألفاظ متعددة تشترك مع الهوية بدلالة المعنى منها التشخُّص، والوجود، والماهية، والحقيقة، وتدلُّ بضم الهاء وياء النسب على ((التشخُّص، وقد تطلق على الوجود الخارجي وقد تطلق على الماهية مع التشخُّص، وهي الحقيقة الجزئية، وقيل:

(١) المعجم الوسيط-مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م، ٢٠٠١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٠٠هـ، ١٥ / ٣٧٤.

(٣) الكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم: رفيق العجم، تح : علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ، ط١، ١٩٩٦م ، ٢ / ١٧٤٥.

إنَّ الهوية مرتبة الذات البحتة ((^(١)).

وعلى الرغم من اشتراك هذه الألفاظ مع معنى الهوية إلا أنَّ هناك فروقاً بينهما، بعدَّ حقيقة الشيء وتحقيق وجوده الخارجي يطلق عليه حقيقة ذاتاً، بعدَّ تشخيص الشيء عن غيره يطلق عليه هوية، وأعم من الهوية وأكثر اتساعاً الماهية، على وفق كليته يكون ماهية أي تشخيص ماهية الإنسان بشكل عام وتشخيص جزئيه يكون هوية أي تشخيص فرد أو أفراد معينين، وقد أشار إليها الكفوي بقوله: ((يسمى ما به الشيء هو هو ماهية إذا كان كلياً كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئياً كحقيقة زيد، وحقيقة إذا لم يعتبر كليته وجزئيته، فالهويتان متلازمتان صدقاً والماهية بالاعتبار الثاني أخص من الأولى والحقيقة بالعكس))^(٢).

وبذلك تتضح دلالة الهوية في المفهوم اللغوي على أنَّها ((حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضاً وحدة الذات))^(٣).

وجاء مفهوم الهوية بمعنى البطاقة الشخصية، وبذلك يقترب مفهوم الهوية في رؤيته الفلسفية من معناه اللغوي إذ يُشير إلى مجمل السمات التي تميز الفرد عن غيرهم متمثلة بتحديد اسم الشخص وتاريخ ميلاده وجنسيته وانتمائه، فهي ((حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية))^(٤). يتضح أنَّ المفهوم اللغوي و الفلسفي يتفقان على أنَّ الهوية هي ما يميز الشيء عن غيره .

مفهوم الهوية اصطلاحاً :

بعد أن وضعنا مفهوم الهوية في اللغة والفلسفة، وما بينهما من تقارب دلالي، نحاول توضيح مفهومها في الاصطلاح، ومدى تقارب معناها اللغوي من الاصطلاحي أو مفارقتها له ،

(١) الكشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ٢ / ١٧٤٥-١٧٤٦.

(٢) الكليات-معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، إعداد عدنان درويش ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، ٩٦١ .

(٣) المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ٢٠٨ .

(٤) المعجم الوسيط، ٩٩٨ .

حيث يرتبط معنى الهوية اصطلاحاً بجوهر الشيء وتميزه، فإنّها ((كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره))^(١)، فتمثل خاصية أساس لتشخيص كينونة الشيء ووجوده من حيث أنّه متوحد مع ذاته^(٢)، فالهوية تثبت ((أن الموجود هو ذاته))^(٣).

وتُعرف هوية الأشخاص من خلال انعكاس سيرورة ذاتهم ودواخلهم على سلوكياتهم وتصرفاتهم من دون وعي، وبذلك تكون ((معرفة الهوية وإدراكها عن طريق انعكاسها على الشخص صاحبها، عن طريق انعكاس صورة ذاتية لا شعورية له))^(٤). ومن المؤكد أن لكل شخص سلوكه وطبعه، فمع اختلاف الأطباع تختلف الهويات، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد هوية الأشخاص من خلال الطبع، فهو ((إشارة مميزة يمكن بفضلها التعرف على شخص ما، والتثبت من هويته على أنه الشخص عينه))^(٥).

والهوية هي وجود وماهية مما يعني أن الماهية ليست معطى نهائياً بل هي شيء يتشكل^(٦)، وبما أن الظروف المحيطة بالإنسان تتغير، لذلك فهوية الفرد لا تبقى على ما هي عليه طيلة حياته، فهي عرضة للتغيير، نتيجة التحولات الزمانية والمكانية والثقافية للفرد ((فالهوية

(١) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمار، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٩٩٩م، ٦ .

(٢) الفلسفة الهوية والذات، مارتن هايدجر، تر: محمد مزبان، تقديم : محمد سبيلا، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٥م، ٣١ .

(٣) معجم مصطلحات عصر العولمة- مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، كتب عربية، ٢٠٠٣م، ٤٩٧ .

(٤) الذاكرة الحضارية- الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، يان أسمن ، تر: عبد الحليم عبد الغنى رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ٢٤١ .

(٥) الذات عينها كآخر، بول ريكور، تر: جورج زينات، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، ٢٦٢ .

(٦) ينظر: مسألة الهوية-العروبة والإسلام والغرب، محمد عايد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ١٠ .

ليست بناء متكاملًا وجاهزًا، إنما هي حدث دنيوي خاضع لتحولات التاريخ والثقافة^(١)، وبما أن الهوية شيء قابل للتغيير، فالإنسان قادر على أن يعيد تشكيل هويته بصورة تناسبه وتميزه عن الآخرين؛ لأنَّ ((الهوية الإنسانية إبداع مستمر، يخلق الإنسان هويته فيما يخلق عمله وفكره))^(٢).

وقد حدّد بول ريكور الأبعاد التي تؤثر على الهوية بقوله: ((إن الهوية جملة العلاقات والروابط العقلية اجتماعية - اقتصادية - ثقافية نسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان . قاصدة أبعاد ثلاث هي: علاقة الذات بذاتها،...، وعلاقة الذات بالعالم الطبيعي والاجتماعي، وعلاقة الأنا بالآخر))^(٣) .

فجوهر الهوية لا يستقي من الذات فقط؛ بل ينطلق من العلاقة القائمة بين الذات والآخر، سواء كان ذلك على مستوى فردي شخصي أو على مستوى جماعي اجتماعي^(٤)، فتعيينها يتم بمعرفة العلاقة المتبادلة بين الأنا والآخر، فلا يمكن النظر لهوية الفرد بمعزل عن الآخر؛ لأنه يمثل عنصراً مكملاً لهوية الذات فهي تتفاعل معه، لذا لا يمكن أن ندرك حقيقة الفرد وماهيته من غير إدراك علاقته مع الآخر، فوجود الفرد وبقاؤه مرهون بعلاقته مع الآخرين، فالتعامل والتفاعل معهم، جزء لا يتجزأ من بناء هوية الأفراد؛ لأنَّ ((الفرد بقدر ما هو كائن ذاتي يتمتع بقدرات شخصية؛ فأثّه في الوقت نفسه كائن موضوعي؛ لأثّه عضو وعنصر في جماعة معينة تساعد على تشكيل هويته في الوقت نفسه))^(٥)، ولا شك إنّ بين هوية الفرد والآخر علاقة جدلية، فلا يمكن معرفة هوية الفرد إلّا من خلال تحديد سمات كل منهما، والتمايز بينهما؛ لأنَّ ((الهوية بقدر ما تحيل إلى التاريخ الخاص لكل فرد أو لكل

(١) السرد وتشكيل الهوية - قراءة في رواية البحث عن العظام للظاهر جاووت، هنية جوادي، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، ع ١٣، ٢٠١٧م، ٨٨ .

(٢) موسيقى الحوت الأزرق - الهوية، الكتابة، العنف، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ٢٧٨ .

(٣) بول ريكور الهوية والسرد، حاتم الورقلي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ٣١٠ .

(٤) ينظر: الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقى، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ١٩٦ .

(٥) الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع، إشراف وتقديم: الحاج دواق، سلسلة ملفات بحثية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الجزائر، ٢٠١٦م، ٨٠ .

جماعة، فإنها لا تتبنى إلا بالعلاقة مع الآخر ^(١)، وتشارك الأنا مع الآخر بأمور، وتختلف عنه بأخرى، وهذا الاختلاف يمنحها التميز ويحقق لها الهوية، فتحددها يتعلق بقطبين مركبين من صورتين تحقق التمايز للفرد عن الآخرين هما: الصورة التي تشترك مع الفرد في هويته، والصورة التي تخالفه في هويته ^(٢)، حيث لا تستمد الهوية ملامحها من المشابه لها فقط بل من المختلف عنها؛ لأنه ببساطة ((لا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن التنوع والتميز والاختلاف المتمثلين بالآخر ^(٣))). وتتفاعل هوية الأفراد مع الجماعة التي تنتمي إليها عللًا رغم من أن ((الهوية تنسب إلى الأفراد إلا أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينسب لها الأفراد ^(٤)، فالهوية في حد ذاتها لا يمكن أن تتكون من غير المجموعة؛ لأنها ((نتاج عملية تشكيل تقوم به جماعات تجمعها ضروب متعددة من القربات الحقيقية أو المتخيلة ^(٥)،

وقد يشارك في تكوينها أمور كثيرة تصقل معالمها منها ثقافة العائلة التي نشأ فيها الفرد، وثقافة الفئات التي يتواصل معها، وثقافة المجتمع المحيط به ((والهويات تتشكل عبر الثقافات الرئيسة والثقافات الفرعية التي ينتمي لها الأفراد أو التي يشاركون فيها ^(٦)، فتكوين الهوية يتم داخل الأطر الثقافية للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد، فهي توجه مسارها، وتبلور تحديد صورتها، وبذلك تكون هي ((مجموعة السمات الثقافية التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين

(١) التأويل والحقيقة - قراءات تأويلية في الثقافة العربية، علي حرب، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م، ٢٢٣.

(٢) ينظر: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة من الباحثين، تحرير رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ٢٩٧.

(٣) سوسيولوجيا الهوية - جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٧م، ٢٥٩.

(٤) سوسيولوجيا الثقافة والهوية، هارلمبسون هولبورن، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سورية، ط١، ٢٠١٠م، ١٣.

(٥) الهوية والسرد - دراسات في النظرية والنقد الثقافي، نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ٢٠١٦م، ١٣٢.

(٦) سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ١٤.

ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم والجماعات الأخرى ((^(١) .

وعند الاطلاع على تاريخ المجتمعات البشرية وثقافتها، ندرك أن هويتها ليست واحدة، لذلك تختلف الهويات من مجتمع لآخر، فالهوية العربية لها سماتها الثقافية، والوجودية، وبذلك تختلف عن الهوية الأوروبية، على وفق انتماء الفرد، وتفاعله، وارتباطه بالمجموعة الحاضنة لهويته، وفكره، وثقافته، فالهوية هي ((الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها والتي عن طريقها يتعرف على الآخرين بوصفه منتبياً إلى تلك الجماعة))^(٢). وتتجذر الهوية من ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه، وتمثل ((الخصائص النوعية التي تحدد ثقافة عن غيرها، وتجعلها تتمايز وتختلف بالقياس إلى بقية الثقافات))^(٣)، فكل مجتمع مجموعة من السمات والخصائص والقيم والتقاليد والعادات الراسخة التي تميزه عن غيره من المجتمعات، وبذلك تساهم في ((معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد وهي سمات وخصائص يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب، وتربط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة، والمنتج الفني والثقافي، لهذه المجموعة أو لهذا المجتمع))^(٤) .

كما إنها احتواء لمجموعة من المقومات التي تحقق لها التميز عن الآخرين، وبذلك هذا التميز على ((خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات، ومن قيم ومقومات))^(٥)، وبما أن الهوية نابعة من نسيج المجتمع الذي ولدت فيه، فهي نتاج

(١) الهوية والمواطنة البدائل المستلبة والحادثة المتعثرة، عبد الحسين شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٧م، ٢٠ .

(٢) تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، رشاد عبد الله الشامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ٢٠٤ .

(٣) الهوية الثقافية والنقد الأدبي، جابر عصفور، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠١٠م، ٨١ .

(٤) الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية، عبد الحكيم أحمين، دار الأمان، الرباط - المغرب، ٢٠١٧م، ٦٣ .

(٥) الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسيسكو - الرباط، المملكة المغربية، ط٢، ٢٠١٥م، ١٩ .

أبعاد وتصورات اجتماعية وتاريخية وثقافية، ويندرج تحت هذا الأبعاد اللغة والأعراف والقيم التي يشترك بها أفراد المجتمع الواحد، فالهوية هي ((مسألة وعي وإدراك يتم تحديدها وتشكيلها بطريقة مميزة من خلال لغة وعالم وتصورات وقيم وقواعد وأعراف حضارة معينة وفترة تاريخية معينة))^(١). وهذه المؤهلات المادية والمعنوية تمنح المجتمع نسقاً هوياتياً خاصاً به، يتميزه عما سواه، وتعدُّ الهوية ((منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية، والاجتماعية، التي تتطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تتطوي على خاصة الإحساس بالهوية والشعور بها))^(٢).

وقد أكد جويل كاندو في كتابه (الذاكرة والهوية) اقتران الهوية بالذاكرة، إذ يحيل بناء الهوية إلى العلاقة القائمة بين الفرد وذاكرته، وعليه فإنّ الذكريات والعودة إلى الماضي تعد قاعدة أساسية تستند عليها الهوية في تأسيسها و تكوينها ((لولا الذاكرة لكان الفرد شاردًا، عائشاً في الآن فقط، فاقداً قدراته المفاهيمية والمعرفية وتلاشى هويته، من دون ذكرى نشوئه، فالذكرى هي الشرط الضروري لوعيه ولمعرفة ذاته))^(٣)، إذ تمد الذاكرة الفرد بممارسات ذات اتصال بإشارات مرجعية تساهم في بناء الهوية، وتحفز في تكوينها وتثبت وجودها ((الذاكرة هي التي تولد الهوية، بمعنى أنها تشارك في بنائها))^(٤).

وقد أضاف بول ريكور السرد إلى مدركات الهوية، فالحكايات السردية تساهم في تشكيل الهوية الذاتية من خلال نسج الأحداث التاريخية على نحو لا ينفصم عن واقع تاريخها الفعلي ((يتشكل الفرد والجماعة معاً في هويتهما من خلال الاستغراق في السرد والحكايات التي تصير بالنسبة لهما تاريخهما الفعلي ... إذ تتعرف الذوات على ذاتها في القصص التي

(١) الذاكرة الحضارية، ٢٤٤.

(٢) الهوية، اليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط١، ١٩٩٣م، ١٢٩.

(٣) الذاكرة والهوية، جويل كاندو، تر: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، ١، ٢٠٠٩م، ٧٠.

(٤) م. ن، ١٥.

ترويتها عنها))^(١)، وإذا بول ريكور أعطى للهوية مدلولاً متعلقاً بالسرد، فإن نادر كاظم هو الآخر وضح ارتباط السرد بالهوية، وأكد على مبدأ الهوية السردية، فالسرد مؤلف من عناصر متنوعة تنسق ضمن حبكة متماسكة يعرض ضمنها أحداث مرتبطة بالأنساق التاريخية والثقافية التي أنتجتها)) فالهوية سردية، لأن السرد يجمع عنصر الهوية المتنافرة والمتباينة في وحدة منسجمة وذات حبكة مترابطة أيضاً . وهي سردية لأن كل هذه العناصر المؤلفة للهوية اجتمعت هكذا لا بحكم الضرورة - لا المنطقية ولا الطبيعية - ، وإنما بحكم المصادفة والاتفاق الضمني بين الجماعات . فهذه عناصر كانت مختلفة وربما متعارضة أو غير موجودة أساساً وإنما جرى اختلافها بحكم حاجة الناس إلى تخيل أنفسهم كأمة لها حكايتها وسياقها التاريخي والثقافي الخاص))^(٢)، وتتجلى بنية الهوية مع السرد بناءً على العلاقة المتبادلة بين بناء هوية الفرد وأحداث السرد ، لأن السرديات تضم مجموعة من الأحداث واقعية تكون أو خيالية ترتبط بأنساق زمانية ومكانية مختلفة تساهم في استكشاف هوية الفرد وواقع المجتمع، ومن هذا المنظور تعدُّ ((السرديات نماذج للعالم ونماذج للذات))^(٣) .

يتبين لنا أنّ مفهوم الهوية، من المفاهيم الشائكة، والمعقدة، فعلى الرغم من أنّ تحديد مفهومها ارتبط بتأويلات وتفسيرات كثيرة، لكنه يقترب من المعنى اللغوي والفلسفي في مسألة تميز الشيء عن غيره.

ثانياً : مفهوم النسوية

مفهوم النسوية لغة :

(١) الزمن والسرد- الزمان المروي ، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، مراجعة:جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٦م، ٣/٣٧٢-٣٧٣ .

(٢) الهوية والسرد، ١٣١ .

(٣) السرد والهوية دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تحرير : جينز بروكمييرودونال كريبو ، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط١، ٢٠١٥م، ٩٤ .

لكي تتضح دلالة هذا المفهوم بجلاء لا بد لنا أن نعود إلى مادته اللغوية، فهي الجذور الأولى التي تتأصل منها دلالة اللفظ، وعند النظر إلى معاجم اللغة نجد أنها جميعها اتفقت على معنى واحد للمدلول اللغوي للفظ نسوة، فمعناه يشير إلى جمع امرأة ((النسوة : النساء، والنسوان النسوان: جمع المرأة من غير لفظه))^(١).

واشترك مع لفظ نسوة في المعاجم مرادفات أخرى منها لفظ نساء، فكل من هذه المعاني تدلّ على الجمع وليس لها مفرد من لفظها، والفرق بينها في العدد فنساء جمع نسوة وهو جمع كثرة ونسوة جمع للقلة ((النساء جمع نسوة إذا كثرن، والنساء جمع امرأة وليس لها واحد من لفظها))^(٢).

ويميز ابن سيده بين لفظي نساء ونسوة في الجمع، فنساء جمع نسوة، ونسوة جمع امرأة ((وتقول في الإضافة إلى نساءٍ نسويٍّ لأن نساءً جمع مكسرٍ لنسوة، ونسوة جمع غير مكسرٍ لامرأة وإنما هي اسم للجمع))^(٣).

ولقد دلّ سيبويه بقوله نسوي عند إضافة ياء النسب إلى النساء إلى جنس المنسوب وهو جنس اسم الجمع ((وتقول في الإضافة إلى نساء: نسويٍّ، أنه جمع نسوة وليس نسوة بجمع كسر له واحد))^(٤).

ويشير لفظ نسوة في القرآن الكريم إلى جمع من النساء كما في قوله تعالى في قصة النبي يوسف فالتسوة اللاتي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عندما شاهدتهن جميعهنّ نسوة لا رجل بينهما: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾^(٥)، فلفظ "نساء" جاء مضاد للفظ "رجال" في القرآن الكريم فكل منهما

(١) ينظر: لسان العرب، ٣٢١/١٥، المعجم الوسيط، ٩٢٠. المخصص، ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٣/ ١٥٤.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للقدم العلمي، الكويت، ط١، ٢٠٠١م، ٤٠/ ٦٩.

(٣) المخصص، ١٣/ ٢٤٧.

(٤) الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ٣/ ٣٧٩.

(٥) يوسف، ٥٠.

له جنسه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(١).

ويتضح مما تقدم أن مفهوم النسوية لا يدرج الرجل ضمن حدود ماهيته وإلا لما كان للفظ النسوي/ النسائي لفظ مضاد رجالي / ذكوري، وهذا التضاد يؤكد الفرق بين النسوي والرجالي على مستوى بنية اللغة، وهذه الخصيصة هي المسوغ لفهم معنى النسوية .

مفهوم النسوية اصطلاحاً :

تنوعت الرؤى الذهنية حول مفهوم النسوية، فكان تعريفه مثيراً للجدل، إذ رافق تصوره طابعاً غير محسوم في الفكر النقدي والأدبي، بسبب اختلاف وجهات النظر في تحديد ماهيته ودلالته لدى النقاد والدارسين .

وإن الآراء المختلفة في تحديد دلالة المصطلح النسوي أثارت عدة تساؤلات لدى النقاد، وهذا ما أشار إليه الدكتور حفناوي بعلي في غموض مفهوم النسوية حيث وقف عنده بقوله: ((نجد مصطلح النقد النسوي مصطلحاً غامضاً وغير محدد، فماذا يعني ؟ هل يعني به النقد الأدبي الذي تكتبه النساء؟ أم النقد الأدبي الذي تكتبه المرأة؟ أم نقد الأدب من وجهة نظر المذهب الذي يدعو إلى تحرير المرأة ؟ فالنقد النسوي يؤكد وجود إبداع نسائي وآخر ذكوري، لكل منهما هويته وملامحه الخاصة))^(٢)، وعلى الرغم من التساؤلات وعدم الاتفاق في تحديد دلالة المصطلح النسوي في النقد والأدب إلا أن معظم الآراء تشترك في نقطة تلاقي واحدة تبين أن الأدب النسوي جاء على وفق أبعاد مشحونة بدلالات تتصل بتشخيص وضع المرأة، حيث ((تشكلت رؤى النقد النسوي وجمالياته انطلاقاً من حالة المرأة بين الذات والآخر))^(٣)، إذ ارتبط وجوده بتطلعات مجموعة من الحركات النسوية التي ظهرت في القرن التاسع

(١) النساء ، ١ .

(٢) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية - قراءة في سفر التكوين النسائي، حفناوي بعلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩م، ٣١ .

(٣) النسوية في الثقافة والإبداع، حسين مناصرة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط١، ٢٠٠٨م ، ١٤١ .

عشر لأسباب تدعم قضايا المرأة في المجتمع، فكان لهذه الحركات أثرها من الناحية الفكرية في ازدياد الإنتاج الإبداعي النسوي المعبر عن وضع المرأة ومعاناتها والمطالب بحقوقها، وقد أطلق عليها النسوية ((وبدت بوصفها أسلوباً في الحياة الاجتماعية والفلسفية والأخلاقيات يعمل على تصحيح وضع النساء المتدني الذي يحط من شأن المرأة ويحقرها))^(١)، فكان هناك ثمة تلازم بين ظهور الأدب النسوي وبين ما لقيته المرأة من تهमيش وتقليل من شأنها واستهانة بقدراتها الإبداعية فإن الحركة النسوية في النقد الأدبي ((تستند إلى جوهر يمكن رصد وتحديد أبعاده، على الرغم الاختلافات الفردية؛ بل وتفاوت التيارات التي ظهرت في الأعوام الأخيرة في مدى حدة نضالها أي اختلافها في الدرجة لا في النوع وهذا الجوهر يقول إن المرأة قد لقيت ظلماً في الأدب العالمي على امتداد تاريخه الطويل، سواء في المجال الإبداعي، أي كتابات المرأة نفسها، أو في مجال النقد))^(٢)، حيث تشكل الكتابة لدى النساء متخيلاً جماعياً له خصوصياته في الكشف عن معاناة وتصورات وحاجات وأحلام طالعتها بالصمت والخفاء، والكتابة تخرج بها إلى مدار العالم^(٣).

فقد كان تعامل المجتمع مع المرأة معظمه تعامل يفتقر إلى التكافؤ بينها وبين الرجل، فالمجتمع ينظر للرجل نظرة مركزية ويعطيه حق المشاركة السياسية والثقافية والاقتصادية بينما ينظر للمرأة نظرة هامشية، فيبعدها أو يقلل من دورها في هذه المجالات، وترك ذلك أثره في خطابات الكتابة الذكورية حول المرأة، فجاءت معظمها خطابات تعطي الرجل حق تملك المرأة وتلزم المرأة ضرورة الخضوع للرجل، وكأنه قدر محتوم عليها لا فكاك منه ولا مفر، لذلك كان ((الخطاب المنتج حول المرأة في العالم المعاصر خطاب في مجمله طائفي عنصري....، وكأن كل فاعلية للمرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فاعلية هامشية، لا تكسب

(١) النسوية - قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، رياض القرشي، دار حضرموت، الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٠٨م، ٢٥.

(٢) المصطلحات العربية الحديثة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، ط٣، ٢٠٠٣م، ١٨٧-١٨٨.

(٣) ينظر: المرأة التحرر الإبداع، خالدة سعيد، إشراف فاطمة المرنيسي، الدار البيضاء، ١٩٩١م، ٨٧.

دلالتها إلا من خلال فاعلية الرجل^(١)، فلما كان هناك تفاوت في التعامل بين المرأة والرجل لا لأي سبب سوى كونها أنثى ظهرت الكتابة النسوية كرد فعل نسائي يدافع عن قضايا المرأة في ظل هيمنة سلطة المجتمع الذكوري القامع لها، مما حدا بأن تكون ((الموجة النسوية الأولى بدأت بتفجير الدعوة لحقوق المرأة بصورة انفعالية في وقائع معينة، ثم تسارع إيقاعها بفضل جهود نساء عملن بصورة فردية للوصول إلى غايات محددة))^(٢)، فاندفعت النساء إلى الكتابة لتغيير الصورة القاتمة التي ارتسمت لها وتعديلها من خلال الاحتفاء بقيمة المرأة ((من هنا كانت الكتابة لدى النساء كل تعبير صادر عن النساء كتطلع إلى تغيير العالم أو إعادة تشكيله))^(٣)، فالحركة النسوية هي حركة تضامن النساء مع بعضهن للمطالبة بحقوقهن الكاملة والتمرد على كل القوانين والأعراف التي تجعلهن خاضعات وفي المرتبة الثانية^(٤).

و تشجعت المرأة العربية في إطلاق عنانها في التعبير عن قضاياها من خلال تأثرها بالأدب النسوي الغربي ((برز من خلال الأدب النسوي فكر المرأة وتوجهاتها وأهدافها وانتقل الأدب النسوي إلى العرب، النساء العربيات عن طريق التأثير بالأدب النسوي الغربي، فكان المحفز لتحرك النساء العربيات والدفاع عن قضاياهن من خلال الكتابة))^(٥).

-
- (١) دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٤م، ٢٩.
 - (٢) النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مراجعة: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ٥٥.
 - (٣) المرأة التحرر الإبداع، ٨٧.
 - (٤) ينظر: الحركة النسوية، سوزان ألس واتكنز وآخرون، تر: جمال الجزيري، مراجعة: شيرين أبو النجا، إشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٥م، ١٥.
 - (٥) الذات في الكتابة النسوية - أقاليم الخوف لفضية الفاروق - دراسة نفسية أسلوبية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، زهرة تعزيبين والوزير تشاريخ، ٢٠١٤م، ١٦.

ومن أبرز ملامح النسوية هي الوقوف بوجه السلطة الذكورية المهيمنة، والدعوة إلى إلغاء القيود المفروضة على كيان المرأة وجسدها، حيث بلورت مفاهيمها حول الجسد والهوية الأنثوية^(١).

فاتخذت الكتابة النسوية نهجاً متمرداً يواجه الكتابة الذكورية المتسلطة على المرأة بحكم قانون الوصايا الأبوية ومنح المجتمع السيادة للرجل^(٢) التي تنتج في سياق وعي الذكورة ونفسية الأبوة وسلطة الرجل ومن ثم كان على المرأة أن تخلع ثوب القيم والعادات والتقاليد التي تربت عليها في تاريخها الطويل، مما جعل كتاباتها لا تعبر عن ذاتها، وإنما عن التمثلات الاجتماعية والثقافية المفروضة عليها^(٣). وقد سعت الحركة النسوية إلى تحقيق العدل والمساواة بين الرجل والمرأة من خلال إعلاء شأن المرأة وإطلاق إمكانياتها الغائبة في مجالات الحياة المختلفة، إذ مثلت هذه الحركة^(٤) بعداً يضيء وي طرح التساؤل في كل جانب من جوانب الحياة الشخصية والاجتماعية، والسياسية. ورسالة الحركة النسائية ليست مجرد أن النساء يجب أن تكون لهن المساواة في السلطة والمكانة مع الرجال، بل أنها تساؤل عن كل تلك السلطة والمكانة^(٥).

وقد حددت سارة جامبل في كتابها (النسوية وما بعد النسوية) أبرز الشروط التي تقوم عليها النسوية بتعريفها بأنها^(٦) مصطلح يشير إلى كل من يعتقد بأن المرأة تأخذ مكانة أدنى من الرجل في المجتمعات التي تضع الرجال والنساء في تصانيف اقتصادية أو ثقافية مختلفة. وتصر النسوية على أن هذا النظام ليس ثابتاً، أو محتوماً وأن المرأة تستطيع أن تغير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق العمل الجماعي، ومن هنا فإن هدف المسعى النسوي هو تغيير وضع المرأة في المجتمع^(٧).

١ ينظر: السرد النسوي-الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١١م، ٤٥.

٢ (النسوية في الثقافة والإبداع، ١).

٣ مقدمة في نظرية الأدب، تيري إيغلتن، تر: أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩١م، ١٨٠.

٤ (النسوية وما بعد النسوية، ٣٣٧-٣٣٨).

ويمكن ملاحظة أثر تقليل شأن المرأة في المجتمع بشكل بالغ الوضوح من خلال الفرق في التعامل بين كتابات الرجل وكتابات المرأة إذ ((يرى إنتاج الرجال وأفكارهم ونشاطاتهم على أنها ذات قيمة أكبر ووضع أعلى من تلك الخاصة بالنساء))^(١)، لذلك نرى أن مصطلح النسوية لم يكن له وقع داعم عند بعض الباحثين والدارسين حتى بين الروائيات أنفسهن، لأن النظرة المجتمعية إلى أدب المرأة نظرة قاصرة غير منصفة لفاعلية المرأة المبدعة، وبذلك ((لا تحمل عبارة امرأة كاتبة وقعا مشجعا في العالم العربي، حتى بين الكاتبات النساء أنفسهن، والسبب الرئيس هو أن مفهوم هذه العبارة يتضمن تمييزاً ضد الكاتبات يتجاوز بالضرورة الظلم الاجتماعي الذي تتعرض له النساء في الحقل الأدبي))^(٢)، وكتابات المرأة تتعدى أن تكون مجرد إنجاز إبداعي ثقافي، لكونها ضرورة نفسية أكثر مما هي ضرورة ثقافية^(٣)، لذلك كان هدف الأدب النسوي ((إعادة المكانة للكاتبات اللواتي تمّ إخمد أصواتهن أو تهميشهن أو التقليل من أهميتهن فقط لأنهن نساء))^(٤)، لذلك تطلعت الكتابة النسوية إلى إبطال مبدأ التبعية القابع واعتماد علاقة الشراكة بين الذكر والأنثى، بوصفهما شريكين وليس نقيضين، فجاءت كتابات الأنثى مثلاً لما جرى كبتة، واستلهاماً لما جرى استبعاده^(٥)، فالفكر النسوي سعى إلى تغيير ماهية الصورة الشائعة حول المرأة، ودعا إلى إعادة النظر في نسق القيم الذي جعلها في موقع أدنى^(٦).

وقد تباينت وجهات النظر حول هوية الكتابة النسوية، ولعل ذلك يعود إلى تأرجح المسارات التي تناولت الأدب النسوي، فمنهم من يرفض تسمية الأدب حسب جنس كاتبه ومنهم

(١) النظرية النسوية مقتطفات مختارة، ويندي كيه كولمار و فرانسيس بارتكوفيسكي، تر: عماد إبراهيم، مراجعة عماد عمر، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ١١ .

(٢) مئة عام من الرواية النسائية العربية، بثينة شعبان، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ١١ .

(٣) ينظر: المرأة واللغة، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ١٣٦ .

(٤) مئة عام من الرواية النسائية العربية، ٢٤ .

(٥) ينظر: السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، ١٠١ .

(٦) ينظر: م. ن، ٢١٧ .

من يعتمد على الفئوة الجنسية في تسميته ؛ لأن ((القول بكتابة إبداعية نسائية تمتلك هويتها وملامحها الخاصة يفضي إلى واحد من حكمين: إما كتابة ذكورية تمتلك مثل هذه الهوية وهذه الخصوصية وهو ما يردّها بدورها إلى الفئوة الجنسية فلا تعود صالحة كمقياس ومركز ، وأما كتابة بلاخصوصية جنسية ذكورية، أي كتابة بالإطلاق كتابة خارج الفئوة، مما يسقط الجنس كمعيار صالح للتمييز إلى ذكوري ونسائي))^(١).

وقد شاع مصطلح الأدب النسوي في الكتابات التي تتناول قضايا النساء بأقلام المرأة^(٢)، وحدّده بعض الباحثين بأنّه الأدب الذي ألفته امرأة وهذا ما نجده عند نازك الأعرجي بتعريفها للأدب النسوي ((هو ذلك الأدب الذي تكتبه المرأة على خلفية وعي متقدم، ناضج ومسؤول عن جملة العلاقات، ويلتقط بالقدر نفسه النبض النامي لحركة الاحتجاج معبراً عنها بالسلوك والجدل، بالفعل والقول، وتعي كاتبتّه القضايا الفنية والبنائية واللغوية الحاملة للقدرات التعبيرية المثلى عن حركة التيارات العميقة المولدة للوعي النسوي الجمعي، والوعي الاجتماعي الكلي المحيط به، والمشتبك معه في صراع حي متجدد، وبالغ الحيوية))^(٣).

ويذهب بعض الدارسين في تحديد الأدب النسوي بالارتكاز على المضامين التي ترتبط بالمرأة، ولا يهتمون بجنس الكاتب سواء كان رجلاً أو امرأة، فهم يرفضون أن يوطر الإبداع الأدبي بحدود جنس الكاتب ((إن الأدب النسائي لا يعني بالضرورة إن المرأة كتبتّه، بل يعني أن موضوعه نسائي))^(٤)، وفي السياق نفسه نجد كثيراً من حاول تحديد معالم الإبداع النسوي النسوي من خلال رؤية تنحصر في المضامين التي تتناول المرأة، وتشخيص واقعها الجسدي والذاتي على وفق منظور يشمل ((الأدب الذي تكتبه النساء والأدب الذي يكتبه الذكور عن

(١) المرأة التحرر الإبداع، ٨٦ .

(٢) ينظر : مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة - في ترويض النص وتقويض الخطاب، حفناوي رشيد بعلي، دروب للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١١م، ١٧٠ .

(٣) صوت الأنثى - دراسات في الكتابة النسوية العربية، نازك الأعرجي، دار الأهالي، سوريا، ط١، ١٩٩٧، ٢٤ .

(٤) المرأة والكتابة سؤال الخصوصية أو بلاغة الاختلاف، رشيدة بن مسعود، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٤م، ٧٨ .

المرأة من أجل أن تتلقاه المرأة ... أو يهتم بالتعبير عن تجارب المرأة اليومية والجسدية ومطالبها الذاتية^(١).

بينما رفض بعض النقاد أن تكون كتابة الرجال مثل كتابة النساء، وعللوا سبب اختلاف الكتابة بينهما إلى أن الرجل والمرأة يختلفان عن بعضهما، فكل منهما له تجاربه الخاصة المرتبطة بنوع جنسه وخصوصياته النفسية والعاطفية والجسدية^(٢) (إن الرجال والنساء يكتبون بشكل مختلف لأنهم مخلوقات تحمل تجارب تاريخية ونفسية وثقافية مختلفة، مثلما يكتب الاستراليون والأفريقيون بشكل مختلف حتى ولو كانوا يكتبون باللغة نفسها، وهذا لا يعني طبعاً أن جميع النساء يكتبن بالطريقة نفسها أو أن جميع الرجال يكتبون باللغة نفسها، ولكن هناك خصائص عامة يحتمل وجودها في كتابات النساء أكثر من كتابات الرجال، وميزات أخرى تميز كتابات الرجال أكثر من كتابات النساء^(٣))، على الرغم من وجود مشتركات كثيرة في كتابة الطرفين، تتمثل بالأهداف والرؤى والتوجيهات والمدارس التي يؤمن بها كل طرفٍ منهما.

فوضع بعض النقاد رؤية تبين خصوصية الكتابة النسوية وحدودها بكتابات المرأة فقط ورفضهم انضمام الكتابة الذكورية التي تعبر عن المرأة ضمن هذا المصطلح وتقول حجة هؤلاء^(٤) (إنه ما دامت النساء وحدهن يعانين تجارب الحياة الأنثوية النوعية، فهنّ وحدهنّ اللاتي يستطعنّ الحديث عن حياة المرأة. يضاف إلى ذلك ما تتضمنه تجربة المرأة من حياة فكرية انفعالية متميزة، فالنساء لا ينظرن إلى الأشياء كما ينظر إليها الرجال، وتختلف عنهن بأفكارهن ومشاعرهن^(٥))، وقد أشارت الناقدة الأمريكية إيلين شوالتر إلى أسباب اختلاف الكتابة النسوية عن الكتابة الذكورية، إذ جعلت الظروف المحيطة بحياة المرأة سبباً في نشوء خصوصية لمضامين الكتابة النسوية^(٦) (إنّ اختلاف حياة المرأة وواجباتها ينتج عنه بالضرورة مضمون مختلف في أعمالها الأدبية، وإنّ هناك من الملامح المشتركة بين هؤلاء المؤلفات ما يكفي لرسم

(١) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية - قراءة في سفر التكوين النسائي، ٣٣٩ .

(٢) مئة عام من الرواية النسائية العربية، ١٣ .

(٣) النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٩٦ .

تقاليد أدبية نسائية واضحة محددة ... وترى أنّ كتابات المرأة تشبه الكتابات النابعة من أي ثقافة أخرى تابعة، وأنها تمر بثلاث مراحل من التطور : محاكاة الأشكال السائدة للتقاليد الأدبية المهيمنة والاعتراض على هذه المعايير والقيم وأخيراً اكتشاف الذات أي البحث عن الهوية، وتصف شوالتر هذه المراحل بأوصاف المؤنثة والنسوية والأنثوية على التوالي ((^(١)).

وقد ميز حسين مناصرة خصوصية كتابات النساء من خلال الارتكاز على الاختلافات بين الرجل والمرأة، وهي اختلافات ناتجة بتأثيرات نفسية ومجتمعية بقوله: ((إنّ لدينا من وجهة نظرنا - كتابة نسوية مختلفة إلى حد كبير عن الكتابة الذكورية لأسباب عديدة ناتجة من اختلاف المرأة عن الرجل في الظروف الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية، والثقافية، والشكلية، والتاريخية))^(٢)، ويعلل اختلاف كتابات المرأة عن الرجل لما يتميز به كلجنس من خصوصيات ميزت أحدهما عن الآخر في التعبير عن إحساسه ومشاعره، فإحساس المرأة يختلف عن الرجل بخاصة عندما يتعلق الأمر في التعبير عن نفسها ((أن للمرأة خصوصية مهمة ظهرت في كتابتها، ولم تظهر في كتابة الرجل عن نفسه أو حتى في تناوله للمرأة في السرديات تحديداً، وهي خصوصية ناتجة في سياق إحساسها المختلف بالأشياء التي تربت عليها منذ طفولتها، وهي أشياء طلبتها أنوثتها التي عنت وأكدت الإحساس بضيق المكان، ومحدودية اللغة الحوارية الاجتماعية، وثقل الزمن، واختلاف الجسدي والنفسي في شخصيتها عن شخصية الرجل))^(٣)، وقد قسم الكتابة النسوية إلى أربعة مستويات لكل منهم مسار مختلف عن الآخر، فأعطى لكل مستوى تسمية ميزته عن الآخر، فقد خصص مصطلح الكتابة النسوية للكتابة التي تعبر عن الرؤية النسوية وقد ساق دليلاً بقوله: ((دليلاً الأولي للفصل بين الكاتبين الذي هو كون الكاتب امرأة أو رجلاً، دليلاً جمالياً غير صالح، فأى كتابة مكتوب عليها اسم امرأة هي كتابة نسوية، والكتابة النسوية مستويات، يمكن تصنيفها مبدئياً في أربعة مستويات هي: الكتابة الحريمية الكتابة بقلم الرجل، والكتابة الأنثوية الكتابة بخصوصية مشاعر الأنثى وجسدها،

(١) النسوية وما بعد النسوية، ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) النسوية في الثقافة والإبداع ، ٦ .

(٣) م . ن ، ٤ .

والكتابة النسوية الكتابة بخصوصية الرؤى النسوية وجمالياتها الباحثة عن التحرر والمساواة، والكتابة النسوية التعصبية الكتابة المتعصبة ضد الرجال والساعية إلى إحراق المجتمع الذكوري^(١)، وعلى الرغم من اختلاف المستويات التي حددها كالنسوية والحريمية والأنثوية والنسوية التعصبية إلا أنها تكاد تكون متقاربة تشترك جميعها في التعبير عن قضايا المرأة.

أما إدوارد سعيد فقد اقترح تسميات للأدب الذي تكتبه النساء، فأطلق عليه ألفاظ مترادفة هي كتابة المرأة، الأدب النسوي، الأدب النسائي ونراه يصب هذه التسميات كلها في رافد واحد مقتضاه يتحدد بما تنتجه الأنثى تخصيصاً، وفرق بينه وبين الأدب الذي يكتبه الرجل نيابة عن الأنثى وسماه بالأدب الأنثوي بقوله: ((فالأدب الذي تكتبه امرأة أسميه ببساطة : كتابة المرأة أو الأدب النسوي، أما الأدب الذي يعبر عن موقف محدد عقائدي ينبع من التعلق بما يعتقد صاحبه أو تعتقد صاحبه بأنه سمات خاصة بالأنثى ورؤياها للعالم وموقعها فيه، فإنني أسميه أدباً أنوثياً وهكذا أتحدث عن النقد الأنثوي وعن الحركات الأنثوية، أما القول أنثوي فهو معقول، كنت قد استخدمته سابقاً، لكنه ليس أفضل الممكنات، وقد أستخدمه سهواً وغفلة أحياناً، وما يعنيه هذا التمييز، هو أن النقد الأنثوي قد يكتبه رجل لا أنثى ، أما الأدب النسائي إنتاج أنثى تحديداً))^(٢).

و منهم من يحدد مصطلح الرواية النسوية بدلالة التطور التاريخي لمراحل الأدب النسائي، فيضعه في ثلاث مراحل هي ((المرحلة الأنثوية وتتضمن تقليد الروايات للتراث السائد واستبطانهم لمعايير الأدبية والاجتماعية، والمرحلة النسوية تتضمن الاحتجاج ضد الأساليب السائدة والدفاع عن قيم وحقوق الأقليات، والهوية النسائية ويظهر فيه تحول إلى الداخل بحثاً عن الهوية ... بمعنى آخر فللنساء أدب خاص بهن له تاريخ وتراث مميز))^(٣)، وعليه يظهر أنّ المرحلة النسوية عبرت عن معاناة المرأة ودعت إلى تحطيم القيود التي فرضت عليها من

(١) م. ن، ١٩٤.

(٢) الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة، كمال أبودييب، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط٤، ٢٠١٤م، ٥٣.

(٣) النقد الأدبي الأمريكي- من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، فنسنت ليتش، تر: محمد يحيى، مراجعة: ماهر شفيق فريد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ٣٢٢- ٣٢٣.

قبل المجتمع الذكوري، ولم تكن فقط في التعبير عن الذات الأنثوية، فقد تتعدى إلى تناول فئات مظلومة في البنية الاجتماعية لكونها تبلور رموزاً للحقوق المسلوبة، فأزمة المرأة ليست أزمة أنثى فقط، وإنما هي أزمة طبقات مهمشة في المجتمع، فالتجربة الإبداعية النسائية تنطلق لتصوير ((حرية داخلية تحاول المبدعة التحرك من خلالها لتخاطب الوجود: وجودها الخاص أولاً ثم وجود بقية العالم))^(١)، لذلك قدّم الفكر النسوي تمثيلاً ثقافياً متنوعاً لكثير من قضايا المجتمع، فبين قضايا المرأة وقضايا المجتمع علاقة حتمية فذات المرأة مرتبطة بذات المجتمع الذي تنتمي إليه، فمن المستحيل الحديث عن المرأة بمعزل عن علاقتها بالواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الذي تحيا فيه، وتعدّ نفسها جزءاً منه .

وقد انقسم النقاد في تحديد دلالة المصطلحين النسوية والنسائية إلى قسمين، قسم يرى أنّ المصطلحين مترادفان ((الأدب النسوي _ النسائي هو ذلك الأدب الذي يهتم بالمسائل النسوية بشكل عام والإبداع النسائي بشكل خاص، محاولاً بذلك إعطاء المرأة أهمية ومكانة في مجال الأدب من حيث الكتابة والقراءة والإبداع، معتمداً على حركات تحرير المرأة))^(٢)، وكلاهما يحملان معناً واحداً يقوم على ما تصدره النساء من أفكار ((النسائية أو الفكر النسوي هي مجموعة من الأفكار والأفعال تهتم بها مجموعة من النساء))^(٣)، في حين نجد بعضهم يفرق بين ماهية النسوية والنسائية بعدّ النسوية أعم من النسائية مع اشتراك الاثنين في التعبير عن شؤون المرأة ((نرى أن الفضاء النسوي والنسائي يشتركان أو يتقاطعان في مجموعة من الأفكار والقضايا وهي أن كليهما مختصان بشؤون النساء بغض النظر عن طريقة معالجة هذه الشؤون عند كل فضاء أو أن الاثنين يوجد بهما نساء بشكل أساسي، أو أن الفضاء النسائي جزء من الفضاء

(١) الذات الأنثوية من خلال شاعرات حداثيات في الخليج العربي - دراسة في النقد الأدبي النسائي، ظبية خميس، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط١، ١٩٩٧م، ٩ .

(٢) الهوية الأنثوية في الرواية النسوية (امرأة من طابقين) لهيفاء بيطار أنموذجاً، آسيا بنزروال و نرجس غزنوق، رسالة ماجستير تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، الجمهورية الجزائرية ، جامعة العربي بنمهيدي - أم البواقي، ٢٠١٨م، ٥ .

(٣) نظرة للدراسات النسوية، هند محمد وشيماء طنطاوي، تر: مزن حسن و أمل المهندس ، المراجعة اللغوية : أحمد الدريني ، الإصدار الأول، ٢٠١٦م، ١٦ .

النسوي الكبير، لأن الفضاء النسوي مهتم بجميع أوضاع النساء ومهتم بطرح مجموعة من الحلول لهذه الأوضاع جميعاً))^(١).

يتضح مما تقدم أن تحديد مفهوم النسوية شهد دلالات متعددة، فلو نظرنا إلى الدراسات التي تناولت تحديد مفهوم النسوية، نجد الأمر يتأرجح بين كون الكاتبة امرأة وبين من يرى أن يكون المضمون عن المرأة سواء كان الكاتب رجلاً أو امرأة، فنلاحظ نقطة التلاقي بينهما هي المرأة، إذ تشكل جزءاً مهماً من مفهوم الرواية النسوية، أما نحن مع الرأي الذي يرى أن الرواية النسوية هي التي أبدعتها أقلام امرأة؛ لأنه أحد الأوجه الرئيسة التي حاول بعض النقاد إثباته في تحديد معنى الأدب النسوي؛ ولأن المرأة هي التي عانت فهي أصدق لسان في الدافع عن حقوقها وتجسيد صوتها.

ثالثاً : نشأة الرواية النسوية الخليجية

تحتل الرواية مكانة مهمة، بين الأجناس الأدبية السردية في كونها تلامس قضايا مرتبطة بحياة الأفراد والمحيط الذي أنتجها، فالمتخيل الروائي يقدم صورة واضحة عن علاقات المجتمع وتاريخه وحضارته وثقافته وتطلعاته، لذلك تعد الرواية مادة خصبة لفهم واقع المجتمعات لما تنطوي عليه من تصورات ورؤى تساهم في ((مناقشة ماضي المجتمعات، وتحليل الحاضر، واستشراف المستقبل، من خلال طرح العديد من القضايا التي تعدّ مناهم قضايا الإنسان العربي، مثل: علاقة الإنسان بالآخر، الهويات، المرأة، الدين والطوائف، الثقافات السائدة، وتطلع المجتمع والأفراد، وغيرها من القضايا المرتبطة بالتكوين الحضاري والثقافي والاجتماعي))^(٢)، ومما لاشك فيه إننا من خلال الرواية نستطيع أن نرصد ونلامس البنية الفكرية والثقافية والاجتماعية للمجتمع الذي نبعت منه.

(١) م. ن، ١٦ .

(٢) أمام القنديل - حوارات في الكتابة الروائية ، فهد حسين، مملكة البحرين وزارة الأعلام والثقافة والتراث الوطني، ط ١، ٢٠٠٨م، ١٢ .

ومن حيثتمائل الواقع والبيئة في منطقة الخليج العربي إلى حد كبير، فإنّ مصطلح الرواية الخليجية ((عائدلظروف الوحدة السياسية والاقتصادية والتقارب الاجتماعي، والتشابه الجغرافي والتاريخي في منطقة الخليج العربي التي تشكلت ضمناً تحت سقف دول مجلس التعاون الخليجي وتضم: المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، دولة الكويت، سلطة عمان، دولة قطر، ومملكة البحرين))^(١). وقد اشتركت الرواية الخليجية في مشهديةواحدة؛ لأن((الثقافة العامة لهذه الدول على المستوى الكلي، تشترك في الكثير من القيم والعادات))^(٢)؛ فبين هذه الدول تقاطعات ثقافية واجتماعية مشتركة .

إنّ نشوء الرواية النسوية في منطقة دول مجلس التعاون الخليجقد تأخر على الرغم من الاتصال الثقافي والأدبي بين الدول العربية،ولا ريب أن الأسباب مرتبطة بوضع المرأة في هذه المجتمعات^(٣)، إذ أثر تعامل المجتمع مع المرأة تأثيراً سلبياً في تأخر ظهور الرواية النسوية، فقد أحيطت المرأة الخليجية بظروف شبه قاسية نتيجة سيادة سلطة الرجل وعادات وتقاليده المجتمع القسرية التي جعلتها حبيسة البيت للاعتقاد السائد بأنها عورة، فلا بد من سترها وحجبها عن النظر، فأثر هذا على حدود حريتها ووعيها الفكري، فكان دورها محصوراً في أعمال البيت والإنجاب وتربية الأبناء، فلا ينبغي لها مغادرة المنزل ولا يحق لها التعلم ولا يحق لها أن تشارك مع الرجل في الأمور السياسية والاقتصادية والثقافية، فكان وجودها ينحصر في خدمة المنزل وخدمة الرجل سواء كان هذا الرجل أب أو أخ أو زوج مما أثر ذلك على سلوكها تجاه ذاتها وتجاه الآخرين^(٤).

(١)الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية، فارس توفيق البيل ، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠١٦م، ٢٤ .

(٢)م. ن ، ٢٤ - ٢٥ .

(٣) ينظر: بعيداً عن الظل - التجربة النسوية في منطقة الخليج العربية، فهد حسين،مملكة البحرينوزارة الثقافة والتراث الوطني ، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م، ١٩١ .

(٤) ينظر:السرد الخليجي النسوي - المرأة في الرواية أنموذجاً، فهد حسين، المكتبة الوطنية، الكويت، ط١ ، ٢٠١٦م ، ٦٨ .

وقد ارتبطت بديانة ظهور الرواية النسوية الخليجية تحولات ثقافية واجتماعية واقتصادية عديدة، أثرت على البنى الثقافية والمعرفية في المجتمع، مما هيأت الظروف المناسبة لولادة الرواية وبزوغ فجرها، فبعد اكتشاف النفط واستخراجه بدأت بحبوحة العيش ورخاؤه في هذه المجتمعات، فازدادت رغبة المجتمع الخليجي في التطوير والتحديث بإنشاء المدن وبناء المصانع وانتشار الصحافة و دور النشر وازدياد التعليم^(١)، كل هذه التطورات ساهمت في ازدياد الوعي الثقافي والفكري لدى المرأة وتنوعت مشاركتها في الأدب.

وقد ظهرت الرواية النسوية الخليجية بعد النصف الثاني من القرن العشرين وكانت البداية الأولى من السعودية إذ لمع اسم الروائية سميرة خاشقجي التي صدرت لها الرواية الأولى (ودعت آمالي) ، وبدورها أعطت هذه الرواية الضوء الأخضر لانطلاق الرواية النسوية في الخليج، أما في الكويت كانت البداية الأولى على يد الروائية والأديبة فاطمة العلي من خلال روايتها (وجوه في الزحام) التي صدرت في عام ١٩٧١^(٢)، في حين كانت رائدة العمل الروائي النسوي في البحرين الكاتبة فوزية رشيد في روايتها (الحصار) نشرت في عام ١٩٨٣^(٣)، وفي قطر كانت باكورة الرواية النسوية القطرية على يد شعاع خليفة في روايتها (العبور إلى الحقيقة)، وقد كتبتها عام ١٩٨٧، وجاءت بعدها أختها دلal خليفة لتشاركها الريادة الإبداعية في روايتها (أسطورة الإنسان والبحيرة) التي صدرت عام ١٩٩٣^(٤)، وكذلك ساهمت المرأة الإماراتية في إثراء هذه العملية الإبداعية إذ تبدو هموم الأنثى وانكساراتها هاجساً مباشراً في الرواية الإماراتية، شأنها شأن الكثير من الروايات النسوية في الخليج، ولعل أول رواية لكاتبة إماراتية هي (شجن بنت القدر الحزين) لحصة الكعبي التي صدرت عام ١٩٩٢م^(٥)، أما أول رواية نسوية

(١) ينظر: بعيداً عن الظل - التجربة النسوية في منطقة الخليج العربية، ١٩٩٣.

(٢) ينظر: فن تحليل الرواية- الأدب النسوي في الخليج العربي دنيانا مهرجان الأيام والليالي أنموذجاً للقاصة القطرية دلal خليفة ، سهام محمد نعمان القواسي ، دار الكتب القطرية ، ٢٠١٣م، ١٨.

(٣) ينظر: السرد الخليجي النسوي _ المرأة في الرواية أنموذجاً ، ٧٠.

(٤) ينظر: إبداعات قطرية، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، دار الكتب القطرية، الدوحة، ١٩٩٦م، ١١١.

(٥) ينظر: الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية ، ٣٧ - ٣٨ .

عمانية كانت من إبداع الروائية بدرية الشحي بعنوان (الطوافحيث الجمر) وقد صدرت عام ١٩٩٩ وهي صرخة احتجاج ضد تجاهل المرأة في المجتمع^(١).

وقد برز دور المرأة الخليجية في الإبداع الكتابي، فكان منجزها الروائي محط الأنظار، وخاصة بعدما أحسنت تمثيل نفسها والواقع المحيط بها، فقد توالى الإنتاج الروائي للروائيات الخليجيات، حيث بدأت الروائية الخليجية بطرح قضايا لم تكن معهودة من قبل^(٢)، وأخذت الرواية النسوية الخليجية تتسع وصولاً إلى عقد الألفين الذي يُعدُّ عقد انفجار الرواية النسوية الخليجية؛ لكثرة ما ظهر من روايات نسوية وترجع هذه الطفرة لما حدث في الخليج من تطورات سريعة منذ منتصف القرن العشرين تزامناً مع التقدم والتحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على الدول الخليجية، وما انعكست به تلك التطورات على بنية المجتمع وأفراده، فانتقلت حياتهم من البادية والبحر والغوص إلى المدينة والرفاهية وصخب الحياة فانشغل الآباء بأعمالهم، وتغيرت النظرة اتجاه المرأة، بسبب ازدياد الوعي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فتراجع دور النساء في خدمة المنزل، بحيث انتقلت مسؤولية الأعمال المنزلية وتربية الأبناء إلى خادمت أجنبيات، فاتسعت الحرية لديهن، فخرجن للعمل والتعليم وانفتحت آفاق تفكيرهن إلى الإبداع والتأليف^(٣).

أما من حيث المضامين فقد استطاعت الرواية الخليجية منذ بداية ظهورها ((أن تتناول هموم الإنسان في محيطها وقضايا المجتمع، شأنها شأن الرواية العربية خاصة، والرواية العالمية عامة))^(٤).

كما لم تنفصل الرواية الخليجية النسوية عن الرواية العربية النسوية في تعاطيها قضايا المرأة ضمن مادتها الروائية ((التي كانت ولا تزال المرأة العربية، تنادي بها، وتدعو المجتمع إلى

(١) ينظر: ن ، ٣٣ .

(٢) ينظر: بعيداً عن الظل التجربة النسوية في منطقة الخليج العربية ، ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) ينظر: فن تحليل الرواية_ الأدب النسوي في الخليج العربي ديانا مهرجان الأيام والليالي أنموذجاً للقاصة القطرية دلال خليفة ، ٤٧ - ٤٨ .

(٤) الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية ، ٢٥ .

الالتفات إليها، وهي قضية المرأة وحقوقها في العيش كإنسان، وحققها في التعبير عن مكنوناتها^(١)، وكذلك سعت الروائية الخليجية إلى تعزيز مكانة المرأة في عالم ثقافي ظل يطغى فيه صوت الرجل، فعبّرت عما يجيش في ذات المرأة الخليجية من أحاسيس ومشاعر مضطربة بين واقع لم يقدر دورها وإبداعها، وبين طموح إلى تغيير النظرة القاصرة اتجاهها، فراحت تطرح قضاياها وتجاهر بصوتها ثائرة على الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي كبّلتها^(٢). فناقشت الكاتبة الخليجية قضايا مهمة تدور حول قيد المجتمع الذكوري و صراع المرأة مع الوضع الاجتماعي، وأزمتها مع العادات والتقاليد والأعراف التي حرمتها حقوقها المدنية والمهنية، فضلاً عن الحقوق الثقافية والسياسية والاقتصادية^(٣)، فكانت أغلب القضايا في الرواية النسوية الخليجية^(٤) مرتبطة بـماضي المرأة وبواقعها وبمستقبلها في ظل مجتمع ذكوري الثقافة والتراث والنزعة والهيمنة، بالإضافة إلى تطلعات المرأة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، ورغبتها في الخروج من الأزمات التي أوقعها تاريخ المجتمع العربي فيها منذ قرون، وتوارثته الأجيال التي بقيت على ما وصلها عصر النهضة العربية^(٥). ومع امتداد الزمن توسعت الرواية النسوية الخليجية في مضامينها خاصة بعد اتساع رقعة التواصل بفعل استخدام الانترنت ووسائل الاتصال الاجتماعي، فبدأت الروائية الخليجية تعبر عن صوتها بكل حرية، فكثير من الروائيات الخليجيات اقترحن المسكوت عنه، وعالجن موضوعات في غاية الحساسية على الرغم من انتمائهن لمجتمعات تتسم بالمحافظة والتمسك بالتقاليد الموروثة^(٥).

(١) بعيداً عن الظل _ التجربة النسوية في منطقة الخليج العربية، ٢٠٠.

(٢) ينظر : فن تحليل الرواية _ الأدب النسوي في الخليج العربي ديانا مهرجان الأيام والليالي أنموذجاً للقاصة القطرية دلال خليفة، ٥٢.

(٣) ينظر: السرد الخليجي النسوي - المرأة في الرواية أنموذجاً، ٧٤.

(٤) م. ن، ٢٦.

(٥) ينظر : مسألة النص الروائي في السرديات العربية الخليجية المعاصرة ، الرشيد بوشعير ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي ، ١ ، ٢٠١٠م، ٧٣٦.

الفصل الأول

أنواع الهوية

- المبحث الأول : الهوية الهامشية
- المبحث الثاني : الهوية المنسلخة
- المبحث الثالث :اللاهوية

مدخل :

تعد الرواية إحدى أهم الفنون الأدبية التي تعبر بطريقة واعية أو غير واعية عن أحوال المجتمع الذي تنتمي إليه وتنسب له، فثمة تلازم بين ما يكتبه الأديب وبين هوية المجتمع الحاضن له، فالنص الروائي يحاكي الواقع من خلال أسسه الجمالية والوظيفية والتواصلية، ويعمل الأدب على ((ربط الواقع بالخيال في قالب فني، ذلك أن الرواية عالم يتسم بالكلية والشمول والتنوع وبأساليب شأنها تجعل النص فضاء لتلاحم كثير من المرجعيات))^(١)، وقد استطاعت الرواية أن تتغلغل في الكشف عن هوية المجتمعات من خلال تصوير هواجس الذات المخفية ومعاناتها وهمومها، فساهمت بطريقة أو بأخرى في فهم تمثيلات الفرد في المجتمع.

وبما أن الهوية تعبر بما تفيض به هذه الذات، فإنها تمثل تمظهراً رئيساً لمرجعيات المحيط الذي تنتمي إليه، فهي وليدة المجتمع والبيئة التي وجدت فيها .

وقد استأثرت الرواية النسوية الخليجية بنصيب من الاهتمام والعناية من خلال الكشف عن هوية المجتمع الخليجي واستنطاق ملامحه، كما جاءت مرتبطة بروح الكاتبات وخلجات ذواتهن تجاه النمط الاجتماعي الذي فرضه المجتمع عليهن .

وقد كشفت لنا القراءات المتكررة والدقيقة لنماذج الروايات المدروسة بوجود أنواع مختلفة للهويات في الرواية النسوية الخليجية، عكست الواقع الخليجي، وصورته تصويراً دقيقاً، فهوية الفرد تتبع من هوية المجتمع، فهي تتشكل من خلال البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه، كما أن للمحيط الأسري أثر بارز في بنائها، فإن أي تفكك أسري يتبعه انهيار في الهوية، حيث كان للمجتمع دورٌ بارزٌ في بلورة أنواعها التي تمثلت بالهوية الهامشية، والهوية المنسلخة، واللاهوية، وقد عالجت الروايات النسوية الخليجية تلك الهويات من خلال نصوصها السردية وشخصياتها الروائية التي مثلت النظام الهوياتي للمجتمع الخليجي.

(١) انشطار الذات وسؤال الهوية في رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح ، دليلة مروك ، جامعة الأخوة منتوري قسنطينة ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع ٤٧ ، مج ١ ، ٢٠١٧م ، ٤١٩ .

المبحث الأول

الهوية الهامشية

المبحث الأول

الهوية الهامشية

يرتبط الهامش في الاستعمالات الحديثة والمعاصرة بـ ((مفهوم المركز، لخلق طرق جديدة في فهم اللغة والسلطة، فالإنسان الهامشي هو من يمتلك سلطة أقل لكونه يقع على مسافة بعيدة من المركز والسلطة ((^(١).

والهوية الهامشية ((هي تلك الهوية التي لا تسجل حضوراً كبيراً في محيطها بفعل عوامل تتعلق بذاتها وبقدرتها على الصمود والتعايش ضمن المحيط الذي تحيا فيه، وعجزها عن فرض وجودها على الآخر المهيمن بفعل قدراتها الذاتية، فهي هوية غير قادرة على مجارة الهوية المركزية))^(٢).

وقد كان للمجتمع دور كبير في تكوين هذه الهوية، فهو الرحم الذي يحوي الفرد ويضمه، ويعمل على تشكيل شخصيته وهويته، وقد تمثلت هذه الهوية في شخصية المرأة، فالمجتمعات العربية والخليجية على وجه الخصوص هي مجتمعات بطيريركية^(٣) تكون فيها المرأة محكومة بسلطة ذكورية، ويعود السبب في ذلك إلى أن المرأة ظلت ((منذ أمد العصور على الهامش وكانت

١ (مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، تر : سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان، ط ١ ، ٢٠١٠م ، ٦٩٧.

٢ (الهوية السردية المفهوم والتجلي، محمد فليح الجبوري، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٢٠م .

٣ (البطيريركية هي التسمية التي تطلق على السيطرة الذكورية في مقابل امتهان المرأة وتهميشها أو عدم الاعتراف بحقوقها . ينظر :النسوية- قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب ، ٣٩ .

نظرة المجتمع دونية، فهي الطرف الأضعف العاجز عن تمثيل نفسها، فهي الظل والعمة بحكم القيم والمعتقدات والثقافة المتحيزة التي تتعامل مع المرأة^(١).

لذا اهتمت الرواية النسوية بموضوع الهوية الهامشية في ظل هذا المجتمع بوصف المرأة جزءاً من هويته، فهي تقطن في مجتمع يقلل من قيمتها، وينظر إليها بدونية فسلبها حقوقها وعدّها شخصية ضعيفة بجانب مركزية الرجل، فمثلت الهوية ((بؤرة مركزية في السرد النسوي سواء على مستوى التجربة التي تحيل عليها الحكاية وتتعلق بوضعية المرأة في المجتمع والتي تميزت بالتهميش الاجتماعي أو على مستوى التخيل السردى الذي يميل بالبحث عن هوية بديلة متحررة من سلطة أشكال التمثيل الذكورية المهيمنة))^(٢)، وقد تجسدت الهامشية في شخصيات مختلفة تناولتها الرواية النسوية الخليجية ومنها :

أ - الزوجة الهامشية :

تمكنت الرواية النسوية الخليجية من معالجة الهوية الهامشية عن طريق رصد لها لبعض فئات المجتمع المهمشة، حيث كان للزوجة حضورها في هذا النوع من الروايات، وهذا يبدو واضحاً في رواية (سندريلات مسقط) للروائية هدى حمد، إذ سلطت هذه الرواية الضوء على طمس هوية الزوجة من خلال شخصية (تهاني)، فطالعتا الرواية على هوية زوجة مسلوقة الحقوق تعاني الإهمال واللامبالاة من قبل زوجها (يوسف)، فتجذرت مشاعر التهميش الذكورية لمشاعرها، وعواطفها، مما أدى إلى الجفاء بينهما حيث أعلنت عنه تهاني بقولها: ((نحن لا نتبادل الكلام . والقليل منه وحسب فقط ذلك المتعلق بالبنات . المتعلق بما يرغب وما ينبغي أن أفعل لكي يصبح سعيدات))^(٣)، فتهميش زوجها لها، وعدم تقديره لوجودها في حياته كان من أهم الأسباب في اضطراب العلاقة بينها وبين بناتها، كما ولد لديها شعوراً بالكراهية اتجاههن لأنهن سرقت اهتمام زوجها بها، وقد ظهر ذلك على لسان (تهاني) في وصف

(١) الذات في الكتابة النسوية - أقاليم الخوف لفضية الفاروق - دراسة نفسية أسلوبية ، ٢٩ .

(٢) تمثالات الهوية النسوية غي رواية دنيا لعلوية صبح ، محمد بو عزة ، مجلة تبیین ، مج ٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠١٧ م ، ٤٤ .

(٣) رواية سندريلات مسقط ، هدى حمد، دار الآداب، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٦ م ، ١٠٣ .

مشاعرها)) لا ينبغي للأمهات الجيّدات أن يُخطئن ، وأنا ببساطة لا أحبّ بناتي . ينتابني في بعض الأحيان شعور بالمقت والكراهية. إنّه يسرقنّ وقتي ، قوّتي وصحتي ، كما يسرقنّ أباهنّ مني))^(١). ويبدو أنّ ارتباطك علاقة الزوجين ساهم بتكوين نسق الكراهية بين الأم وبناتها ، وقد يعود ذلك إلى أسباب ثقافية بعيدة عن مستوى التهميش .

وكشفت الرواية عن النظرة الضيقة التي يبديها (يوسف) لزوجته، فهي ليست الزوجة والأم وشريكة فاعلة في الحياة، وإنّما ارتكز دورها على بعد واحد بكونها خادمة لبناتها، تقتصر مسؤوليتها على العناية بهنّ، وجعلهنّ سعيدات مما شكل أثراً نفسياً على (تهاني) حيث يظهر ذلك بقولها: ((يوسف لا يريد أكثر من ذلك. خادمة مطيعة ومهذبة . تفعل كل شيء بإتقان وحذر . لا تضرب . لا تصرخ، وتلتزم بحدود مساحتها))^(٢). وإنّ تحقير (يوسف) لزوجته والتقليل من شأنها كان سبباً رئيساً، أدى بها إلى هذا التهميش، فهي في نظره مجرد امرأة فاشلة لا قيمة لها، وهذا ما تحدثت عنه تهاني على لسان زوجها وهو يلغى شخصيتها ويدمر ذاتها: ((يريد دائماً أن يقول لي كم أنا فاشلة أنا أعرفه . إنه يدمرني . إنه ليس كما يبدو للجميع . إنه يدمرني كل يوم))^(٣)، بدت واضحة في السياق السردي أنساق السلطة الذكورية المتمثلة بشخصية الزوج، ومحاولته تهميش الزوجة، مما أفقدها مشاعر السعادة، وقيمتها الإنسانية، مما يلغي بآثره البالغ على (تهاني) التي تصبح ذاتاً هامشية تعاني الألم واليأس، فأدى تهميشها إلى ظهور اضطرابات سلوكية ونفسية في شخصيتها.

وتناقش رواية (ذات فقد) للروائية أثير عبد الله هامشية المرأة من خلال شخصية (ياسمين)، إذ تظهر بشكل لا يختلف كثيراً عن شخصية الرواية السابقة في ظل الإكراهات الاجتماعية، ومحيط لا يعترف بهويتها وكيونيتها، وترى (ياسمين) أنّ أنوثتها هي سبب هامشيتها، بقولها: ((عشت بعكازين أنثويين، كنت أتكئ على أمي وعلى شقيقتي طوال

(١) رواية سندريلات مسقط ، ٨٧ .

(٢) م . ن ، ١٠٤ .

(٣) م . ن ، ١٠١ - ١٠٢ .

الحياة، كنا عصابة في مجتمع ذكوري خشن، لا يعترف بقوة الإناث ولا بقدراتهن))^(١)، إذ كشف السرد من خلال شخصية (ياسمين) هوية زوجة متأزمة ضعيفة تعاني الذل والقهر والكبت من خيانة زوجها (مالك) وإهماله لها، إلا إنها واعية تماماً لمجتمع عاشت به وحيدة بلا أب ولا أخ يمكن أن يسند لها لتواجه به مجتمعاً متسلطاً، فما كان عليها إلا أن تستقبل خيانة هذا الزوج وإهماله المستمر، فضلاً عن إنها لا تريد لأبنها أن يعيش وحيداً في مجتمع لا يرحم، فشعور اليتيم الذي عانت به ألقى بظلاله عليها، فجعلها تتقبل الهوان من أجل ابنها، حيث جعلت منه معادلاً موضوعياً لحالتها وشعورها باليتيم بعد فقدان أبيها: ((عدت إلى الحياة، تنازلت عن الكثير من الحياة للحياة، قررت أن أتزوج النسيان، أن أعتقه، أن أعيش زواجي وكأنني عمياء وصماء . وبالرغم أنني لطالما آمنت بأن أعيش حياتي غبية ومتغابية، بملء إرادتي وبكامل وعي. قبلت أن أقايض كرامتي باستقرار نهار، أردت أن يعيش نهار كما يعيش معظم الأطفال السعداء، أن يعيش طفولته بين والدين يعيشان تحت سقف واحد))^(٢) .

وعلى الرغم من أن (ياسمين) تعي ضعفها وأسبابها إلا أنها تخشى مواجهة ذلك، فهي شخصية تحمل رؤية سلبية عن قدرة المرأة في تحقيق ذاتها، فشعور الدونية والضعف متجذر بداخلها، لأنها من جانب آخر تعي مدى قسوة المجتمع وتهميشه للمرأة ونظرته على إنها كيان ضعيف، وهذا ماجاء على لسانها: ((ربما أمثالي من يجعلن الرجال بهذه القسوة أمثالي المتسامحات و الضعيفات والمتفانيات هن اللاتي يجعلن الرجال يخطئون مرة ويكررون الخطأ عشرات المرات))^(٣).

والأمر نفسه تعرضه الروائية مريم عبد الله الغلاف في روايتها (فتاة من المقهى)، فتحكي في سرد روايتها عن زوجة ضعيفة ومستسلمة لتهميشها من قبل الزوج الذي يقصي دورها، فكان النص الروائي بمجمله يتحدث عن المرأة ويضعها في علاقة متأزمة مع الرجل ويلزمها ضرورة الخضوع والاستسلام له، ويبدو الأمر أن سيادة الرجل ((كأنما هو قدر

١ (رواية ذات فقد، أثير عبدالله النشمي، دار الفارابي، ط ١ ، بيروت - لبنان، ٢٠١٦م، ٩٠ .

٢ م . ن ، ٩٢ .

٣ م . ن ، ١٢٢ .

ميتافيزيقي لا فكاك منه ولا مناص... وكأن كل فاعلية للمرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فاعلية هامشية لا تكتسب دلالتها إلا من خلال فاعلية الرجل ((^(١)، ولا شك أنّ الأبعاد الثقافية والاجتماعية هي التي تحكم على المرأة قبولها تهमيش جلادها، فحين أهمل (أبو أمل) زوجته وهمش دورها في التشاور بشأن قرارات الأسرة، ظلت شخصية الزوجة ملازمة لحالة السلب من دون اتخاذها موقفاً تواجه به هذا التهमيش، لقبولها بوضعها المهمش، وكان جوابها على تحمل اضطهاد الزوج إنّ رضا الزوج من رضا الله ((كنت أسمع يدي وخالاتي يزفون أمي كل ما أنزورهم، على سلبيتها وطيبتها الزائدة، ويقولون لها إذا بتظلين جدي ترى ريلج بيتزوج عليج ، ترد عليهم بإبتسامة والله رضا ريلي من رضا ربي))^(٢).

ونلاحظ أنّ شخصية الزوجة لم تكن مهمشة في المتن الحكائي فحسب، بل حتى حضورها في سرد الرواية جاء هامشياً وثانوياً، فلم تحظ بالعناية والاهتمام من قبل الروائية، فتعامل الروائية مع هذه الشخصية كان في ظل دائرة التهميش الذي حاكتها لها، فهي لم تمنح الزوجة اسماً، ولم تسمح لها بتحقيق وجودها كباقي الشخصيات في الرواية، فإعطاء الاسم للشخصية في الرواية هو توثيق أولي لوجودها في الحكاية؛ وكأن ذلك ملمحاً دلاليّاً يوحي بالتهميش .

كما لم تعطها الفرصة بأن تعبر عن نفسها وتتحدث عن ذاتها وآلامها ومعاناتها بصورة مباشرة، وإنما جعلتها تختفي خلف صوت راوٍ ساردٍ متمثل بشخصية الابنة (أمل) ، ولم تكثف الروائية بهذا التهميش، وإنما ضاعلت وجود شخصية الزوجة فغيبتها بالموت المفاجئ لتحمي حضورها في الرواية، وعلى لسان الساردة شخصت الواقع المهمش الذي تعيشه الزوجة من خلال تقديم معاناة الذات في إطار التهميش من قبل الزوج ضمن طائفة من السلوكيات التي يتعامل بها مع زوجته على أنها كائن غير قادر على اتخاذ القرارات التي تخص شؤون الأسرة، فالرأي رأيّه ولا يعترف بأي رأي آخر ((أمي كانت وايد طيبة ومن أهل الله مثل ما

(١) دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة ، ٢٩.

(٢) رواية فتاة من المقهى، مريم عبدالله القلاف، ذات السلاسل، الكويت، ط٤ ، ٢٠١٨م ، ٢٢. بدتي : جدتي، جدي : هكذا ، ريلج : زوجك ، عليج : عليك .

يقولون، لا الرأي رأيها ولا الشور شورها بالبيت، كلمة أبوي أهي اللي تمشي علينا وتتنفذ من غير نقاش، أهو الأمر الناهي بالبيت ... كنت أحس فيها كل ليلة تبجي واهي تنومني ، من القهر والظلم الي تشوفه كل يوم من أبوي، بس تسكت وما تشتكي عند أحد، كانت تحط بقلبها وايد^(١)، والأمر نفسه يظهر مع الزوجة الثانية (شريفة) ويأتي تقديم الشخصية متسقاً مع الطريقة التي قدمت بها شخصية الزوجة الأولى عن طريق الراوي السارد، فبين الشخصيتين تقاطع وتواصل على مستوى التهميش، ولعل خنوع واستسلام الشخصيتين كليهما يحيل إلى الوضع الهامشي للمرأة، وإلى التحقير الذي يمارسه بعض الأزواج بحق زوجاتهم ، تقول (أمل): ((تحملت أبوي وايد ، كانت معاملته لها ناشفة وكان يخلق المشاكل بس علشان يطلع من البيت من غير سبب ، كانت تعور قلوبنا لما نشوف دمعته على خدها نتذكر أمي الله يرحمها والعذاب إلي شافته مع أبوي وشلون كانت تبجي قهر كل ليلة بسبته^(٢))).

ويشكل الإهمال والإقصاء أحد أشكال المحو والتهميش الذي يمارسه الرجل على المرأة وقد كشفت الرواية عن سلبية الزوجة، فهي تقبل أن تعيش عذاب التهميش مقابل العيش مع أبناء زوجها الذين وجدت فيهم مشاعر الأمومة التي افتقدتها لكونها لا تتجب أطفالاً، تقول أمل: ((نزلت راسها وبدت دموعها تنزل مرة ثانية وقالت لنا: والله يا عيالي انتوا الشيء الوحيد الي مصبرني على عذابي هذا، ولو ما انتوا موجودين بحياتي جان أنا من زمان هاده البيت وطالعه! ردت عليها نور أختي واهي تتنهد ويه يا خالتي عيل إحنا شنقول إلي كنا نشوف معاملتهم القاسية مع أمي وصراخه عليها والطق والإهانة وكنا نسكت وتقدرين تقولين تعودنا خلاص^(٣)))، فنرى أن المرأة في هذه الرواية بدلاً من أن تبحث عن حل للخلاص من قمع الرجل وإقصائه لها، نجد أنها عكفت على تحمل الظلم، ولعل ذلك يعود إلى عدم قدرتها على مواجهة المجتمع لوحدها، فالواقع العربي عامة والخليجي خاصة واقع متأزم اجتماعياً يكشف عن توجهاته ضد حقوق المرأة متجاهلاً معاناتها، ويجعل الرجل أساساً ومركزاً في بؤرة الاهتمام.

(١) رواية فتاة من المقهى، ٢٢. معاني الكلمات : وايد : كثيراً ، تشوفه : تراه ، بس : لكن .

(٢) م . ن، ٣٧ . علشان : حتى .

(٣) م . ن ، ٤١ . جان : كان ، هاده : تاركة ، أهي : هي ، الطق : الضرب .

و في رواية (حياتان لأثنى واحدة) تكشف الروائية حنان عبد اللطيف عن نموذج للمرأة وهويتها المهزومة أمام تسلط الزوج واضطهاده، فتظهر شخصية (فاطمة) ومعاناتها من قسوة الرجل وأنانيته وعدم تقبله ورفضه لابنه المعاق ومع ذلك نرى شخصية (فاطمة) تتنازل عن ابنها لترضي زوجها((يرفض زوجي أن نأخذه ، أو أن يعترف به حتى ، إنه لا يريد بعد سبعة معافين ثامناً معاقاً ... ولم تتمالك أدمعها .

— تابعت والقهر باد عليها : يهددني إن لم أطعه أن يطلقني ، وأنا بلا أهل ، ولا عمل ، ولا مال ، ماذا أفعل بطفل معاق ؟))^(١)، وعند تتبع الخيوط السردية وفك تشابكها، نجد أن النسق الثقافي الذي يستحوذ النص، يتمثل بالرفض، فبعد أن تفككت العلاقة بين الطرفين، تفاقمت هذه الحالة حتى رفض الأب ابنه، لا لأنه معاق وحسب بل لأنه يرفض والدته في الأصل، وبذلك تبدأ حالة الصراع النفسي في ذات (فاطمة)، والشعور بالاستلاب .

وفي موضع آخر في الرواية يكشف السرد عن مواقع المرأة والأبعاد النفسية المسببة لها، متخذة من معاناة اليتيم متخيلاً للتعبير عن عوالم الهوية الهامشية، ويظهر ذلك في شخصية (إيمان) نموذج للفتاة اليتيمة المهمشة المغلوب على أمرها تفقد والديها، فتعيش حياة بائسة مشتتة تنتقل بين بيت عمتها وعمها، ولما تقدم لها شخص وعرض عليها الزواج مقابل ترك عملها، قد وافقت مكرهة، وبموافقتها صنعت تهميشها بيدها، فقد قامت بانتقاص قيمتها ووجودها الذاتي والاعتراف بها إنسانة لها حق ممارسة العمل، ولعل ذلك يعود لترسبات اليتيم وعدم الاستقرار الذي تعانيه، فشكل ذلك لديها تراكمًا سلبيًا على شخصيتها((العمة وجدت لي عريساً مناسباً، معلم ، أرمل بدون أطفال، وافق على الزواج مني لكن بشرط واحد.

أحسست بقلبي ينعصر، أعلم ما هذا الشرط، أرجوك لا تقولي له .

— إنه يشترط عليّ أن أترك عملي أتفرغ له... ولا خيار لدي عمتي ستطردني من بيتها ...

(١) رواية حياتان لأثنى واحدة، حنان عبد اللطيف الخطابي، دار ملهمون للنشر والتوزيع، تركيا ، ط ١ ،

سنوات لعمي وعمتي شقيقي والذي رحمه الله يتقاذفان بي بينهما ككرة ملعونة ((^(١)، وركز السرد الروائي على وصف ثيمة الهوية الهامشية، وما تتركه من تأثير على البعد النفسي والبعد البايولوجي)) لم تكن إيمان سعيدة كانت تعيش في جهنم حقيقية ... كانت هزيلة جداً، كغصن هزمه فصل الخريف، وعراه من كل أوراقه و عيناها غائرتان، ووجهها شاحب، جاف، ومسود . احتضنتني وأجهشت بالبكاء))^(٢).

وتتجلى صورة التهميش على المستوى الدلالي لتوضيح طبيعة شخصية الرجل بوصفه ذاتاً تسعى للهيمنة، وطبيعة شخصية المرأة بوصفها ذاتاً مستسلمة وتابعة للرجل، وبذا فإن وضع التهميش الذي تعانيه (إيمان) تعود أسبابه لعدم تقدير الشخصية لذاتها، فهي لا تستطيع التملص من هامشيتها التي ذقت مرارتها من يتمها الذي عانتها منذ طفولتها، فضلاً عن كونها أنثى، فواقع هامشية المرأة ترسخ في عقلها، وهي مقتنعة بأنها كائن مستضعف أمام قوة الرجل ((— ما الذي حدث لك يا صديقتي ؟ ولماذا أخفيت عني طوال هذه الشهور؟ يضربك ؟

كانت ذراعاها مغطاتين بالكدمات .

— وبدون سبب ، هكذا مجرد هواية .

— ولم لم تخبريني ؟

— هل كنت لأحزنك دون جدوى ؟ ما الذي تستطيعين فعله لي ؟

— كنتُ أنفدتك منه .

— هزت رأسها : مستحيل ، أنت مجرد فتاة مثلي ((^(٣)، فلم تبحث عن سبل للخلاص، وإنما تحملت إساءة زوجها واستسلمت للبقاء مع هذا الواقع المأساوي.

(١) رواية حياتان لأنثى واحدة ، ١٠١-١٠٢ .

(٢) م . ن ، ١١٨ .

(٣) م . ن ، ١١٨ - ١١٩ .

ومما يلاحظ أن الرواية تكشف عن بنية دلالية انطلاقاً من تسلط الذات القوية على الذات الضعيفة وبذلك سعت الرواية إلى بلورة الواقع الخليجي الذي يهشم المرأة ويعيق حريتها. وتظهر النظرة التهميشية للمرأة من خلال سلوك الرجل، عندما لا يسمي زوجته باسمها، وإنما يستخدم عبارات فيها شيء من التحقير، ولعل ذلك يعود إلى ثقافة المجتمع الخليجي ونظراته الدونية للمرأة، وهذا ما أشارت إليه الروائية نورة آل سعد في روايتها (العريضة) في شخصية (أبو عائشة)، فنراه لا ينادي زوجته باسمها وإنما يناديها بعبارة (هيبه) ((هل عرفت أمها الحب ؟ لم تر أمها قط تثني على أبيها خيراً، ولم تشهد يوماً حديثاً رقيقاً متبادلاً بينهما ، بل إن أباهما لا يكاد يجلس إلى أمها أو يتحدث معها إلا لتخبره بأمر أو تشكو إليه العيال . ولم تسمع أباهما يدعو أمها باسمها قط ، فدائماً يناديها : هيبه ! ولم تسع أمها أباهما باسمه بل تشير إليه بقولها : أبوكم ، أو أبو عيسى))^(١)، هذا التعامل يشير إلى أن هناك فجوة كبيرة في العلاقة الزوجية، فالزوج يلجأ إلى محاولات التهميش بمناداة زوجته (هيبه)، وهي لفظة تشير إلى تكبير المقابل وتحقيره ، وهذا الأمر موجود بكثرة في المجتمعات الخليجية، كل ذلك يترك أثراً على العائلة بخاصة المرأة ذاتها.

ب - الأخت الهامشية :

تعكس رواية (كبرت ونسيت أن أنسى) للروائية بثينة العيسى المشكلة نفسها في تهميش المرأة من قبل التسلط الذكوري، الذي يمثل الأخ عن طريق ممارسة الإقصاء والانتهاك مع أخته، (فصقر) انتهك حرية أخته (فاطمة) بعد وفاة والديها بحجة كونه الكافل لها والراعي لمصلحتها، فأصبحت تعيش في وطأة الظلم والتغيب لوجودها والتهميش في تمثيل ذاتها، وعبرت الساردة هذه مظاهر : ((أن تحبس في سرداب ، أن تحرم من الدراسة ، أن يسرق منك حب حياتك ، أن تحرق كتبك ، أن تشدك الأيدي من شعرك))^(٢).

(١) رواية العريضة، نورة آل سعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ٨١ - ٨٢ .

(٢) رواية كبرت ونسيت أن أنسى، بثينة العيسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان ، ط٢٠، ٢٠١٨م، ٦٠.

تكشف الذات الساردة عن شدة التضيق الذي تُعامل به (فاطمة) من قبل أخيها، فمراقبة (صقر) لنمط حياتها وتفصيلاتها تشكل انتهاكاً لحقوقها وتهميشاً لشخصيتها ((كان يتردد على غرفتي طوال الوقت، بصفتي ابنته الجديدة التي يعتزم تصحيح اعتوارها، كما لو أنني أسيرة، كما لو أنه جلاد. يضعني تحت مجهر المراقبة لكي يتحقق من حسن جريان الأمور في هذه القنطرة الخرافية التي يقوم فيها بتأهيلي حتى أصير جديرة بجنته))^(١)، ولا شك أنّ المراقبة الحادة، فككت العلاقة الأخوية بين (صقر) و أخته ووسعت الهوة بينهما، فالإقصاء والقمع الذي تعرضت له (فاطمة) أدى إلى شعورها بالاستلاب ((أنني لم أمت، وأن صقر لم يمت أيضاً، فقد بقي في العالم ليصير جلادي، ليفتش حقائبي بحجة البحث عن علكة، ويتفحص هاتفي بحجة البحث عن رقم هارديز، و ليراجع تاريخ تصفحي في الكمبيوتر ليتحقق من أنني لا أحمي عن صراط الفضيلة ولا أتأاور مع الرجال في الفضاء السيبري، وهو يقوم على حراسة شرفي كالكلب تماماً))^(٢).

وبدت (فاطمة) مغلوبة ومنتهكة تعيش وضعاً هامشياً من أخيها؛ لأنه طال في تسلطه حتى أحلامها البسيطة فلا تستطيع تحقيقها، وهذا ما دلت عليه الكناية الروائية (أحلامي الصغيرة تفتت)، فهي تشير إلى مدى ما وصل إليه جبروت (صقر) بتحكمه بقراراتها ومستقبلها ((أحلامي الصغيرة تفتت بين يدي صقر بحجة أنها صغيرة. على امتداد سبع سنوات، جردني صقر من معظم تفاصيلي، حتى لم أعد لي، حتى لم أعد أنا. التفاصيل التي تجعلني ما أنا عليه، ترسم خطوط ملامحي وتجعلني أختلف - بحرية - عن الآخرين، كلها سرقت، صودرت، آلت إلى ملكيته هو .. هو الذي لا يعبأ بها . كنت أريد الدراسة في كلية الآداب، ولو لم يتوف والدائي لكان ذلك ممكناً))^(٣)، وقد عانت (فاطمة) حالة من الصراع النفسي، حيثُ تجلّى ذلك في تهميش إبداعها الفكري وحرمانها من ممارسة شغفها بكتابة القصائد، لذلك لجأت إلى كتابتها خلف علبة الكلينكس خوفاً من أخيها ((أكتب نصوصاً هزيلة

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ٤١ .

(٢) م . ن ، ٨٣ .

(٣) م . ن ، ٨٩ .

على قاع علبة كلينكس كإجراء احترازي لأي غارة تستهدف دفاتري^(١)، إذ عبر هذا الاختباء عن هوية مهزومة مسلوقة الحقوق تنقذ الاطمئنان وتعجز عن ممارسة الحياة بشكل طبيعي.

وتقدم لنا رواية (لأنني أسود) للروائية سعداء الداعس نمطاً آخر للهويات الهامشية، التي لا تستطيع الانفكاك من التقاليد، والإكراهات الاجتماعية والدينية، فتكشف الصورة السلبية، التي كانت أسيرة للقوانين الدينية والأعراف المجتمعية، بخاصة ما يتعلق بالانتماء الديني، والمذهبي، والعرفي، ومدى فرض القيود على المرأة، حيث تجلت السلطة الذكورية بقوة، لكنها مثلت تناقضاً كبيراً، في محتويات ذاتها، إذ صورت الرواية الفتاة السُّنية (نادية) التي أحبت فتى شيعياً (وليد)، حباً، عفيفاً، وطاهراً، ختم بطلب الزواج منها، لكنه جوبه بالرفض ((كانت نادية تحب شاباً شيعياً ولكنها لم تتزوجه، لأن الجميع رفض ذلك))^(٢)، ويستمر السرد في كشف سلطة الآخر الذكورية التي تتمثل بالأخ (فوزي) ((لكن أخي سأل أكثر واستفسر أكثر وبعد أن اكتشف انتماءه رفض نحن سنة ولا نعطي الشيعة))^(٣)، وبعد أن كشف السرد سبب الرفض ومستوياته الدينية والاجتماعية، حاول أن يسبر أغوار الشخصية التي تصرح بأن رفض الآخر لدينه، وانتمائه، هو ذاته الذي فرض معطياته الاجتماعية على رفض عائلتها بسبب لون بشرتها السوداء، وهنا تكمن المفارقة ((لم يوافق الأخ الحنون حتى لا تتغير ملتي من سنية إلى شيعية متناسياً أن الخوال فرصهم محدودة في الزواج، الذي لابد أن يظل ضمن دائرتهم السوداء فقط))^(٤)، والذي نلاحظه هنا، إن استرداد المرأة لفعل السرد في هذه الرواية ((لم يقف عند سرد حكايتها وتمثيل تجربتها فحسب، بل امتدت سلطة السرد إلى حكاية سيرة العائلة، فكانت الحكاية عالماً بديلاً منحت الشخصيات المهمشة إمكانية خلق عالم بديل عن العالم الواقعي))^(٥)، حتى تتمكن (نادية) من استعادة حريتها من خلال التصريح بتقانة البوح والاعتراف لمقاومة ثقافة الرفض وهدم هوة الصمت، واستعادة سلطة التمثيل التي حرصت

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ١٢٦ .

(٢) رواية لأنني أسود ، سعداء الداعس ، الكويت، ط ١ ، ٢٠١٠م ، ١٦٦ .

(٣) م . ن ، ١٨٣ .

(٤) م . ن ، ١٨٤ .

(٥) دراسات التابع ، عبد الله إبراهيم ، مجلة جدل ، ع ٣-٤ ، السنة الأولى ، ٢٠٠٦م ، ٩٧ .

السلطة الذكورية المتمثلة بـ (فوزي) على تجريدها منها، لكن (نادية) تمكنت من خلال مفارقة الرفض، بسبب مذهب حبيبها، ولون عائلتها، من التحرر من سلطة الأخ، واسترجاع حريتها، فكان بوحها، نسقاً رمزياً لاسترجاع هويتها، وذاتها، وصياغة حكايتها خارج حدود النفي والتسلط الذكوري .

ولعل المفارقة التي كشفها السرد تتمثل بانزياح السلطة الذكورية وتغير واضح في مسار حياتها، إذ بدت شخصية الأخ متناقضة، حتى مع نفسها، فبعد أن رفض زواج أخته، تبعاً للأعراف الدينية (السنية، والشيعية) نجده يكسر هذا النسق، ليرتبط بفتاة أمريكية، تتعد كل البعد بديانيتها، وعاداتها، وتقاليدها، فضلاً عن رفضه أن تمتن ابنة أخته (خلود) فن التمثيل، نجده يدرس التمثيل في أمريكا ((فوزي كان سبباً وراء منع خلود ابنة أختي مريم من دخول المعهد لكنها نسيت الموضوع ، ذهبت لكلية أفضل . يمنعها من التمثيل ولا يمنع نفسه من ممارسة الفعل ذاته ! هل أذنبت في عقابكم على مأساة صنعها أخي الذي حرمني أن أعيش حياتي ؟ اليوم أنا أقرب من الأربعين هل هناك من يرغب بالزواج من ابنة الأربعين ؟ فوزي الذي تعشقين يا عزيزتي سلب حلمي من بين يدي واشبع به رغباته تزوج بجوانه الأمريكية ، المسيحية ورفض وليد الكويتي ، المسلم))^(١)، وتتجلى المفارقة في حديثها، عندما يوصي فوزي عائلته، أن يدفن مع الشيعة في مقابرهم، وهنا تركز بؤرة المفارقة ((حين علمت أن فوزي أوصى بدفن جثته في مقابر الشيعة ، وقتها كنت أتمنى أن نمنع تنفيذ الوصية كيف يعترف بهم وهو جثة ولا يعترف بهم وهو على قيد الحياة ؟))^(٢).

ج - الأبناء الهامشيون :

إن التعامل السيء من قبل الوالدين يؤدي إلى ضعف شخصية الأبناء وتهميشهم، ويبدو ذلك واضحاً في رواية (سرقوا أيام عمري) للروائية علياء الكاظمي، إذ اشتركت جملة من الأسباب في تكوين الهوية المهمشة لدى شخصية (سارة)، فقد كان للهيمنة الذكورية الأثر الواضح

(١) رواية لأنني أسود ، ١٨٥-١٨٦ .

(٢) م . ن ، ١٨٤ .

لضعضة شخصيتها، فعلاقة الرجل بالمرأة سواء كانت زوجة أو أخت أو ابنة اعتمدت على تاريخ مديد من السلطوية إذ((تعود الرجل على تصور علاقته بالمرأة من خلال ثنائية أزلية تربط بين سلطة الفحل من جهة وخضوع الأنثى من جهة مقابلة))^(١)، وبهذا اعتادت المرأة على شعور الدونية أمام الرجل، ولعل مشاعر الضعف والدونية اتسعت مساحتها لدى(سارة) لكونها توارثته من والدتها وجدتها ((كانت أُمي رمزا للضعف والاستسلام كجدتي كانت قليلة الحيلة لدرجة تثير الغيظ ورغم صغر سني وقتها إلا أنني لمست ضعف أُمي وانكسارها كلما تحدثت لي عن أبي الذي خذلها ، كانت تتمنى العودة إليه رغم غدره بها وتخليه عنها لطالما أخبرتني أنها أحبته كثيرا وأنها كانت سعيدة معه))^(٢)، إذ تشعر (سارة) بحالة من التهميش، وانهزام الذات نتيجة انفصال والديها، فضلاً عن تعامل أبيها معها، فهو لا يتعامل بلطف مع طفلة صغيرة لم تتجاوز الثامنة من عمرها بل همش طفولتها، وجعل منها مطربة، فبدل أن تلقي الرعاية والاهتمام منه، أهملها واتخذها وسيلة لكسب المال((اقترب مني والشرر يتطاير من عينيه وقال لي مهديدا : توقفي عن البكاء حالا وقومي بعملك أظنن أننا نلعب هنا؟ هذا مصدر رزقنا إياك والتلاعب بنا هكذا عليك أن تكوني على قدر المسؤولية!

لا أعرف كيف تتحمل طفلة في الثامنة كل هذه المسؤولية وأن تتحول لمصدر رزق لعائلتها التي لا تنتمي إليها عاطفيا أساسا والتي تستغلها أبشع استغلال من أجل المال !))^(٣)، وبعد أن كشف السرد ما آلت إليه حال (سارة)، من تهميش بسبب التسلط الأبوي، تحاول الساردة أن تجد ذاتها المسلوبة بلجوئها إلى الرفض، وعدم الاكتراث، وهذا ما ولد نسق الكراهية، والحدق لديها((كرهت أبي كثيرا بعد تلك الحادثة عرفت أنه أكثر الناس جشعا فهو لم يرحم صغر سني ولم يرحم طفولتي الضائعة ولا حتى إنسانيتي أصبحت بالنسبة له مجرد وسيلة لكسب المال حتى لو كان ذلك الكسب على حساب صحي ونفسي بل ودراسي التي تمثل مستقبلي))^(٤).

(١) المرأة واللغة، ١٨٩.

(٢) رواية سرقوا أيام عمري ، علياء الكاظمي ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط٢٦ ، ٢٠١٩م ، ١٠ .

(٣) م . ن ، ٤٩ .

(٤) م ، ن ، ٥٠ .

فالتهميش الذي تعانيه (سارة) انعكس تأثيره على علاقاتها مع الآخرين، فكانت منعزلة ومنقطعة عن التواصل والتفاعل مع محيطها، فهي لا تملك أي صديقات ((اشتد بأسى وضياعي بدأت أفقد الأمل في حياتي تمنيت لو أنني أموت وأختفي من هذا العالم القاسي وأصبحت على مشارف الاكتئاب على الرغم من صغر سني . لم أكن أملك أية صديقات في المدرسة وكنت أرى زميلاتي وهن يعشن حياة عادية سعيدة وأحسدهن على حياتهن الهادئة المختلفة بلا شك عن حياة فتاة كادحة مثلي))^(١).

وفي (رواية ثؤلول) للروائية ميس العثمان تتجلى ملامح الابنة المهمشة بشخصية(سحر) التي عمل والدها على تضيق نطاق حريتها وتهميش رأيها في اختيار مستقبلها، فعبرت الروائية على لسان (سلوى) صديقة (سحر) إدانة مشتركة للسلطة الأبوية التي تهمش طموحات الفتاة، ولـ(سحر) التي لم تسع لإثبات ذاتها، وإنما تركت زمام أمرها لوالدها دون نقاش أو معارضة، والتزام الصمت الذي يفرضه والدها عليها هو صيغة من صيغ التهميش لشخصيتها ((وضعت الصفحة المطوية من الجريدة بين عينيها ،أسامينا هنا ياحلوة، أنت أدب لغة انكليزية ، وأنا علوم مكتبات ، لم أنه عبارتي ولم يهدأ مهرجان فرحي الذي نثرته في بيت سحر، حتى تحرك الجبل الغريب : سحر لن تدخل الجامعة))^(٢)، فكانت تعاني التهميش، كونها منتزعة الإرادة لا تستطيع اتخاذ قرار في شأن مستقبلها بناء على رغباتها الذاتية، وإنما على ما يقرره والدها، فهو يقوض أحلامها، ويمنعها من إكمال دراستها الجامعية، ويجبرها على الزواج دون إرادة منها، وبالمقابل فإن (سحر) ساهمت في ذلك التهميش بعد أن قبلت بالواقع المفروض عليها ((حانقة جداً على جبل القسوة والبشاعة الذي قبلت الزواج به ، وقتل أمنيائنا التي طرّزناها معاً، خنق تساؤلاتنا ومنعك من الضحك والصياح فرحاً ، حرّم عليك المتع كلها))^(٣).

(١) رواية سرقوا أيام عمري ، ٥١ .

(٢) رواية ثؤلول ، ميس خالد العثمان، دار العين للنشر، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٦ م ، ٨٩.

(٣) م . ن ، ١٦٤ .

كما تناولت الروائية نورة آل سعد في روايتها (العريضة) صورة الفتاة المهمشة، بعدم استشارتها في زواجها، فقد حرص المجتمع الخليجي المحافظ على الزواج المبكر للفتاة، فلم يعطها الحرية الكاملة للقبول أو الرفض في اختيار شريك حياتها، فشأن الزواج كان متروكاً للأهل وما على الفتاة إلا القبول والخضوع، وهذا ما كان واضحاً في شخصية (شريفة) التي تفاجأت بيوم زفافها عندما قامت والدتها وخالتها بتزيينها وإرشادها للحياة الزوجية ((قالت لها أمها : اقعدي يا شريفة لا تشتغلي اليوم . أطاعت دون أن تسأل كانت تخشى من الجواب أكثر من فضولها لمعرفته جاءت أم فارس ودون أن تتكلم معها قامت ومشطتها بعد أن دهنت شعرها ووضعت الحناء في يديها ومسحت باطن قدميها . ثم دخلت عليها خالتها وقالت لها كلاماً عن البنت التي تكبر وتعرس وترزق بعيال، وكيف أن تلك هي سنة الحياة))^(١).

د_ تهيمش فئات أخرى:

لم تكتفِ الرواية النسوية الخليجية في تقديم صورة المرأة ووضعها المهمش في الأسرة والمجتمع، فهي كذلك لم تخلُ من تناول هوية الرجل المهمش، وإن جاءت هذه الصورة قليلة جداً فقد رسم لنا السرد في رواية (عتمة الذاكرة) للروائية أثير عبد الله صورة الرجل المهمش الذي تمثل في شخصية (مشهور)، إذ احتفت الرواية بهذا النموذج، ووجدت فيه فضاءً مفتوحاً لتجسيد الأبعاد الإنسانية ، وما يعترئها من أحلام اليقظة القاسية، وإحباطات ذاتية، نفسية، واجتماعية أسهمت في تشكيل الهوية المهمشة لديه، فهو يشعرُ بطفولة تعترئهِ لا يستطيع أن يخرج من جلبابها، ومكنونها الذاتي: ((يطل وجه طفولتي القبيح بين الحين والآخر، يعتصر معدتي ، فأعود ذلك الطفل الصغير الذي كان ينكمش في فراشه حينما يسمع صوت قدمي أمه وهي تقترب ، كنت أغض عيني بشدة مدعيًا النوم ، خوفاً من أن تنهال عليّ ضرباً إذا ما اكتشفت أنني ما زلت مستيقظاً))^(٢)، يكشف النص عن الأبعاد النفسية للشخصية، فهي تعيش حالة من اليأس والقنوط، والخوف، والتوتر، وكل ذلك يشكل انعكاساً على الشخصية، التي بدت

(١) رواية العريضة ، ٩٥-٩٦ .

(٢) رواية عتمة الذاكرة ، أثير عبدالله النشمي ، دار الساقي، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ٢٠١٦م، ٤٠ .

فيها ملامح الضعف، والجبن، الذي تسرب إليها، وكثيراً ما تعودُ ذاكرة (مشهور) وهي مسترجعة آلام الماضي ومعاناته ، باحثة عن حريتها المفقودة : ((ها أنا الآن غدوت ذلك الرجل، وعشت تلك الحرية التي لطالما نشدتها في طفولتي ، لكنني ما زلت برغم ذلك، أسير طفولتي البعيدة، رهن السجّان القديم ذاته وإن لم يعد قادراً على أن يأمرني كما كان يفعل . ما زلت أتحمّل مغبّة اضطرابات أُمي، وكأنّها وشتت بداخلي الخوف والجبن والضعف، فلم أعد قادراً على أعيش حياتي كرجل جسور وشجاع، اليوم أنا مشوه الدواخل، في صدري حكاية حزينة لطفل صغير بلا حول ولا قوّة ولا رأي))^(١). ويستتطق السرد الروائي ما وراء النص، والبحث في الأماكن المعتمة، ومضمراتها، من خلال العلاقة بين الأنا والآخر علاقة (مشهور) بأمه، إذ رسمت الصورة السلبية للأم، فهي متسلطة، وانتهازية، تبتعد عن مشارب العطف والحنان والرحمة، والإنسانية، وتكون هذه الصورة نادرة، أو شاذة عن قاعدة الأمومة المعروفة بالحنان الإنساني .

وتستمرّ ذاكرته بالعودة إلى الماضي، يحاول فيها استعادة هويته وكيانه، لأن ربط الماضي بالحاضر في النصّ السردى، ومافيه من ثبات، يبتعد عن التحول، فإنّ ذلك ((يحفظ للذات استمرار هويتها عبر الزمن))^(٢)، ولكن الشخصية بقت مهمشة ، ولم تستطع أن تحرّر من ماضيها الأليم؛ لأنّ الصدمات والمآسي تهدد الشعور بالهوية وتزرع فيها الاضطرابات^(٣)، ويصورُ السرد حال مشهور من خلال ثقافة المونولوج الداخلي ((أتذكر ذلك الطفل الصغير الذي كان يضع يديه على أذنيه ويغمض عينيه بشدة أمام صراخ أمّه التي كانت تقف أمامه ثائرة كبركانٍ ، أذكر كيف كنت أغمض عينيّ بقوة كيلا أرى عينيها وهما تقدحان قسوة ، كنت أغلق أذنيّ خوفاً من ذلك الصوت الهادر ، الصوت الذي كان يجعلني أصغر أمامها أكثر ممّا كنت صغيراً حجماً وعمراً . كنت أغمض عينيّ وأذنيّ كيلا أسمعها ولا أراها، كيلا تكون موجودة أمامي، كيلا تهينني، كيلا تضربني، كيلا تؤلمني وكيلا تخيفني وتدفعني لان

(١) رواية عتمة الذاكرة ، ٥٢ .

(٢) بول ريكور - الهوية والسرد ، ٣٠ .

(٣) ينظر : الذاكرة والهوية ، ١٣ .

أكرهها^(١)))، وهنا تتجلى مظاهر الزمن في السرد الروائي من خلال الانتقال بين الأزمنة المتنوعة، ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، ولكنها ركزت على الماضي من خلال الذاكرة، لأن الرواية ((تجمع في حكاية واحدة صوراً متنوعة للزمن من شأنها أن تحقق شعيرية النص الأدبي لما لها من فاعلية فنية وجمالية ، تمكن الكاتب عبرها من إقناع القارئ، بواقعة ما يقرأ من أحداث))^(٢)، فسرد (مشهور) من خلال التذكر والاسترجاع تفاصيل طفولته ومعاناته القاسية مع والدته التي كان لها الأثر البين في هويته المهمشة ((خوفي من أمي ، من صراخها وضربها وعقابها وعنفها ، جعلني أخشى أن أحدثها في أي شيء ... خوفي من أمي ، دفعني للصمت الاختياري معها ، كنت أمارس اختياراً كيلا أقع معها وأمامها في ما قد أدفع ثمنه ألما وقسوة))^(٣)، وخوفه من أمه جعله يختار الصمت الاختياري ويمثل الصمت صورة من صور الصراع النفسي الذي تلجأ إليه الشخصية التي تفقد هويتها فتصبح علاقتها مع الآخرين مضطربة، ((أننا نشأنا مضطربين ، مختلفين عن سوانا ، وإن كان بعضنا حل مشاكله مع الماضي بطريقة ما فإن معظمنا لم يتمكن من أن يزيل علامات العنف النفسي التي ما زالت تشوّه نفسه ودواخله))^(٤).

وتقدم الروائية بدريه العامر في روايتها (اعوجاج غصن) نماذج بشرية مهمشة ومسحوقة اجتماعياً ويظهر ذلك من خلال شخصية (نجلاء) التي وقعت ضحية زلّة صديقها (فاتن) فعلى الرغم من براءتها لم يتقبلها المجتمع، فلاحقتها وصمة عار الحبس بعد خروجها من السجن، فلاقته التهميش من عائلتها ومن المجتمع، تقول (نجلاء): ((ها قد انقضى الحكم وفي الحقيقة انقضى منذ ثلاثة أشهر لكن كل محاولات مسؤولي السجن مع أهلي لاستلامي بات بالفشل وحتى ليلة أمس كان رفضهم مستمراً أهلي أعني شقيقي صالحاً وحمداً، فمنذ أن تعرضت لذلك الحادث اللعين، ودخلت على إثره المستشفى ثم السجن لم يسأل عني أحد حتى

(١) رواية عتمة الذاكرة ، ٨١-٨٢.

(٢) الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصاروي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ٤٠.

(٣) رواية عتمة الذاكرة ، ٩٥ .

(٤) م . ن . ، ١٤٢ .

والدتي الحنون وشقيقتاي نوف وسارة...كنت أدرك أن والدتي وشقيقتي نوف وسارة مغلوب على أمرهن، بالتأكيد فصالح وحمد يمنعونهن من الزيارة والسؤال عني وربما طلبوا منهن (التبرؤ مني))^(١)، وبعدَ خروجها من السجن تجد نفسها منبوذة مهمشة ترحح تحتوطة الحبس في غرفتها، المفروض عليها من قبل عائلتها لخلهم منها ،وهذا الخجل ناتج من انعكاسات نظرة المجتمع للمرأة السجينة، فهذه النظرة تركت في نفسياتها أثراً بالغاً في تشطي هويتها: ((ستدخلين إلى داخل بيتي لكن لن أسمح لك بأن تلوثية ستلزمين غرفتك ولن تخرجي منها إلا لقبركهل تفهمين؟ ازدادت حدة صوته وهو يهدد لا أريد أن أراك مطلقاً هل تفهمين، ستكون نهايتك على يدي إذا لمحتك ولو بالصدفة هل تدركين ما أقول؟ سأقتلك))^(٢)،ومن الحبس تضطلع النزعة القمعية في محو الذات وإقصاءها بمصادرة حقوقها وعدم الاعتراف بها ك فرد((أصبحت المرض الخبيث الذي يخافون من انتشاره في العائلة، لذا يجب استئصاله حاولوا جاهدين ألا أكون موجودة في حياتهم بعد خروجي من السجن وعندما لم يستطيعوا حبسوني في غرفتي لأموت ببطء))^(٣)،فتجد (نجلاء) نفسها بعد السجن مُهمشة فاقدة لكيوننتها ووجودها،فهي تعيش حالة من الضياع والتشظيب سبب الوحدة والعزلة التي تعاني منها، تقول نجلاء:((طلبت من والدتي أن أذهب معها للمسجد لأجل صلاة القيام كعادتنا كل سنة نذهب جميعاً، وندعو الله في تلك الليالي المباركة، لكن في هذه المرة رفضت والدتي منزجة منطلبي.

- لم يا أمي؟

- صليفي غرفتك ذلك أفضل لك.

- حسناً ولكن لم لا أذهب معكن ؟ أريد التعبد والصلاة خلف الإمام.

(١) رواية اعوجاج غصن، بدرية العامر،مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،

١٠٤٤٠هـ، ١٠.

(٢) م. ن.، ١٩.

(٣) م. ن.، ٣٩.

- ما أشد إلحاحك يا نجلاء .. أنا فقط لا أريد أن أسمع همس أولئك النسوة اللاتي يأتين للصلاة يرددن ذكر الله وقلوبهن بعيدة كل البعد عن الله يراقبن كل من حضر للصلاة هذه فلانة...

فهمت مقصد والدتي بالتأكيد ستتحدث النسوة عني ويقلن هذه ابنتها التي دخلت السجن^(١)، إنَّ نجلاء غير قادرة على الاندماج والتواصل مع المجتمع لأن عائلتها غيبت وجودها وحرمتها من حقوقها.

يظهر مما تقدم أن الرواية النسوية الخليجية ركنت إلى الأفراد الهامشيين في المجتمع الخليجي فيما يخص الحريات الفردية والعلاقات الإنسانية التي تم تهيمشها، إذ اهتمت هذه الروايات بالشخصيات الهامشية من زاوية اجتماعية، فركزت على الأفكار التي تدور في ذهن المجتمع الخليجي، ومازالت تمثل إرثاً له، متوجهة نحو عرض معاناة المرأة والنظرة الدونية لها.

ونلاحظ أنَّ حضوراً مكثفاً للمرأة المهمشة، وبالمقابل انحساراً ملحوظاً للرجل المهمش، وربما يعود السبب في ذلك إلى هيمنة الرجل على حقوق المرأة، ويتمثل هذا الرجل بصورة الأب والزوج والأخ ومدى سيطرتهم على حياة المرأة، كما تضافرت مع هذه السيطرة عادات المجتمع التي تفرض على المرأة قيود تضيق عليها أفق الحياة، فأغلب النساء منزوعات الإرادة لا يستطعن اختيار مستقبلهنّ بمفردهنّ، وإنّما بما يمليه عليهن الآخرون، وقد سجل السرد النسوي الخليجي موقفاً ضد السلطة الذكورية بعدّها عضواً مساهماً في هذا التهميش، فالمرأة ((بفعل الإكراهات التي مارسها الثقافة الذكورية أصبحت مشوهة، لأن المرأة اختزلت إلى مكون هامشي))^(٢). فقد كان لهذه النظرة أثر كبير في توجيه النزعة النسوية لدى الروائيات كدعوى للتحرر من هذه النظرة .

(١)رواية اعوجاج غصن، ٨٠-٨١.

(٢) السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد ، ٢١٥ .

المبحث الثاني

الهوية المنسلخة

المبحث الثاني

الهوية المنسلخة

إنَّ المفهوم اللغوي للفعل انسلخ يدل على الخروج والنزوع عن الشيء ((سَلَخَتِ المرأةُ درعها: نزعتَه. وسَلَخْتُ الشهر: خرجت منه، وأنسَلَخَ النهار من الليل: خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيء من ضوءه، لأنَّ النهار مكرر على الليل فإذا أنسلَخَ منه ضوءه بقي الليل غاسقاً قد غشي الناس))^(١)، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَيُّ لَهِمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾^(٢)، ومن معانيها الأخرى الكشف، والخلع، والنزع^(٣).

وتعرفُ الهوية المنسلخة بأنَّها ((الهوية التي يسعى فيها الفرد أو الجماعة إلى الانسلاخ من هويتهم الأم لعدم إيمانهم بها وتحميلهم إياها عواقب ما هم فيه من حرمان واضطهاد وبؤس، وانتماء إلى هوية جديدة مغايرة ... يعتقدون أنها تحفظ حقوقهم وستلبي حاجاتهم ورغباتهم))^(٤)، و تسعى هذه الهوية إلى أن ((تتوافق مع ذواتها وخصوصياتها المشروعة، وإغناء لهوياتها المستلبة))^(٥).

ولا شك أنَّ انسلاخ الهوية يعدّ نوعاً من الخروج المعلن من السلطة التي تحاول أن تفرض أنموذجاً هوياتياً على الفرد، حتى لا يخرج عن سلطتها، فجاءت الهوية المنسلخة رد فعل يتضمن الخروج عن القيم والتقاليد والعادات والأعراف، والأنظمة والقوانين الاجتماعية، والدينية، التي تولدُ

(١) العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠، ١٩٨/٤.

(٢) يس، ٣٧.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، ٤٤٢.

(٤) الهوية السردية المفهوم والتجلي، محمد فليح الجبوري، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢٠م.

(٥) الهويات المنسلخة العراق اختياراً، وليد شاكر نعاس، عامر صلال راهي، مجلة أورو ك للعلوم الإنسانية، جامعة المتشئ، ع٢، مج١٢، ٢٠١٩م، ١٣١١.

الفصل الأول : أنواع الهوية

إحساساً بالحيف والظلم والاستلاب.

وسلوك الانسلاخ هو فعل يقوم به الفرد لبناء هوية جديدة، وإخراجها من الأزمات، والصراعات النفسية، و محاولات التهميش، والسلب والتقييد التي تسهم في تهديم الهوية، وتشظيها. ويصدر بفعل التمرد لتأكيد الذات)) عندما تتناقض حرية الفرد والشخصية، أو تهدد بالإلغاء، وهذه الحالة الانفعالية تبحث عن استعادة السلوكيات المهددة محدثة سلوكاً تعويضياً أو تصحيحاً يمكن التعبير عنه إما سلوكياً أو إدراكياً أو عاطفياً من خلال ممارسة بعض التصرفات المحظورة اجتماعياً))^(١).

ولا شك أن الهوية المنسلخة في الرواية النسوية الخليجية مثلت نتاجاً لرؤية تحملها على وفق الرؤى والتوجهات التي تمثل قضايا الإنسان بشكل عام والمرأة وهواجسها وأزماتها بشكل خاص، وإن)) أي عمل تقوم به امرأة ما هو في العرف الثقافي السائد دليل على جنس النساء عامة والهاجس الذي تهجس به إحداهن هو بالتالي هاجس نسوي وليس هاجساً ذاتياً فردياً))^(٢).

وقد أهمل المجتمع المرأة ووضعها في حيز ضيق، فحدّ من أفعالها وقيّد حركتها وطموحاتها،)) فكانت العوامل الاجتماعية عموماً إلى جانب الرجل وفي صالحه أكثر مما هي في صالح المرأة))^(٣)، فأدى ذلك إلى انسلاخها كحالة لإثبات قيمتها وإخراج ذاتها إلى حيز الوجود مع الرجل، فكانت الهوية المنسلخة لدى المرأة هي ترجمة لواقعها المستلب، لذلك جاءت الهوية المنسلخة في الرواية النسوية رداً على المنع الاجتماعي الصارم الذي تعرضت له النساء في ظل سطوة التقاليد والعادات وهيمنة السلطة الذكورية، فكانت الهوية في السرد النسوي تعبيراً عن))الهوية

١) بناء مقياس مقنن لسمات شخصية طلبة المرحلة الإعدادية في العراق، علي مهدي كاظم، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق، ١٩٩٤م، ٩٣.

٢) المرأة واللغة، ٢٠٩ .

٣) المرأة العربية في منظور الدين والواقع دراسة مقارنة، جمانة طه، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م ، ٦١ .

الجماعية للأُنثى أي عالم الإناث، إنه الوعي بالكتابة والأنوثة التي تسترد هويتها جسداً وروحاً^(١)، لذلك اقترنت هوية الانسلاخ لديها بدعوى التحرر الاجتماعي الذي ينطوي تحت مظلته الاعتراف بشخصية المرأة وتحرير هويتها من القيود الاجتماعية القهرية التي فرضت عليها.

وقد رسمت الرواية النسوية وجوه متعددة للهوية المنسلخة تتمثل بالخروج من هامشية المرأة، والخروج من نمط التقاليد الاجتماعية، بخاصة تلك التي تتعارض مع ميول الفرد ورغباته وطموحاته، وجاءت الهوية المنسلخة في الرواية النسوية الخليجية على أشكال منها:

أ- الانسلاخ من هامشيتها:

إنّ طبيعة المجتمعات الخليجية التي تجعل من النظام الذكوري رمزاً للسلطة المهيمنة، سمحت للرجل بأن يمارس القسوة والاستبداد مع المرأة، فأفضت هذه الممارسات إلى نشوء ردة فعل عند المرأة، يتمثل بالتمرد على السلطة الذكورية والانسلاخ من الهامشية المفروضة عليها. وعند العودة إلى رواية (كبرت ونسيْتُ أن أنسى) نجد أنّ شخصية (فاطمة) تشهد تحولاً يكشفه السرد، يتمثل في محاولتها بتصحيح مسار هويتها المهمشة، من خلال انسلاخها من هامشيتها التي فرضتها عليها السلطة الذكورية، التي تمثلت بأخيها (صقر) الذي منعها من ممارسة حقوقها، وزوجها (فارس) الذي منعها من ممارسة موهبتها في كتابة الشعر، وكسر كل القيود العنصرية ضد المرأة؛ لأنّ معاناة الفرد تولد إحساساً، وشعوراً بـ((الإحباط، والغضب، والرغبة في التغيير، أو الاحتجاج، والتحطيم، والعدوان))^(٢)، والخروج من صراعها النفسي ((كيف أخبرها بأنني هربت لكي أكتب ؟ وهل يمكن أن لأمر كهذا أن يكون مفهوماً؟

- اسمعي يا حياة. وازدردت ريقي بصعوبة.

١ (الهوية الأنثوية في الرواية النسوية امرأة من طابقين لهيفاء بيطار أنموذجاً ، ٢٤ .

٢ (الاغتراب- التمرد- قلق المستقبل، إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ ،

٢٠١١م ، ٤٨ .

- لقد هربت من زوجي .

-نعم؟

- لقد هربت))^(١) .

يحاول السرد أن يستنطق الأنساق النفسية الكامنة وراء النصّ، والكشف عن مضمراته، حتى باتت الشخصية تعاني صراعاً، وغموضاً في اتخاذ قرار الهروب، الذي يعدّ معصية، وكبيرة من الكبائر في نظر المجتمع الشرقي، الذي يعتمد بناؤه على العادات والتقاليد الاجتماعية القاسية في كثير منها؛ وبذلك تحاول (فاطمة) من خلال الهروب أن تثبت ذاتها وتتسلخ من هامشيتها؛ لأنّ انسلاخها من السلطة الذكورية هو بعدّ ذاته تحطيم أغلال الإذعان للثقافة السائدة، والبناءات الاجتماعية السلبية، حتى عولجت بسلبية الهروب وانتهاك التقاليد والعادات، إلّا أنّها تعدّ تصحيحاً لمسار الهوية المهمشة، وبذلك تصرّح الشخصية بتحررها من تلك القيود المقيّنة، بقولها:

((— لقد تحررت من كل هذا الآن ويجدر بك أن تحتفل .

— أخبريني فقط ما الذي كان ينقصك معي ؟ لأنني تعبت من لعبة التقصي وكل ما أستطيع

تذكره هو أنني كنت أحاول ارضائك طوال الوقت . أن كل ما أقوله يبدو كالطلاسّم بالنسبة لك .

— فكّر بالأمر . تقول لا أريد زوجة عاملة . لا أوافق أن تدرسي .

كل ما تكتبينه يجب أن يبقى في الدرج . هذا ما تلبسينه، وهذا ما تفكرين فيه . أعتقد بأن

الحبل الملتف على رقبتني قد ارتخى قليلاً ولكنه ما زال هنا وأنا أشعر به ولا يمكنني أن أتسامح

مع وجوده أكثر.

— كل ما فعلته هو أنني مارست حقي الشرعي .

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ٢٢٤ .

الفصل الأول : أنواع الهوية

— معك حق . في النهاية لا أحد يلومك إذا تصرفت كإله صغير . أن تجد رجل القانون ورجل الدين في صفك ، والمجتمع يضع ثقله كاملاً في سلطتك . إنني لا ألومك، فقد وجدت المسوغات الكافية لكي تصدر كل حقوقي ! ولكنني لا أستطيع أن أقبل بذلك أيضاً^(١) .

وبذلك نجد الكاتبة، وغيرها من الروائيات يروجن لكتابة نسوية جديدة تمثل الرغبة في إعلان الانسلاخ من الهامشية المفروضة عليها، لذا ((راح الفكر النسوي يروج لكتابة أنثوية تكون المرأة مركزها، فيتشكل العالم من منظورها وذلك يقتضي اختيار لغة خاصة تعتمد في تمثيل نفسها وعلمها لكن لا يقصد بالهوية الأنثوية وبالكتابة الأنثوية الاقتصار على ذات المرأة فقط إنما زحزحة الهيمنة الذكورية المتغلغلة في الثنائيات المتضادة السائدة : الرجل / المرأة ، العقل / العاطفة، القوة/ الضعف))^(٢).

وتحاول (فاطمة) تبرير ذلك الانقلاب في شخصيتها، إذ تعزي الأسباب للسلطة الذكورية التي تنتهك حريتها، فهي نتاج ظلم اجتماعي ضدّ المرأة ((الغريب في الموضوع أنني في نقاشاتنا لا أشعر أبداً بأن الطرف الآخر هو رجل تزوجته قبل سنة اسمه فارس، بل هو المجتمع كله، النظام، القانون، الاستمرارية القاتلة للموازن المعتلة... إنني أحاور هذا العالم، الذي أعلنت مؤخراً اختلافي عنه وخلافي معه، أحاور من خلال زوجي، مشروع طريقي . أحاوره وكأنني أحاول أن أغير الأشياء! أن أحرر الحرية وأحاصر الإيذاء . وفي غمرة النقاش أشعر أحياناً بأن روحي ترتفع عن المشهد وأراني من مكان علوي وأضحك على عبثة المحاولة ، إنني لم أشعر قط بهذا القوة . وهي قوّة تنبع مني أنا ، دونما أي حاجة إلى فرض أي نوع من السيطرة ! إنني قوية دونما عدوان، قوية لأنني أنا))^(٣).

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ٢٢٦ .

(٢) (السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، ١٠١ .

(٣) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ٢٤٣ .

وبذلك استطاعت (فاطمة) أن تعبر عن آرائها، باحثة عن هويتها، ووجودها في ظل مجتمع ذكوري يقيدها، ويحد من حريتها، لذلك كسرت نمطية العادات والتقاليد؛ لأنها تضطهد وتكبل مسيرها، فالانسلاخ ما هو إلا مواجهة لإثبات حقوقها وإثبات وجودها الذي فقدته في مراحل حياتها السابقة ، ومحاولة لإثبات الذات والهوية وإعلان الصلح مع الزمن والمكان بعيداً عن الإنسان الذي يساهم في تهмиشها .

وعرضت الروائية نسقاً فرعياً، من الأنساق الاجتماعية الذي يتمثل باللباس، إذ انسلخت (فاطمة) من عادات مجتمعها الذي فرض عليها لباساً يتماشى مع أعرافه، فقررت خلع العباءة على الرغم من أن المجتمع الخليجي يلتزم بالمظهر الخارجي لستر المرأة، فالعباءة هي جزء مهم من هوية المرأة الخليجية، فنقرر تحدي المجتمع بها لتكسر بخلعها القيود والأغلال كلها، ويتضح ذلك في استغراب(وضحة) ابنة أخيها(صقر) عندما رأتها من دون عباءة((أَلْقَتْ نَظْرَةً فَاحْصَةً عَلَى ثَوْبِي الْأَزْرَقِ الصَّيْفِيِّ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ تَعْلُقَ : زَوْجَكَ يَسْمَحُ لَكَ بِالْخُرُوجِ مِنْ دُونِ عِبَاءَةٍ ؟!

— هذا ليس من شأنه

— وكيف يمكن ألا يكون هذا من شأنه؟!))^(١)، ويفصح النصّ عن استفهام انكاري، بدتْ قوته الأسلوبية بحذف حرف الاستفهام الهمزة، بوصفه دلالة رمزية على الانسلاخ من الخوف بتمرد الأنا، أمام الآخر، الذي بدا مندهشاً، ومتعجباً +من اختراق (فاطمة) للمحرمات، والمحظورات في مجتمع خليجي شرقي محافظ.

ويستمر السرد بالكشف عن انسلاخ الهوية بتمردها على التقاليد والعادات، وتجاوزها حدود المألوف، والمتعارف عليه، في مجتمع تسوده السلطة الذكورية، أعلنت رفضها بكلّ قوة، لتنتقم لنفسها، من أخيها، وزوجها، وهذا ما يعلنه الحوار مع أخيها : ((لَقَدْ آذَيْتَنِي كَثِيرًا وَأَنْتِ تَعْرِفُ ذَلِكَ،

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ٢٥٠ .

الفصل الأول : أنواع الهوية

لقد قمت بدورين ، دور الجلاذ، دور ولي الأمر، ولي الأمر الذي يضربني بعقاله ويصفعني بنعاله.

— أنتِ أخطأتِ والمخطئ يعاقب .

— بالحبس لثلاث سنوات ؟

— كان ذلك لحمايتك . كنتِ تنزلقين في طرق غير مأمونة.أمسيات شعرية وزملاء رجال والله وحده يعلم ماذا أيضاً ..

— وكنت أحب .

— وتجريين على قولها في وجهي !

— لقد أحببت عصام

— اللعنة عليك وعلى قلة أدبك ! اخرجي من غرفتي !

— سوف أخرج . سوف أخرج بأذرع مفتوحة لأن حياتي سوف تبدأ بمجرد مغادرتي لك . سوف أتطلق من فارس ، سوف أعمل صحفية ، سوف أكتب الكثير من القصائد . لقد استعدت حياتي وأنت لم تنتصر ((^(١)).

يعلن الحوار الذي دار بين (فاطمة) وأخيها(صقر)، عن هوية جديدة تبحث عنها الأنا التي شعرت بالتهميش، والظلم والتسلط، والجبروت، ومظاهر الاستلاب؛ لأنّ الذات المنسلخة تبوح ، وتصرخ بمضمرات وجدانها من دون أيّ خوف، أو رادع، للخروج من عبودية الذكورة التي تمارس على المرأة،ومن جهة أخرى فإنّ الذات الأنثوية المسلوقة ((تتمرد على منطق الفكر الاجتماعي السائد، الذي يكون فيه الرجل حسب المنطق الاجتماعي هو الطالب للمرأة والمالك لحق الاختيار،

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ٢٥٤ - ٢٥٦.

الفصل الأول : أنواع الهوية

بينما المرأة مطلوبة ومجردة من حق الاختيار ما عليها إلا الرضوخ لمطالب الرجل ما يعزز السلطة العبودية التي يمارسها الرجل على المرأة))^(١) .

وإنَّ رغبة الشخصية في التخلص من هامشيتها عائد لطفولتها، لا سيما بعد وفاة والديها وشعورها باليتم، وماعانته من (صقر) وقسوته، وجبروته، الذي ولدَّ الضيق والتوتر، والشعور بالضيق، لذا حاولت بناء مسار جديد لهويتها تمثل بإعلانها حبَّ شخص غير زوجها، الذي فرض عليها، وبذلك يكون الحب في العمل الفني ((علامة دالة على التمرد بل مدخلاً لقضية اجتماعية أو طبقية، كما أنَّ الحرمان منه قد يؤدي إلى الأمر نفسه؛ لأنَّ الإسراف في الانفعال هو العلامة المميزة سواء كان في الاعتراف بالعجز والاستسلام للمصير، في شطط والرفض المطلق))^(٢)، فكان إعلان حبها لـ(عصام) هو إنعاش للذات وصراعاتها النفسية ضد الاتجاه الذكوري الذي يفرض عليها الرق الاجتماعي والمنع العاطفي .

وبذلك يرتبط الانسلاخ الهوياتي عند (فاطمة) بالانتفاض ضد القهر، والحرمان، والاضطهاد، ومحاولة تجاوز الهامش، وبلوغ المركز، بإثبات هويتها الأنثوية، واستعادة كرامتها، وحققها في ممارسة عملها في الكتابة، والحب.

وترسم الروائية نورة آل سعد في روايتها (العريضة) من خلال شخصية (منيرة) انسلاخ المرأة من هامشيتها، إذ تعيش الشخصية واقعاً مهماً من قبل والدتها التي كانت تتعامل معها في محل الأدنى مقاماً من بين أبنائها، فطالما شعرت بداخلها بالنقص ((ولدت وقدرها ، الا يرغب فيها العالم الذي وجدت نفسها فيه!... لأن أمها لم ترد منها شيئاً ، ولم تعلق عليها آمالاً ، ولم تحبها كأختها عائشة أو إخوتها الذكور بالطبع ، وبرغم ذلك فإن أمها لم تغفر لها أنها كانت مختلفة

(١) تظاهرات الكتابة في الخطاب الروائي النسوي المغاربي، فريزة رافيل، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ع٢٣، ٢٠١٦م، ٨٥ .

(٢) الريف في الرواية العربية، محمد حسن عبد الله، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م، ١٧ .

عن باقي بنات العائلة،فسرت اختلافها هذا بأنه عوارض واضحة للفشل والإخفاق ، فالبنات يتزوجن سريعاً ويجلبن أصهاراً أغنياء ونافعين^(١)، وبعد زواجها من يوسف تصطدم بواقع أكثر مرارة وإيلاماً من واقع عائلتها، فكانت علاقتها بزوجها علاقة مرتبكة، فلم يعترف بوجودها، مما أدى ذلك إلى انسلاخها من مشاعر المحبة تجاه الآخرين ((كأن منيرة تعاقب نفسها ، تعاقب أمها وتعاقب أبناءها وتعاقب الجامعة ، وتعاقب الناس الذين تعرفهم ولا تعرفهم! وكأن سعادتها المتاحة أن تمارس حريتها في احتقار وجود الآخرين))^(٢).

ويزداد الانسلاخ في حدته عندما تتخلى عن نقابها لترسم لنفسها هوية جديدة تختلف عن هويتها السابقة المهمشة ((خلعت الدكتورة منيرة النقاب قبل الكثيرات ممن حولها في محيطها العائلي والمهني لأنها أدركت بأنها يجب أن تتوقف عن ممارسة دور الأخير في لعبة الحياة في مرحلة ما ، وأن تلتفت لمستقبلها قبل فوات الأوان))^(٣)، فسعت (منيرة) إلى تأكيد ذاتها وفك قيود التهميش التي تعاني منها عن طريق الانسلاخ من هامشيتها وخلق هوية جديدة لها لترتقي إلى مكانة أرفع مما هي عليه من الازلال والهوان، إذ تتخذ من المشاركة في الانتخابات أساساً لكي تصبح فيها طرفاً فاعلاً وليس مهمشاً بوصفها امرأة قيادية قادرة على اثبات ذاتها واعتراف الآخر بها ((فقررت نكايه في الآخرين أن ترشح نفسها في دورة مجلس الشورى ؛ لكي تثبت بأنها أهل لطموح المرحلة وتحدياتها))^(٤).

ب -الانسلاخ من العادات الاجتماعية والأعراف الدينية :

تحيط المجتمعات الخليجية منظومة من العادات والأعراف والتقاليد التي تفرض على المرأة الطاعة والخضوع وتدني مكانتها((الأمر الذي أدى إلى إغفال دورها وحققها في التعبير عن وجودها،

(١) رواية العريضة ، ٢٠٧ .

(٢) م . ن . ، ٢٥٢ .

(٣) م . ن . ، ٢١١ .

(٤) م . ن . ، ٣٢٥ .

الفصل الأول : أنواع الهوية

ومن ثم كان على المرأة أن تخلع ثوب القيم والعادات والتقاليد التي عبدتها في تاريخها الطويل ((^(١).

وقد عرضت رواية (فتاة من المقهى) للروائية مريم عبد الله القلاف، أثر تفكك العلاقات الأسرية، وتبعاتها على الأبناء، وإعلان التحدي للسلطة الأبوية، بخاصة الأسرة التي تفقد أحد أركان بنائها، إذ تصور الرواية وفاة الأم، وانشغال الأب بزوجته الجديدة، وابتعاده عن أبنائه جميعاً، واتساع الفجوة بينهم، مما أثر في سلوكهم، وتصرفاتهم، حتى بدأ الانسلاخ من العادات الاجتماعية والأعراف الدينية واضحاً منهم.

وتمثل شخصية (نور) الهوية المنسلخة من كل العادات والأعراف الاجتماعية والدينية، وقد انعكس ذلك على سلوكها، ملابسها، وطريقة كلامها، ولأنّ شعور الانسلاخ عن العادات عند الأشخاص لا يولد معهم وإنما هو شعور يتولد عند الفرد كردة فعل لما يمر به من التعسف؛ لذلك نرى أنّ الهوية المنسلخة عند (نور) ما هي إلاّ حالة تحدي وانتقام من سطوة الأب، فالإحساس العميق بالإهمال من قبل والدها، ولّد لديها حالة من الشعور بالرغبة في الخروج عن القوانين الدينية والاجتماعية ((أبوي ما يدري عن هوا دارنا أصلاً إذا إحنا نايمين ولا قاعدين ولا حتى ميّتين وجودنا وعدمه واحد عنده وهالشي هو إلی خله نور تتماذى أكثر وأكثر وما صارت تخاف ولا يهملها أحد))^(٢). فتتبع هوية (نور) المتمردة من التعبيرات التعسفية التي لازمتها من والدها ((فالفهر يولد التمرد والمقاومة والسعي إلى التجاوز والتحرر))^(٣)، وإنّ التغيرات الواضحة في شخصية (نور) لا يفسرها إلاّ ذلك التحول الملحوظ في ذاتها، وجاء ذلك على لسان أختها (أمل)

(١) الذات في الكتابة النسوية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق دراسة نفسية أسلوبية ، ٢٩ .

(٢) رواية فتاة من المقهى ، ١٠١ ، قد تكون اللهجة الخليجية من اللهجات التي تتمتع بمعجم خاص يغيّر بعض المجتمعات العربية، وهذا مايتضح من بعض الألفاظ ومنها لا يدري عن هوا درنا: لا يدري عن حالنا، جدامها: أمامها.

(٣) قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية، نبيلة فابز السيوف، رسالة ماجستير في اللغة والأدب، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م، ٤٤ .

الفصل الأول : أنواع الهوية

بوصفها (نور)) (تغيرت نور أكثر وأكثر، قامت تكشخ وتلبس ملابس غالية ومرصصة على جسمها ... أمل لحقي .. نور مونايمة بغرفتها، ما ادري وينها .. شنو .. سارة شقاعة تقولين؟ يمكن بالحمام أو نازلة تشرب ماي!

دخلت نور غرفتها وهي تتسحب مثل الحرامية .. وانصدمت لما شافتنا ناظرينها وعيونا تسألها قبل لسانها .. بس اهي سبقتنا وقالت:

— نعم !! شتبون !! ليش قاعدين تخزروني جدي؟؟

— سارة : (نبرة غضب ونظرة حادة) وين كنتي؟؟

—وانتي شكو ..

— سارة : شنو !! ولج عين يا الوقحة .. مو كافي طالعة بانصاص إليلالي ورجال غريب قاطج البيت؟؟ صج قليلة آدب ومو متربية))^(١).

ويصلُ تمرد(نور) أوجهُ، بعدما خرقت العادات والتقاليد الاجتماعية، فإنّها تلجأ إلى خرق التعاليم الدينية، واللجوء إلى ممارسة المحظورات من دون رادع ديني، أو اجتماعي، أو أسري، حتى وإنّ كلفها ذلك شرفها، وكلّ ذلك يعني أنّها ضائعة في متاهات لا يمكن الخروج منها بسهولة)) (ردت نور : أي سكرانه .. كيفي ومحد له حكم علي من اليوم ورايح .. أنا حرة نفسي أسوي إلي أبيه ومحد فيكم يفج حلجة معاي بكلمة .. سمعتو ولا لأ))^(٢)، ظهرت (نور) بهوية لاهية لا تحدها أعراف ولا تقاليد ولا مبادئ فمعاناتها هي الخزين الأول لما تحمله من انسلاخ من عاداتها وأعرافها

(١) رواية فتاة من المقهى ، ٩٧ - ٩٩. المعاني تتكشخ : تتألق، مرصصة: ضيقة، ناظرينها: تنتظرها، بس أهي: لكن هي أو لكنها، شتبون : ماذا تريدون، ليش قاعدين تخزروني جدي؟ : لماذا تنتظرون إلي هكذا؟، أنتي شكو: لا شأن لك أنتِ، ولج عين يا الوقحة: لك عين أيتها الوقحة، رجال.

(٢) م. ن ، ١٠٠. المعاني :أي: نعم ، كيفي: أنا حرة ، محد ، لا أحد ، من اليوم ورايح: من اليوم وفي المستقبل، إلي أبيه: الذي أريده، محد فيكم يفج حلجة معاي: لا أحد منكم يفتح فوه معي، ولا لأ : أم لا.

الاجتماعية الدينية، فالعصيان وارتكاب المحرمات وشرب الخمر مظهر من مظاهر التمرد لدى شخصية (نور)، فعادة ما يؤدي التمرد إلى ((الخروج عن الحدود المتعارف عليها إذ يسلك الإنسان المتمرد طريق العصيان والنشوز عن المسار الطبيعي))^(١).

ولو أردنا الكشف عن مضمرات النص في الرواية، لوجدنا (نور) تمردت على واقعها، وليس على دينها، إذ كان اللاوعي حاضراً في الممارسة السلوكية، بوصفه ردة فعل على التفكك الأسري، فتعكس الهوية المنسلخة سلوك التمرد بكونه ((احتجاجاً ذهنياً لا رؤية ولا مذهباً له بطبعه الانفعال المفاجئ الذي يؤدي به إلى رد فعل حركي عنيف موسوم بالتهور والاندفاع عادة وعدم التحفظ))^(٢)،

وهذا ما آل إليه حال (نور).

تقدم لنا رواية (حداثهن المعلقة) للروائية نجمة إدريس صوراً مختلفة لفتيات يعشن في بلاد الغرب، فقد انعكس نمط حياة الدول الأجنبية عليهن، فاكترسبن كل ما هو خارج عن التقاليد العربية، ويبدو أن للاغتراب أثراً، أما أن يكون سبباً في تكيف الفرد مع المجتمع الجديد وبناء هوية جديدة منسلخة من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والدينية متأثرة بالأنموذج الثقافي الحاضر، أو التمسك بالهوية العربية.

وتعدّ شخصية (آية) إحدى شخصيات الرواية التي أعلنت انسلاخها عن العادات العربية، بعدما هاجرت مع والديها إلى بريطانيا، وكان أول بوادر الهوية المنسلخة لديها في بلاد الغرب، هي خروجها عن طوع والديها وبخاصة بعد معرفتها أنهما ليسا والديها الحقيقيين، وإنما هما والداها بالتبني، ولعل صدمتها كانت سبباً في بناء أنموذج هوياتي جديد ينسلخ من كل التقاليد والعادات الشرقية، ورميها وراء ظهرها، فكان شعورها بالتبني، هو أحد العلامات المهمة لانسلاخها من

١ (التمرد في السرد السير ذاتي النسائي العربي المعاصر سيرة نوال السعداوي أنموذجاً، زاوش رحمة ، رسالة ماجستير في الأدب المعاصر ، جامعة السانبا - وهران ، الجزائر ، ٢٠١٢م ، ١ .

٢ م . ن . ع ، ٤ .

الفصل الأول : أنواع الهوية

عربيته، فضلاً عن ملذات الغرب التي تزيد من الرغبة الجامحة في استبدال القيم العربية بأخرى جديدة تتناسب مع الواقع الجديد ((تدنو آية من مراقبتها مشحونة بالتساؤلات وبوادر تملل، والمسافات بينها وبين أمها تضيف وتتحول إلى توتر يومي يقود إلى ملاسنات وأجواء مكهرية، بسبب طراز الملابس والخروج المتأخر، والعلاقات التي تنذر بالخشية والتوجس . هشام يقف بينهما كأنه أخذ على حين غرة، وهو يرى آية وقد ينجر جسدها بأنوثة مبكرة، محاولاً أن ينزع فتيل الصدمات اليومية ، ملطفاً الجو بحنانه الأبوي، وبقدراته المحدودة على التعامل مع فتاة مرافقة ، تنذر ملامحها الحادة بتمرد وشيك))^(١)، فشعورها بالغربة وقلق والدتها المفرط عليها ولد لديها تأزم في الهوية، وبخاصة بعدما قامت والدتها بطمس مرحلة المرافقة التي تربها (آية)، فتعاملت معها على إنها طفلة صغيرة من خلال تدخلها في شؤون رغباتها الخاصة المتمثلة بنوع الملابس، ونوع المأكّل، واختيار الأصدقاء ((ما عادت آية تلك الطفلة المستسلمة لمزاج أمها المتقلب ، ولكلمات الزجر والنهي والتحكم فيما تلبس وتأكّل، وتأخذ وتدع . في روحها تتجمع نذر عاصفة تبحث عن مخرج، وفي جسدها تضج دماء وأشواق غامضة، وفي قلبها تتكور العواطف الجامحة كجنين حان موعد خروجه إلى الحياة . أصبح لآية أصدقاء وعلاقات، وذوق في الملابس وقصة الشعر، وباتت لها لكنة تخصها وموسيقى تهواها، وانتماء إلى جيل تشبهه في تمرده وقلقه وعلاقته المرتبكة بوسطه))^(٢).

وبعد أن مرت (آية) بصراعات متعددة، أرادت أن تحدث انقلاباً في هويتها، فدخلت في دوامة البحث عن ذات جديدة، من خلال تغيير سلوكها، فكان التحول في شخصيتها مثقلاً بدلالات مقترنة بالبوح عما في داخلها من مكنونات ورغبات جامحة تنتهك فيها المحظورات لتشبع فيها غريزتها البشرية ((تحولت آية إلى طاقة قابلة للاشتعال في أي لحظة ، الأخيرة وهي مشحونة بالنقمة ، ومنقلبة في غيظ مكتوم ، تعاني أطواراً وتبدلات في الشخصية والمزاج ، وعسر في

١ (رواية حدائق المعلقة ، نجمة إدريس ، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٩م ، ١١٠ .

٢ (م . ن ، ١١٠-١١١ .

الفصل الأول : أنواع الهوية

التواصل ... راحت تطيل التسكع في الشوارع الرطبة من دون هدف، وتطيل الجلوس في المطاعم الوجبات السريعة من دون شهية، وتتأذى في محطات الأندراوند تاركة القطارات تفوتها واحداً وراء الآخر ، متمنية ألا يأتي قطار آخر، أو أن تغلق المحطة فجأة، وتطفأ أنوارها، وتتركها جالسة على مقعد الانتظار المعدني إلى الأبد))^(١)، ويبرز هذا النص اغتراباً روحياً، حاولت (آية) تعويضه في البحث عن منافذ تشعرها بالراحة النفسية، وتعيد لذاتها التوازن الذي فقدته بعد معرفة حقيقة وجودها بأنها فتاة من الميتم.

وبعد أن عانت الشخصية اغتراباً مكانياً ونفسياً، راحت تبحث عن ذاتها في الآخرين، وأن تجعل منهم معادلاً موضوعياً لحالها، لعل ذلك يقلل من حدة التوتر والتأزم، والشعور الكبير بالغربة، فكانت في شخصية (جيمي) البريطاني الأسود معادلاً موضوعياً لشخصيتها، إذ وجدت فيه ذاتها، فهو يشبهها في كرهه لوالديه، وفي لونه القريب من لونها ((أخذت الساعات التي تقضيها آية مع جيمي، البريطاني الأسود، تطول وتصبح أكثر حميمية، بعد أن أظهر تفهماً سريعاً لمعاناتها، فهو في النهاية يشبهها في التمرد وكراهية السلطة الأبوية، وعنصرية المجتمع، ويقاربها في لون البشرة وحدة المزاج، وهي بدأت تجد فيه حضاناً وشريكاً للتسكع والتدخين والثرثرة، ومهدناً مناسباً لغيضا ورغباتها الجامحة. التصقت به في معظم ساعات نهارها، ثم أخذت تسلك إليه في حجرته الوحيدة في مساءاتها الطويلة، تاركة أبويها على صفيح من جمر من دون التفاتة أو ندم، إن لم تخالجهام متعة خبيثة في إلحاق الضرر بقلبيهما المتوجسين، من دون أن تأخذها بهما رحمة))^(٢).

وقد تلقي الغربة بظلالها على الشخصية، فتنسلخ من قيمها العربية والدينية، وتنزل في مهاوي الرذيلة، والمحظورات، وخرق المحرمات بوصفها ردة فعل غير واعية للخروج من الأزمة الذاتية والنفسية، حتى تجد نفسها في بؤرة الضياع، فبعد أن قطعت تواصلها مع والدتها، حاولت

(١) رواية حدائقهن المعلقة، ١٦١-١٦٢.

(٢) م . ن ، ١٦٣.

(سهام) صديقة والدتها إخراجها من أزمته، إلا أن (آية) انغمست في شباك الانحراف بوصفه شكلاً من أشكال التمرد في بلد يعج بالحرية والانفلات ((كان طريق التواصل شائكاً وملغماً بالتحديات. اجتهدت سهام وحاولت ، ثم أعادت المحاولة، وفي كل مرة تصطدم بقسوة آية وشراستها. ينقطع التواصل بينهما، ثم يعود، لتعود معه القسوة إياها، ويمتزج الغضب والنقمة برفض بات. ثم جاءت المحاولة الأخيرة لتكشف عن وصول الكرب إلى ذروته : إيه حامل))^(١).

وقدمت الروائية بدرية البشر في روايتها (الأرجوحة) صورة من صور انسلاخ الهوية العربية بتأثير الاغتراب والاندماج بالمجتمعات الأوروبية من خلال شخصية (سلوى) التي سافرت إلى جنيف وانسلخت من قيمها الأخلاقية والدينية، وتبنت هوية منحرفة تشرب الخمر وتمارس الرقص في الملهي الليلية ((في المقهى العربي الذي يقبع تحت الأرض فتح النادل لهن زجاجة شمبانيا، قال لهن : إنها من السادة الذين يجلسون حول الطاولة الأخرى ... سكب لهن النادل كؤوس الشمبانيا الطويلة . ووضعها أمامهن . أخذت سلوى رشفة من كأسها ،ورفعتها باتجاه الشاب . وشربت عناب وهي تبسم لهم ... رقصة سلوى وعنّاب على أغنية محمد عبده التي غناها المطرب المصري ، وقامتا تتمايلان بقامتيهما الطويلتين ... غير أن مشعل الأكثر وسامة كان يتمادى كلما ضحك ويلمس يدي سلوى التي لم تكن تمنع أو ترده . ولما تهيأوا للانصراف احتضن فيصل سلوى وهو يودعها))^(٢). فعلى الرغم من أنها تربت وترعرعت في مجتمع مكبل بثوابت وأعراف اجتماعية ودينية إلا أنها في النهاية تتسلخ من كل هذه الثوابت، وقد يكون انسلاخ (سلوى) نوعاً من التشرب بالثقافة الأوروبية التي تأثرت بها من دون وعي ، حتى وجدت نفسها في نظام هوياتي جديد.

نلاحظ مما تقدم إن محور الهوية المنسلخة في السرد الروائي النسوي شكل استبطاناً لرسم التواءات الواقع ضمن البعد الاستلابي لواقع المرأة في الخليج، وتأثيرها على دواخل

(١) رواية حدائقهن المعلقة، ١٦٤ .

(٢) رواية الأرجوحة، بدرية البشر ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ٢٠١٠م، ١٣٩-١٤١.

الفصل الأول : أنواع الهوية

الشخصيات، ((فإنسان يتجاوب مع واقعه فهو يؤثر فيه ويتأثر به معه))^(١) ، فكانت الهوية المنسلخة ما هي إلا ملاذاً للتخلص من طوق الاستلاب .

١ (الاغتراب في رواية طشاري لإنعام كاجه جي، أسماء توبة ، رسالة ماجستير في الأدب واللغة العربية ، الجزائر، ٢٠٠٧م ، ١٢ .

المبحث الثالث

اللاهوية

المبحث الثالث

اللاهوية

يقودنا هذا العنوان إلى السؤال أليس لكل فرد هوية؟ لا جدال أن لكل فرد هوية لها خصوصيتها التي تميزها عن غيرها، سواء أكانت هوية دينية أو ثقافية أو اجتماعية أو غير ذلك، ولكن مما نقصده من مفهوم اللاهوية هو تحديد أفق هوية الفرد من خلال رؤية الآخر له، أي رؤية هوية الذات عند الآخرين. عندما يكون الإنسان منبوذاً في محيطه ويفقد انتماءه بما حوله، فيتولد لديه شعور باللاهوية يؤدي إلى صراعات نفسية، وتوترات، واضطرابات سلوكية، مما يجعله يعاني الاستلاب والتشظي.

ومما لا شك فيه إنَّ تحديد انتماء الهوية يعد عاملاً مهماً يزيد في استقرار الهوية، ويساعدها في قوة اندماجها مع الجماعات الإنسانية، وإشباع حاجاتها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وذلك لأن كل فرد بحاجة إلى معرفة هويته والتعبير عن نفسه؛ إذ كلما كانت هوية الأنا غير ملتبسة استطاع الإنسان الدخول في حوار متكافئ مع الآخر، أما إذا كانت الهوية محط إشكاليات فإنها ستكون معلقة أو مرجأة أو متأرجحة^(١)، وهذا يعني أنَّ شعور الفرد بوجوده وهويته يجعله يتفاعل، ويشارك مع غيره، من خلال إيجاد أنموذج اجتماعي يحترمه، ويوقره، ويتقبله، داخل الجماعة الحاضنة له.

ولاشكَّ إنَّ الرواية النسوية الخليجية عالجت موضوعات تشبَّت، وتأرجح الهوية، وازدراء الأجناس البشرية، وقد سلطت الضوء على كثير من مواطنها في نصوصها السردية، لأنها باتت تمثل إشكالية في تحقيق الهوية الفردية التي يبحث عنها الإنسان، وتجسد ذلك في مضامين عدة مهمة تعد إلى اليوم إشكالات في المجتمعات العربية والخليجية تحديداً، فكان البدون، واللقطاء، وأصحاب البشرة السوداء، أضف إلى ذلك مَنْ يعانون من اضطرابات جسدية خنثوية تجعلهم منقسمين بين الذكورة والأنوثة.

١ (الهوية والمواطنة-البدائل الملتبسة والحادثة المتعثرة، ٢١.

أ-البدون:

تكشف الرواية النسوية الخليجية قضية مهمة من القضايا الإنسانية التي تتعلق بالهوية والانتماء، في المجتمع الخليجي، وتتمثل باللاهوية فئة البدون. وهي قضية مهمة شغلت المجتمعات الخليجية لاسيما في الكويت.

والسؤال الذي يطرح نفسه، من هم البدون، وقبل أن نجيب عليه، فأول ما يتبادر إلى الذهن هي مسألة الهوية، والانتماء، ومشروعية الوجود، والحقوق وغيرها، ويعرف البدون بهذا الاسم نسبة لكونهم ((بدون جنسية أي عديمي الجنسية أو غير محدديها، ويعتبر مصطلح البدون تعبيراً مختصراً بين عموم الناس في الخليج للتدليل على فئة اجتماعية غير محددة الجنسية))^(١)، ويقسم البدون على قسمين ((القسم الأول: يشمل من لا يحملون جنسية من أي دولة أخرى وكانوا متواجدين فيها منذ القدم لكن لظروف ولأسباب معينة لم يتم تجنيسهم. القسم الثاني : يشمل من ينتمون إلى دول اقليمية أخرى لكنهم أخفوا كل الوثائق القانونية التي تثبت أنهم ليسوا عديمي الجنسية كمحاولة لاكتساب مميزات المواطنين من تلك الدول))^(٢)، وبذلك تشكل هذه القضية ملفاً مثيراً للجدل، نظراً لحساسيته المفرطة، من حيث انعكاساته وتداعياته الاجتماعية، والسياسية، والمحلية، والدولية، وأن هذه المشكلة، توجد في بلدان أخرى، عربية وغربية، وبمسميات متعددة، تتعلق بالهوية، والانتماء^(٣).

وتتعاضم مشكلات هذه الفئة في الشعور باللاهوية الناتج من عدم اندماجها مع أبناء الوطن؛ لأن هوية الانتماء للوطن جوهر قائم على منح المواطن الجنسية وتطبيق المساواة بين المواطنين جميعاً في إطار المشترك الإنساني والوطني، فبناء الهوية ((يتعلق بوعي الإنسان وإحساسه بذاته وانتمائه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية مجتمعاً أو أمة أو جماعة في إطار

١ (البدون في الخليج ملف معقد وحلول مؤجلة، جريدة الشاهد، الكويت، ع ٥٤٠، الاثنين ١ أغسطس، ٢٠١٦م، ٨.

٢ (م. ن ، ٨.

٣ (ينظر: البدون في الكويت وحقوقهم في التعليم، إبراهيم دشتي ورمزي سلامة، الأمانة العامة، إدارة البحوث والدراسات، قسم الدراسات الاجتماعية، مجلس الأمة الكويتي، ٢٠٠٤م، ١.

الانتماء الإنساني ((^(١).

وتعدُّ رواية (المغيسل) للروائية موزي الرحال، إحدى الروايات الخليجية التي سلطت الضوء على هذه الإشكالية الثقافية المهمة، التي تتعلق بالانتماء الهوياتي، إذ صورت الحال التي عليها البدون، وانتمائهم الوطني بعد حرب الخليج، فقد حُرِّموا من وظائفهم، وحقوقهم نتيجة التشكيك بذلك الانتماء، مما خلف ضرراً عميقاً في ذواتهم، ومعاناة نفسية وإنسانية كبيرة، بعد أن طرحت مؤشرات سوء التعامل معهم في المجتمع الكويتي، إذ أنَّ الوضع تغير بشكل جذري في الكويت تجاه هذه الفئة، واختير لها ((مصطلح مقيم بصورة غير قانونية، وصاحب ذلك قيام الحكومة باتخاذ إجراءات تشددية صارمة مع هذه الفئة))^(٢).

وقد صورت الرواية الحال التي أصبح عليها (حميد)، و(أمينة)، و(أم حسين)، وكيف تعاملت معهم دولتهم بعد حرب العراق والكويت، إذ عاشوا في واقع متردٍ مُتخِمٍ بالصراعات النفسية وشعور باللاهوية ((تتحرر البلد وتمضي الأيام .. لكن الأمور لم تعد كسابق عهدها لحميد وأمينة وأم حسين .. حميد خسر وظيفته دون أن يعرف الأسباب .. أمينة خسرت وظيفتها ... وازدادت الأمور سوءاً .. بالتأتأة التي أصابتها منذ ليلة وفاة عالية وبكونها مسؤول عن ابنتها وابنة عالية .. حسين لم يعد للمدارس الحكومية، فاضطرت أم حسين لتدريسه في مدرسة خاصة .. راشد لم يعد منذ ليلة وفاة عالية .. الأيام تضيق على أمينة وحميد وأم حسين ... حتى أصبح أقصى أحلامهم تأمين القوات))^(٣).

وقد ألقى عدم الاعتراف بحقوقهم بظلاله على التعامل المدرسي السيء مع الطلبة البدون ومثلت الروائية ذلك من خلال شخصية (حسين)، إذ كان يعاني حالة من الهلع والتوتر المستمر في المدرسة؛ بسبب عدم قدرة أهله لدفع أجور دراسته ((تحيط أم حسين ... حسين بالدعاء والوصايا قبل الذهاب للامتحان ، حسين يبتسم ابتسامة صفراء لأمه، ولا زال يتذكر تهديدات المعلمين بالطرد من الامتحان لمن لا يدفع ... ذهب حسين لمدرسته، القلق يملكه لكنه قرر

(١) الهوية والمواطنة البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة ، ١٣٣ .

(٢) البدون في الكويت وحقوقهم في التعليم، ٣ .

(٣) رواية المغيسل، موزي رحال، نوفابلس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م، ٢٢-٢٣ .

الدخول والمحاولة ، وبات يراجع كلمات التوسل والاستعطاف بدلا من مراجعة اختبار، توزعت الأوراق على الطلبة، وشرعوا بالحل حابسين أنفاسهم على وقع خطوات الأخصائي الاجتماعي الذي لم يكن دوره يوماً احتواء هموم الطلبة أو احتياجاتهم، تتناهى إلى مسامع حسين أصوات طلاب يتوسلون ممزوجة بإهانات وتجريح من الأخصائي، يحاول أن ينهي اختبار به أسرع وقت حتى يحصل على الدرجة الكاملة في حال تمكن من الدفع بعد أيام ... يتم تجميع الطلاب تمهيداً لمعاقتهم على شيء لم يرتكبوه، وذنب لم يقترفوه، يصل الأخصائي لفصل حسين، تشخص الأبصار، يبدأ بقراءة أسماء المتخلفين عن التسديد، مع قراءة الأسماء هناك من يتوسل ويطلق الوعود المصحوبة بالقسم للتسديد ، لترتفع كلمات الإهانة والتجريح حتى تخرس كل توسلاته ويغادر، وهناك من يحمل أشياءه ويغادر بصمت حافظاً ما تبقى من إنسانيته التي مزقتها التششت والضياح، وحسين يحبس أنفاسه مع كل اسم وهو يجزم أن اسمه سيكون التالي، يخفض رأسه، يغمض عينيه^(١)، مما أدى إلى أزمة هوياتية كبيرة شكلت لديه ثغرة في كينونة انتمائه لوطنه؛ لذلك قرر الهجرة خارج الكويت باحثاً عن وطن يمنحه الانتماء، بعد أن عاش مهمشاً وغير منتمٍ لوطنه الذي لا يُعترف بوجوده ((بس خلاص ما نزل على وضعنا للموت ٨ سنين كافي والله كافي خلونا نعيش مثل العالم نلبس مثل العالم أنا بطلع نفسي، وأطلعكم من الفقر))^(٢).

وتتعمق مشاعر اللاهوية عند (حسين)، فعندما هاجر إلى أوروبا قطع الصلة بما يذكره بالماضي كله، فلم يتواصل مع أهله، ولعل ذلك يعود لرغبته في الهروب من ذكرياته المؤلمة المتصلة بالبلد الذي أفقده هويته ((غياب حسين دخل عامه التاسع .وأم حسين تغزل الانتظار بخيط اليأس))^(٣)، ولا غرابة أن تتعكس صراعات الانتماء لديه مع علاقاته بالآخرين؛ لأن ((الإنسان لا يستطيع أن يؤكد هويته الفردية إلا إذا استطاع أن ينطلق من الشعور

(١) رواية المغيسل ، ٣٨ - ٣٩ .

(٢) م . ن ، ٥١ .

(٣) م . ن ، ٨٣ .

بالانتماء إلى جماعة يتجانس مع أفرادها ((^(١).

وتزداد محنة عائلة (حميد) بعدم وجود عمل يساعدها حتى تضطر (حنان) و(أمني) وعلى صغر سنيهما إلى العمل في المغيسل وتكفين الموتى((كبرت أمني ١٥ عاما مواقف عديدة انكسارات لا حصر لها تنغمس مراقبتها في الحرمان إلى حد التشبع، لا تزال كلمات حسين، تعود لتنتثر حروفها في جهازها السمعي كل ليلة .تعبنا، تهمسها في أذن حنان التي تطاردها أشباح وجه امرأة قامت بغسيلها وتكفينها صباح اليوم والحل ترد أمني وهي تحقق بالسقف ندور غير البسطة والمغيسل، ترد حنان مستغربة .،منو بيشغلنا ما عندنا إثبات أنا الشغلة الوحيدة التي أعرفها أغسل وأكفن))^(٢) وإنَّ شعور اللاهوية الذي تعانيه عائلة (حنان) و(أمني) هو أحد أبرز المؤثرات التي تولد شعور عدم الانتماء، لأن انتماء الفرد يتولد من الهوية ((الشعور القومي والانتماء الفعلي لأمة من الأمم أو لشعب من الشعوب))^(٣)، ويتجلى صراع اللاهوية عند (أمني) بحديثها عن معاناتها، فخطاب الهوية عن انكسارات ذاتها((يساعد على التقرب من الارتباطات التي تحمل الهوية للوعي العام بالذات وأبعادها الاجتماعية))^(٤)، فعدم الاعتراف بوصفهم مواطنين ينتمون لهذا الوطن ، ولد لديها أزمة نفسية ناشئة من عدم تحديد هويتها فالهوية لا تحدد إلا من خلال وضوح الانتماء((تدرك أن هناك إحساسا أبشع من الخوف .. وإن هناك مشاعر يعتبر الرعب أكثر رحمة أن تكون الأقل، وتتذكر أنك الأقل ، وتتصرف بكونك الأقل ، وتحاسب بصفتك الأقل، وتلغي ذاتك قبل أن يلغيك الآخرون .. الالتصاق بالقاع لحد التماهي .. أن تكون بدون إحساس، وبدون راحة، وبدون كرامة، وبدون متطلبات بدون أحلام بدون مستقبل ، وبدون أي ثمن يدفعه البدون))^(٥).

(١) الهوية، اليكس ميكشيللي ، ٨٧ .

(٢) رواية المغيسل ، ٥٨-٥٩ .

(٣) معجم مصطلحات عصر العولمة - مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية ، ٤٩٧ .

(٤) الهوية والاختلاف- المرأة والكتابة والهامش، محمد نور الدين آفاية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب

١٩٨٨، ٢٠-٢١ .

(٥) رواية المغيسل ، ٨٧-٨٨ .

وتعرض لنا رواية (رائحة التانغو) للروائية دلح المفتي هذه القضية الشائكة، من خلال شخصية (سعاد) التي لا تستطيع تحقيق مطالبها المشروعة؛ لأنها من فئة البدون، فالوطن الذي ولدت فيه لا يعترف بوجودها ولا يمنحها جواز سفر كبقية المواطنين، فتلجأ إلى تصوير معاناتها بعبارة (بعيد عنك) لتعبر عن استيائها ((اعتذرت سعاد لأميرة كونها لا تحمل جواز سفر بدون" بعيد عنك ، هكذا فسرت بؤس حالها وحال الآلاف غيرها لصديقاتها نحن نعيش كرهائن. الفرح ممنوع علينا في أرضنا ، فكيف نسافر لفرح غيرنا ؟))^(١)، وتتأزم صراعات الشعور باللاهوية عند (سعاد)، فترفض الزواج، بسبب عدم الاعتراف بانتمائها لوطنها، إذ ترك شعور اللاهوية والتشظي أثره في نفسها، فتعزف عن الزواج، لأنها لا تريد أن تتجرب أبناء لهم المصير نفسه؛ لأن الإحساس الذي ينشأ عند الفرد في تحديد هويته وانتمائه ((مركب من المشاعر المادية، ومركب من مشاعر الانتماء والتكامل، والثقة بالنفس، والإحساس بالوجود))^(٢)، وإنّ عدم الاعتراف بالبدون متجسد في الوصف الذي أطلقته (أم عبد الرحمن) على البدون (لا أحد) وكأن لا وجود لهم ((هكذا كانت تجيب سعاد ، كل من يسألها عن عدم زواجها. كانت قد اتخذت قراراً بعدم الزواج وهي في عداد الـ (لا أحد)). اللقب الذي نعتتها به أم عبد الرحمن ، عندما اعترف لها ابنها أنه يحب بنت (بدون) ويريد أن يتزوجها . جُن جنونها وهددته أن تتبرأ منه إن تجرأ وتزوج من هذا الصنف ، فلا هم كويتيون ولا هم من جنسية أخرى . إنهم (لا أحد))^(٣).

ويظهر من خلال النص السردي الاضطهاد الذي يتعرض له البدون، إذ يتعامل معهم المجتمع الخليجي معاملة قاسية، وينظرُ لهم بنظرة دونية تتطوي على الاحتقار وهذا ما وجدناه عند (أم عبد الرحمن) التي رفضت تزويج ابنها الكويتي من (سعاد) البدون، وقد ترك هذا الرفض صداه على نفس (سعاد)، التي أحست بعنصرية أم (عبد الرحمن) التي ألغت فئة كاملة بلفظة (لا أحد) .

(١) رواية رائحة التانغو، دلح المفتي، دار مدارك للنشر، الامارات العربية المتحدة، ط ١ ، ٢٠١٥م، ١١٥ .

(٢) الهوية، اليكس ميكشيللي ، ١٢٩ .

(٣) رواية رائحة التانغو ، ١١٦ .

فهاجس اللاهوية يملأ نفوس فئة البدون لعدم إثبات ذاتهم ومنحهم حقوقهم المشروعة في العمل والتعليم والسفر ((رفض طلب سعاد الالتحاق بكلية الطب في جامعة الكويت ، فراحت تُحصى خياراتها . لا يحقّ لها الدراسة، لا يحقّ لها التوظيف، لا يحقّ لها السفر، إضافة إلى العديد من اللاءات الأخرى، أقسمت ألا يمسه أحد ، وألا تنجب ضحية جديدة من ال (بدون) لهذا البلد ، بلاد لا يتعدى شعبها مليوني نسمة ، بمدخول مالي هائل ، وتبخل على أبنائها بحمل جنسيتها .

لن تنجب سعاد أطفالاً تدرك سلفاً أنهم سيقفون بلا تعليم ، بلا ضمان صحي ، بلا جوازات سفر ، وبلا وظائف . أطفال بلا وطن ، أرض تلفظ ، وأرض تضم ، وطن يحنو على أهله ووطن يطردهم . جملة كتبها أسفل شهادتها بعد تخرجها: أعود إلى وطن ليس بوطن))^(١).

وعرضت الروائية فاطمة البحراني في روايتها (تمنيئك) معاناة البدون ورفض المجتمع لهم لعدم حصولهم على وثيقة الانتماء للوطن، فكانت نظرة المجتمع لهم نظرة احتقار وازدراء ويظهر ذلك من خلال شخصية والد (آمنة) حينما رفض زواج ابنته من (أحمد) لكونه لا يمتلك جنسية، وكان الارتباط بالبدون يضيف لهم وصمة عار ((نحن لا نريد أن نناسبهم ولا أن يرتبط اسمنا بهم))^(٢).

وعلى الرغم من إصرار (آمنة) على الزواج من (أحمد) إلا أنّ زواجهما ظل معلقاً إلى حين حصوله على جواز سفر ((أخذ يصرخ ويقول أحمد لا يحمل جواز سفر ، إنه يعيش ويتحرك بوثيقة فقط، ليست لديه هوية رسمية، كيف لي أن أزوج ابنتي لشخص ليس لديه جواز سفر. كيف لك أن تحكم على شخص من خلال جنسيته؟ كلنا من أصل واحد في هذه الدنيا أخبرتني أمي وقتها عن سبب رفض أبي، ولم أتخيل بأن شيئاً مثل هذا يمكن أن يقف في

طريق سعادتي، كيف لجواز أو أية أوراق سخيّة أن تقف أمامي ؟كيف؟))^(٣).

(١) رواية رائحة التانغو، ١١٧-١١٩.

(٢) رواية تمنيئك ، فاطمة البحراني، دار روزا للنشر، قطر - الدوحة، ط٢، ٢٠١٩م، ٤٧.

(٣) م . ن ، ٥٦.

وعرضت الروائية فوزية السالم في روايتها (سلام النهار) الاضطرابات التي تعاني منها فئة البدون بسبب عدم اعتراف الدولة بهم، كونهم مواطنين لهم حقوق مثل باقي المواطنين الكويتيين، فأدى ذلك إلى تمزق ذواتهم، ويظهر ذلك من خلال شخصية (فهدة) ((نحن بدون. بدون أي شيء يحمينا أو يغطينا أو يؤمننا ، نحن عراء منبوذ في بدون الأشياء التي تفرق بيننا وبينهم كثيرة... لعل أوقعها وأصعبها على الروح هو أنهم فيها مواطنون ومنتمون إليها، ونحن لسنا حق في مواطنتها، ولا الانتماء إليها، ولا التمتع فيها.

نحن لسنا بوافدين ولسنا بمقيمين، ولاجننا باتفاقات وعقود، نحن بدون))^(١)، فشعورها بالحيث والغبين والظلم أدى إلى ضعف تعمق اللاهوية لديها ((من امتلاك هوية مواطنة ووطن، إلى بلا هوية وبلا حقوق وبلا وطن))^(٢)، وشعور اللاهوية حول (فهدة) إلى شخصية تسعى إلى التحرر الجسدي لإثبات وجودها، فلم تجد سوى ((الرقص هو تحرر الجسد من المقموع بالداخل... فيرقص مذبحاً من الألم))^(٣).

يظهر من خلال النص معاناة (فهدة) وحدة التأزم الهوياتي الذي تعانيه، الناتج من شعورها باللاهوية مما أدى إلى اندفاعها للبحث عن هوية جديدة حتى وإن كانت واهية، لتخرجها من مأزق الهوية التي تعرضت لمحاولات الاستلاب والتنشيطي الوجودي، فلجأت إلى تحقيق وجودها على نحو غير صحيح .

ب- الخنثوية (الأندروجينية):

تطلق على الشخص الذي ((يجمع بين صفات الذكورة والأنوثة))^(٤) إذ يكون ((انتماء الشخص الجنسي غامضاً ومشتبهاً في أمره بين ذكراً وأنثى، ويكون له ملامح جسدية جنسية

(١) رواية سلام النهار، فوزية السالم، دار العين، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ٣٦.

(٢) م . ن ، ٧٢.

(٣) م . ن ، ٥-٦.

(٤) (الرواية العربية ما بعد الحداثة - تقويض المركز - الجسد-تحطيم السرديات الكبرى ، د. ماجدة هاتو هاشم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣م ، ٣٢٢.

مخالفة لخصائصه الفسيولوجية والبيولوجية والجينية^(١)، ويشعر الخنثي بالحيرة والارتباك في تثبيت هويته بسبب انشطاره بين الطرفين الذكر/الأنثى^(٢). وقد مثلت الرواية العمانية بدرية البدري في روايتها (ظل هيرمافروديتوس) البحث عن الذات والاضطراب في الهوية الجنسية، وظهر ذلك جلياً من خلال الشخصية (سعاد)، فهذه الشخصية تعاني صراعاً داخلياً، و ضغوطات نفسية واضطرابات هرمونية سببت لها اختلالاً في توازن أنوثتها ((أنظر لنفسي، أفكر بجسدي المستوي، متى سيصبح لي نهدان نافران مثلهن ؟ الشيء الوحيد الذي سبقتهن به هو الشعر الزائد في وجهي، ذقني الذي نما أكثر من اللازم منذ بلوغي العاشرة، حتى اضطرت أُمي لأخذي إلى تلك المرأة المدعّوة أم حسن التي جدلت خيطها لتزيله عني ... وليت الأمر اقتصر على وجهي، كان جسدي بأكمله يتلبّس بالشعر، وخشية على أُمي من الصدمة التي اعترتني حين لمحت نموه كنت أتفنن في ستر جسدي عنها))^(٣)، تمقت (سعاد) جسدها لفقدانه ملامح الأنوثة، وتطور هذا الشعور حتى أصبحت تشعر أن جسدها ما هو إلا جسد ذكوري، مما ولد لديها مشاعر النفور نحو أنوثتها، وهذا ما جاء على لسان الشخصية ((أنتظر اكتمال أنوثتي، أخجل من صدري الملتصق بظهري كما تردد زميلتي ليلي كلما قررت السخرية مني، وأخجل من طولي الزائد، وذلك الشعر الذي لم تنجح في إزالته خيوط أم حسن ولا كريمات أُمي التي اشتريتها))^(٤). فعدم انسجامها مع جسدها أربك شعورها بالهوية الأنثوية ، وولد لديها شعوراً باللاهوية، فكانت تحمل بداخلها صورتين متضادتين أحدهما كانت تمثل هوية أنثى تحلم بالحب والزواج، وتنقص شكل جسد الأنثى من خلال استخدامها حمالات الصدر الاصطناعية وأدوات التجميل، وهوية أخرى تطغي عليها الهرمونات الذكورية ((اعتدت ارتداء حمالات صدر بإسفنج صناعي ، لأبدو كأنثى كاملة أما زملائي... ورغم أنني لم أكتمل كأنثى،

١) عمليات تحويل الجنس في دولة الإمارات العربية المتحدة : دراسة تحليلية مقارنة ، منال مروان منجد ، مجلة جامعة الشارقة ، للعلوم القانونية ، مج ١٦ ، ع ٢ ، ٢٠١٩م ، ١٠٢-١٠٣.

٢) ينظر : الرواية العربية ما بعد الحداثة - تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى ، ٣٢٦.

٣) رواية ظل هيرمافروديتوس، بدرية البدري، دار عرب للنشر والترجمة، ط١، ٢٠١٨م، ١٦.

٤) م . ن . ٢٠.

إلا أنني كنت أحمل بداخلي روح أنثى ناضجة، أحلم بالحب والزواج، أفرح بنظرات الإعجاب التي يرمقني بها زملائي، أبتسم لحمد الذي كان الطفهم وأكثرهم رجولة ((^(١)).

فتأرجح مشاعر (سعاد) بين الذكورة والأنوثة جعلها تعاني صراع اللاهوية ،ولأجل إثبات ذاتها كان أمامها خياران إما أن تقبل أنوثتها بهذه الصورة أو أن تتخلى عنها وتستبدلها بهوية ذكوري،:((ليس من السهل أبداً أن أقضي حياتي نصفاً، نصف امرأة، أو نصف رجل، عليّ الاصطفاف في الجهة المناسبة لوضعي، في المكان الذي يجعلني أعيش أفضل، منتصف الطرق كأنتصاف الحلول لا تشعنا بالأمان أبداً ، ولا تحمل في طياتها الرضا . ما معنى أن يراني الجميع مرتدية ثوب أنثى، وبداخلي لا أحمل أية ملامح أنثوية تُساعدني على احتمال ثوبي الذي أرتديته، أو ألبسني إياه سواي حين كنت عاجزة عن اختيار ثوبي أو نوعية طعامي، يعاملني الجميع كامرأة كاملة، وأعلم في قرارة نفسي أن النقص يسكنني، لا أحد يعلم ، ولكني بداخلي أسخر من نفسي قبل الجميع لأنني أعلم ما لا يعلمون . يهمس لي الطبيبُ بقلق: - أنت مُصابة بمرض اضطراب الهوية الجنسية))^(٢)،فمشاعر اللاهوية تتضاعف عند (سعاد)، لكونها لم تجد يد العون والمساعدة من قبل عائلتها ، بل على العكس كانوا سبباً في توتر العلاقة بينها وبين أنوثتها مما جعلها تنفر منها((ربما لو أنني وجدت من يهون علي الأمر، ولا يجعل منه قضية حياة أو موت، لو اقتنعت أُمي أن الأمر ممكن الحدوث ولا يعني نهاية العالم، لو آمن أبي أنني لست ضلعا أعوجاً وضع موضع اعوجاجه، لو أنهم ساعدوني على النظر لنفسي كأَي امرأة طبيعية يمكنها مواصلة العيش بشكل ما، أو أنهم فكروا بحل خارج الأفكار التقليدية والمتوقعة، لكنهم لم يفعلوا، كل ما فعلوه أنهم غرسوا فيّ الخوف من الغد والجري خلف أنوثة لن تأتي))^(٣).

(١) رواية ظل هيرمافروديتوس، ٢٢.

(٢) م. ن ١٦٤.

(٣) م. ن ١١٧.

وقد تجلت فكرة التحول من الاسم الذي اختارته الروائية أن يكون عنواناً لروايتها (هيرمافروديتوس)^(١)، إذ يتضح من خلال العنوان البعد الرمزي الدال على القيد الأنثوي الذي كبلها، لذلك قررت (سعاد) التخلص من هويتها الأنثوية، بأجرائها عملية التحول الجنسي ((لقد اكتفيت من اللهث خلف أنوثتي مفقودة، وأن أن أحاول المضي بالاتجاه الآخر، لعلي أنجح ... نعم سيدي الطبيب الأمر كله بيدي، وأنا من سيتخذ القرار، لست مضطرة لأن أستمّر بالعيش ظلاً ممتداً لهيرمافروديتوس*، نصف يرتدي نصفاً ، نصف امرأة تتكى على نصف رجل ، ونصف رجل يختبئ خلف نصف امرأة، أحدهما لا يكمل الآخر، نستمر بالعيش معاً دون أن يُخلد أحدهما، لا نملك إلا الموت والفناء معاً، أي جمال في الانتصاف ؟ في بقائك مشطوراً بينك وبينك، وكأنك عدو نفسك، بعضك يهاجم بعضك ليتخلص منه ويتسنى له العيش والتنفس بحرية، نصف يلتصق بك كتوأم لصيق ولكنه غير مرئي، لا يراه سواك، ولا يتعرّض بظله سواك))^(٢)

وجسده الروائية سحر البحراوي في رواية (سجين الجسد) اضطرابات الهوية من خلال شخصية (رولا) التي تعاني خللاً هرمونياً، فهي ولدت بشكل مشوه، تعاني ثنائية الجنسية ، فلا هي ذكر ولا أنثى،فهويتها ملتبسة بين الجنسين((بقيت حبيسة جسد مشوه، لا هو بجسد أنثى ولا رجل، فالرجولة تأبى أن تنطق من خلف أسواره))^(٣)، وقد اتسم عالم الأنوثة لديها بالإرباك مما ولد لديها شعور اللاهوية، فهي تنقر من أنوثتها ولم تتأقلم مع هويتها الأنثوية فمنذ طفولتها لديها ميولات ذكورية ((منذ أن وعيت على هذه الدنيا لم أَلعب بالعرائس أو الدمى.لم أتقمص

١ (هيرمافروديتوس: هو أسطورة إنجاب إلهة الجمال (أفروديت) كائن خنثي من زوجها (هيرمس)، وهو ابن الإلهين المسمى (هيرمافروديتوس) (Hermoproditus)، وبحسب الميثولوجيا اليونانية، فقد كان هذا الكائن في غاية الوسامة، فأحبه إحدى الحوريات، وتوسلت بالآلهة بأن يتحد معها للأبد، فاستجابت الآلهة لتوسلها ودمج بينهما، فكان هذا الكائن الذي يجمع في جسده صفات الأنوثة والذكورة ، في آن واحد، وأخذ اسمه من والديه معاً (أفروديتوهرميس)، ينظر: من سيفساء أفاميا المفقودة، لوحة المخلوق المخنث هيرمافروديتوس وفلسفة أفلاطونية، تيسير خلف، <https://www.facebook.com>

٢ (رواية ظل هيرمافروديتوس، ١٧١.

٣ (رواية سجين الجسد، سحر سمير بحراوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠١٤م، ٤٠.

دور الأمومة يوماً، ولم تلفت الفساتين ومساحيق التجميل انتباهي أو تستهويني كغيري من الفتيات. لم تكن لسندريلا أو سنو وايت أي قيمة في حياتي؛ فأبطلني هم سوبرمان وبات مان وسبايدر مان. كنت أرتدي ملابس الفتيات من فساتين وتنانير رغماً عني... كانت مرحلة الدراسة المتوسط نقلة نوعية في حياتي في ذلك الفترة فقط تملك نفسي في الملابس والمظهر ورفضت ارتدائي أي شيء غير البنطلونات والقمصان. كانت والدتي تتذمر بين الفينة والأخرى وتقارني ببنت أخواتها^(١)، فهويتها الجنسية تتأرجح بين ذكورة تتوارى خلف أنوثة وهمية وبين أنوثة غائبة، مما شكل لديها اضطراباً جنسياً وتشتتاً هوياتياً، فجسدها وروحها يمثلان جنساً ذكورياً، وإن كانت ظاهرياً أنثى، مما زاد شعورها بأنها ذكر، هو أن ملامح الأنوثة لم تبدو عليها ((أنا بصدري المستو كشارع سفلت حديثاً، فلا مطبات ولا نتوء ولا أدنى بواذر لتضاريس أنثوية... فقد بقيت حبيسة جسد مشوه، لا هو بجسد أنثى، ولا رجل، فالرجولة تأبى أن تنطلق من خلف أسواره، وقد نشأت في سجن ووعيته منذ عهدي المبكر^(٢)، وكانت تعاني صراعاً جسدياً ونفسياً بسبب تشتت الذات بين ازدواجية الجنسين الذكورة والأنوثة، ويظهر هذا في قولها عندما سألتها الدكتورة عن جنسها ((- رولا ، أنت ... خنثى ؟

نعم))^(٣).

ولم تستطع (رولا) التكيف مع انوثتها لذلك ظلت رافضة الانتماء لهذه الهوية وتحاول الانفصال عنها ((يا دكتورة أنا مش بنت أنا محبوسة في جسم بنت بس، والله العظيم أنا مش

بنت))^(٤)، متمسكة بالهوية الذكورية ويتجلى ذلك في رغبتها بأن تكون ذكراً ((أريد أن أكون الرجل، أريد أن أكون الذكر وليس الأنثى))^(٥)، وازداد تأزم الهوية الأنثوية لديها عندما قامت بقص شعرها لتكون بهيئة ذكورية ((قصصت شعري كله لم أبق منه شيئاً يتدلى من تحت

١ (رواية سجين الجسد ، ٢٠-٢١ .

٢ م . ن ، ٣٩-٤٠

٤ م . ن ، ٤٤ .

٤ م . ن ، ٣٥ .

٥ م . ن ، ٩٥-٩٦ .

أذني))^(١)، ولعل السبب في إنها تريد أن تكون ذكراً وليس أنثى لأنها في مجتمع يفضل الذكر على الأنثى، ويمنحه السلطة والنفوذ على المرأة .

ج-اللقطاء:

اسم للشيء الذي تجده ملقى على الأرض من غير قصد ولا طلب، واللقيط هو الطفل الذي يوجد مرمياً على الطرق لا يُعرف والديه^(٢). وقد غلب اسم اللقيط على الطفل الصغير الملتقط المنبوذ^(٣).

ولا شك أن نظرة المجتمع الدونية لمجهولي النسب تؤدي إلى اضطراب الذات؛ لأن بناء الهوية يعتمد رمزاً معينة منها أصل الشخص^(٤)، فعدم معرفة اللقيط بأصوله ونسبه يجعله فاقداً الشعور بالهوية لأن تسمية الأصول ((تحيل على الهوية وتساهم في تكوينها وتخص الهوية بقوة ووضوح في أسماء السلالات والعائلات))^(٥).

وقد شغلت قضية اللقيط الرواية النسوية الخليجية، فجاءت على مساحة مهمة من هذا السرد، وتعدُّ رواية (ظل هيرما فروديتوس) للروائية بدرية البدري، إحدى الروايات الخليجية النسوية التي تطرقت لهذه الموضوعات، التي كان من أبرزها، إشكالية اللقيط الاجتماعية، والدينية، ويتجسد ذلك بالرفض، والنابذ اجتماعياً، وأما دينياً فقد حرص الدين الإسلامي على حمايته، ورعايته، والحفاظ عليه، مع الأخذ بالقوانين الشرعية التي فرضت بين الشرعية الناتجة من الزواج، وغير الشرعية التي تأتي من السفاح والزنا، وارتكاب المعاصي والمحارم، وبذلك يكون

(١) رواية سجين الجسد، ٢١.

(٢) ينظر: لسان العرب، ٧/٣٩٢-٣٩٣.

(٣) ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٨م، ٤٦٢.

(٤) ينظر: الحداثة والهوية سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين والحداثة اللغة، عبدالله حمودي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م، ٢٠٠.

(٥) م. ن. ١٦٩.

اللقيط ضحية خطيئة نزوات الآخرين، وضحية مجتمع نبذه، وأبعده عن الاندماج فيه، والتكيف معه.

وقد تناولت هذه الرواية معاناة اللقطاء، من الجنسين، وعرضت مشاهد سردية مأساوية توضح الحال التي يمرون بها، بخاصة مسلكيات النبذ، والرفض، والازدراء، والإذلال والاستحقار، إذ كانت شخصية (سلمى) الطفلة البالغة خمس سنوات أحد الشخصيات التي أصيبت بشعور اللانتماء، وهي حبيسة دار الأيتام، بعد أن استبدلت مربيتها بأخرى، مما شكل حاجزاً نفسياً، وسلوكياً إلقى بظلاله على ذاتها، ((سلمى البالغة من العمر خمسة أعوام فقد كانت تبكي طول الوقت، باحثة عن أمها ، رافضة الأكل إلا بعد أن تأتي، مرددةً بصراخ لا ينقطع : - أريد ماماتي ، أنا أريد ماماتي

- وين أمها ؟ يعني أنتِ ما أمها ؟

سألت المرأة التي كانت تقوم بدور الأم في ذلك المنزل؛ فأجابتنى :أمها تزوجت، أقصد الموظفة القائمة بدور الأم؛ لذلك -حسب القانون- لازم تترك العمل، وتحل محلها موظفة جديدة تؤدي دور الأم))^(١).

كذلك عرضت الرواية أزمة الشعور باللاهوية التي يمر بها الأبناء اللقطاء من خلال شخصية (بسمه) فقد أصيبت بالاكتئاب، ولم يفلح معها العلاج النفسي، لشعورها الحاد بأنها لقيطة، لذلك لم تستطع الاندماج في مجتمع يرفضها، ((كانت بسمه، هادئة جداً ولا تتحدث، أنها بدأت تفهم وضعها :، أحاول أتقرب منها، لكن للأسف لآن ما متجاوبة معي، لذلك تراجع أخصائي نفسي بالدار، خافين يصيبها اكتئاب))^(٢)، فالأكتئاب الذي تعانيه (بسمه) ناتج

من غياب الوالدين وضياع الانتماء .

١)رواية ظل هيرمافروديتوس ، ١٢٠ .

٢) م . ن ، ١٢١ ،

أما (حسام)، فإنه ((لم يقترب ذنباً ليصاب باعاقة عقلية بعد أن نقص الأكسجين في دماغه بسبب قضائه ساعاتٍ طويلة في صندوقٍ مغلق والشمس تنفث لهيبها فوق رأسه))^(١)، يشعر اللقطاء بدار الأيتام بعدم الانتماء، وهم يعيشون حالة عدم الاستقرار لفقدان الأشخاص الذين تعودوا عليهم، بعدما كانوا أخوة فيما بينهم، وليس لهم إلاّ النسيان، وطي صفحة دار الأيتام، بعد أن تفرقوا وتوزعوا في العيش مع عائلات أخرى، لكن شعور اللاهوية كان كابوساً يطاردتهم في حياتهم، ويسبب لهم مشاكل كثيرة تتبناها الأعراف، والعادات، والتقاليد الاجتماعية، وكان من أهمها عدم الاعتراف بشرعيتهم، أو تزويجهم، وهنا تتسع مأساة اللقيط، وشعوره بالنزب، ومجهولية الهوية، فيبقى يعاني ذنباً لم يقتربه أبداً، وقد كشفت الرواية ذلك ((الأمر أشبه بأن تنام يوماً ولديك أخ ، ثم تصحو ليخبرك أحدهم أنه مجرد حلم ، ولكنه لا يخبرك كيف تنسى ذلك الحلم الذي يلحُ عليك كل ليلة وكأنه حقيقة...)).

لا يقبل أحداً بتزويج ابنته من رجلٍ مجهول الهوية والنسب ، ولا أن يتزوج ابنه من فتاة لا يعرف والديها ، لسنا بمجتمعٍ ملائكي ولا مثالي من يرفضه أهله لا يقبله المجتمع))^(٢).

وترصد لنا رواية (جوهرة) للروائية علياء الكاظمي، إشكالية الانتماء التي رصدتها الرواية السابقة، بما يتعلق باللقطاء، ومعاناتهم وشعورهم بعدم الانتماء، وتعدُّ شخصية (أيوب)، أحد الشخصيات الرئيسة فيها، إذ تبنته عائلة تتكون من الأم (جوهرة) والأب (أحمد) وأبنائهم، وقد كان الجميع رحيماً، عطوفاً معه، يحسنون معاملته، وبخاصة الأبوين اللذين لا يفرقان بينه، وبين أبنائهم، وعلى الرغم من حبه لأمه، لكن شعوراً غريباً بدأ يطرق ذاته، يتعلق بحقيقته، ونسبه، ووالدته ((كان أيوب حائراً وتجتاحه مشاعر غريبة متناقضة، فهو يحب جوهرة كل الحب - الحب كله - لكنه في نفس الوقت - الوقت نفسه - يتمنى معرفة أمه الحقيقية، لم يستوعب في هذه السن الأسباب التي تسببت بتركها له وهو طفل حديث الولادة، كان يشعر بالذل كلما فكر بأنه طفل تخلت عنه أمه))^(٣).

١) رواية ظل هيرمافروديتوس، ١٢١.

٢) م. ن، ١٢٢.

٣) رواية جوهرة ، علياء الكاظمي ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط ١٠ ، ٢٠١٧م ، ٦٠ .

ازداد تحسسُ (أيوب) كثيراً بعد أن عرف أنه لقيط، ولا نسب معروفاً له ، فظلاً يعاني صراعات نفسية، ولدت لديه شعوراً بعدم الانتماء للمكان، والزمان، بعد أن تذكر معاناته، وكيف تُرك في صندوق وسط الشارع، تقلبه الظروف القاسية يميناً، وشمالاً، حتى مشاعر الحب التي تصدر من والده بالتبني، عُدّها نوعاً من التهميش وعدم المساواة؛ لأنه لا يعامله مثلما يعامل ابنه(شهاب) عندما يتشاكس وينال عقابه من والده بالتبني، ولقد انعكس ذلك كله على شخصيته، فكان يشعر بالاغتراب النفسي داخل هذه العائلة، وقد عرضت الروائية مشهداً يصور ضرب (أحمد) لابنه (شهاب)، ولم يضرب (أيوب)، لأنه يعطف عليه، لكن هذا العطف بالتعامل معه سبّب له شعوراً بعدم الارتياح؛ لأنّ معاملته اختلفت عن معاملة أخيه((تنهدت جوهرة بارتياح لأن أحمد استطاع كبح جماح غضبه ولم يضرب أيوب، التفت أحمد ليدخل المنزل ، وأعطى ظهره للولدين، وبمجرد أن خطى ناداه أيوب برجاء: أبي

التفت أحمد نحوه ونظر إليه مستفسراً .. فاقترب أيوب منه وقال : اضربني كما ضربت شهاب فأنا استحق الضرب مثله.

كان أيوب يريد أن ينال عقابه، فالأب لا يتردد أبداً في تأديب أولاده ، لكنه يتردد قطعاً في تأديب الغرباء ، وما فعله أحمد لتوه عزز في نفسه شعوره بالغربة بين هؤلاء القوم الذين لا يعرف له أهلاً غيرهم .لم يفهم أحمد ما يمر به أيوب ،ولم يعرف أبداً أن عفوه عنه قد زاده ألماً لا امتناناً ، فربت على كتفه وقال بقوة: لا تكرر مثل هذا السلوك ثانية.

ودخل أحمد إلى المنزل .. وهو غافل عن العواطف المدمرة التي اجتاحت قلب أيوب في تلك اللحظة التي لم يستطيع أبداً طوال حياته ((^(١).

يحاول (أيوب) أن يفصح عن ألمه، ومعاناته، عن طريق المونولوج الداخلي، حوار مع ذاته المفقودة، أراد أن يتذكر ملامح أمه، ويرسمها، لعلها تكون جزءاً من ملامحه، فيكشف شيئاً من هويته وانتمائه، ليبدأ حوار ((أُمي ... من أنتِ؟))^(٢)، والذي نلاحظه أنّ الحوار يبدأ

(١) رواية جوهرة ، ٦٥ .

(٢) م ، ن ، ٧١ .

باستفهام (من أنت) يتخللها لألم، والتوتر، والضياع، والرغبة بمعرفة الانتماء، حتى تتفجر عاطفته، ليصور معاناته النفسية، وعلاقة الأم بوليدها، ((آه لو تعلمين كم تمنيت أن ألتقي بك، أن أراك ولو لمرة واحدة ثم أموت بعدها وأغادر هذه بلا عودة، أُمي سئمت من تخيل تفاصيلك وسئمت أكثر من اختلاق الأعذار لك، رسمت لك في مخيلتي عشرات الصور، لا، بل رسمت لك في مخيلتي مئات الصور، تخيلت ملامحي موروثاً من وجهك أنت، وتخيلتك تحلمين بي وتتمنين معرفة ملامحي، لا أظن أنك تذكرين شيئاً مني، لا بد أن الفرصة لم تسنح لك لتتأمليني، فقد تخليت عني سريعاً، أتعرفين.. لقد اختلقت لك عشرات الأعذار، لا بل مئات الأعذار، لكنني أتمنى لو أمكنني معرفة الحقيقة منك في يوم من الأيام، أريدك أن تظهرني كي تريح قلبي وتؤكد لي أنني على الأقل ثمرة زواج أياً كان نوعه، لا أطيق أن أتخيل أنني ابن خطيئة، لا أحمل أن أستوعب أنني أتيت لهذه الدنيا نتيجة زلة منك ومن أبي، أتعرفين.. لا أعرف لم لا أفكر بأبي كما أفكر فيك أنت، ربما لأنني أشعر بداخلي أنه سبب تخليكي عني، لا بد أنه تخلى عنك وأكرني وإلا ما كنت لترمين بي يا أُمي.. أليس كذلك؟))^(١)، يكشف السرد عن ألم شعور اللاهوية التي تشغل (أيوب) حتى بدأ حوار، وأنهاه باستفهام لم يحصل فيه على جواب، وهذا يعكس شدة الصراع، وتفاقم الأزمة النفسية التي يمر بها.

وتصور الرواية علاقة (جوهرة) بـ(أيوب)، فعلى الرغم من وجودها، واحتضانها له، لم تعوضه عن رغبته بالتعرف على أمه الحقيقية لأنها تشكل عنصراً أساسياً في تعزيز انتمائه ((أن لا تعرف أمك يعني أنك لا تعرف نفسك، لا تعرف المرأة التي أتت بك إلى هذه الحياة، شيء ما ينقصك، شيء جوهري ثمن لا يعرفه إلا من حُرِم منه، شيء لا يعوض وجوده أحد، لقد عانى أيوب الكثير خلال سنوات حياته الماضية، وصار يعرف أن معاناته لن تنتهي إلا بانتهاء عمره إلا إن حدثت معجزة ما وظهرت أمه الحقيقية وأجابته على كل أسئلته التي كانت ولا زالت تقض مضجعه. كان أيوب يحس بالذنب بداخله لأن وجود جوهرة بجواره لم يغنه عن رغبته الجامحة باكتشاف حقيقة أمه، جوهرة التي لم تقصر معه في شيء، جوهرة التي كانت دائماً تدعمه بكل وسيلة ممكنة، إنه ابنها من الرضاعة وهو ممتن لأنه تربى في كنف هذه

(١) رواية جوهرة ، ٧١ .

المرأة الرائعة التي لا مثيل لها ، لكنه رغم ذلك كان يتوق لمعرفة من تكون أمه الحقيقية^(١)، وإذا ما أردنا أن نستنتج معاناة (أيوب) لوجدنا أن معرفة الأم، هي الهوية بعينها ((لم يكن يريد معرفة أمه الحقيقية لأنه معذب في حضن جوهرة، بل على العكس فحضان جوهرة هو النعيم بذاته، لكنه كان يريد أن يعرف هويته، يريد أن يعرف حقيقته ، يريد أن يعرف ابن من هو ، ما أصعب أن يجهل المرء من يكون))^(٢) .

وتزداد الأزمة صعوبة عندما يحاول اللقيط، أن يجد ذاته، وهويته في الآخر، لذا وجد في (وردة) منفذاً نفسياً، وروحياً يخرج منه، لكن ذلك يصطدم بجدار صلب من العادات، والتقاليد، والنظرة الدونية والتهميش والرفض من المجتمع، ومن أهل حبيبته بخاصة أمها، وقد يكشف الحوار الذي دار بين (أيوب) و (أم وردة) نظرة المجتمع القاسية تجاه مجهولي النسب ((أيوب هذا الحب مستحيل وأنت بلا شك تعرف الأسباب . رد عليها بحزن : لأنني مجهول الوالدين صحيح؟ قالت بصوت خالٍ من المشاعر:أيوب، أنت تعرف المجتمع، لا أريد أن أجمل الأمور بحيث تبدو على غير ما هي عليه، بصراحة لا يشرفني أن أزوجه ابنتي ،افهم، سيكون الأمر صعباً إن عرف أبناؤكما حقيقتك سألها وكأنه يواجه مجتمعاً بأسره : لم؟ ما ذنبي أنا في ما أنا عليه ؟ قالت : أيوب سيعايرك الناس بأنك بلا والدين، ستعاني وسيعاني كل من يرتبط باسمك، سيأتي يوم لن تحتملك فيه وردة، من حقها أن تتزوج برجل يليق بها))^(٣)، وعلى الرغم من ذلك ظلت (وردة) مصرة على الزواج منه، وكسرها النظرة المقيتة للقيط، وبذلك يرسم السرد صورة إيجابية في نظرة الآخر (وردة)، لـ (أيوب) بأبعادها الإنسانية كافة.

وقد انعكس الرفض على (أيوب) وذاته المتصارعة، التي تبحث عن هويتها، وقد صور ذلك بانفعالاته النفسية، التي تتخللها الكثير من علامات الاستفهام: ((كيف رضيت لي هذا المصير ؟ كيف سلمتني لخدمة لترمي بي بين حاويات القمامة ؟ أشعر بالذل والمهانة كلما

(١) رواية جوهرة ، ٧٣ .

(٢) م . ن ، ٩٧ .

(٣) م . ن ، ١٦٨ .

تذكرت الأمر، أيعقل أن تكون هذه قيمة إنسان لا ذنب له ؟ أن يرمي كالتفانيات التي لا حاجة لوجودها، أهكذا أنا ؟ شخص لا حاجة لوجوده في هذه الحياة ؟ شخص لا قيمة له؟^(١).

وبعد أن أصيب بالخيبة والخذلان؛ لأنه لم يتزوج (وردة) أخذ يبحث عن بديل، شريطة أن يكون شبيهاً به، فاقداً لهويته، ونسبه مثله، وقد طلب ذلك من أمه بالتبني (جوهرة) بقوله: ((ابحثي لي عن فتاة مثلي . نظرت إلية متسائلة : ماذا تقصد ؟ قال بقهر لا يوصف :- ابحتي لي عن فتاة لقيطة مثلي لأتزوج منها))^(٢).

وقد رسمت الرواية صورة أخرى للقيط، تمثلت بشخصية (جميلة)، الفتاة اللقيطة التي نشأت، وترعرعت في كنف عائلة أخرى، إلا أن مشاعر الازدراء، والرفض بدت واضحة، لا لأنها لقيطة وحسب، وإنما بسبب لون بشرتها السمراء الذي لا يشبه لون أفراد العائلة التي تبنتها، مما شكل بعداً نفسياً في ذاتها خلق لديها صراعاً داخلياً، جعلها تعيش حالة اللانتماء لتلك العائلة ((كبرت جميلة وسط العائلة، لم تعرف أنها ليست ابنتهم إلا عندما دخلت المدرسة، كان الأمر صدمة لها، بدأت تلاحظ بعدها الفرق الواضح في لون بشرتها ولون بشرة أسرتها، أن بشرتهم في لون القمح في حين يشبه لون بشرتهم لون الشكولاتة التي تعشق أكلها ... كبرت جميلة وتزوجت أختها من رجل من عائلة ثرية، كانت أختها تخجل منها وتحاول أن تتجنب ظهورها معها أمام أهل زوجها . تزوج أخوها أيضاً من فتاتين من العائلة، كانتا لا تطيقانها لمجرد أنها سمراء وتحمل ملامحاً هندية))^(٣)، فعاشت (جميلة) عذابات عدم الانتماء من خلال بعدين: بعد يتمثل بنظرة المجتمع التحقيرية للقيط التي وصل ارتداد صداها إلى أبناء العائلة التي تبنتها، فعاملوها معاملة قاسية يغلب عليها الإقصاء والاحتقار، وبعد آخر يتمثل بالعنصرية المتأصلة للون الأسود، وكل هذا ولد لديها شعوراً بالدونية واللاهوية.

وتصور الروائية نورة محمد في روايتها (دم فاسد) الشرخ والتصدع الهوياتي الذي تعانيه شخصية (هند) الفتاة اللقيطة الذي نبذها المجتمع، فمنذ ولادتها تبناها (أحمد) و(سارة) لعدم

(١) رواية جوهرة، ١٩٩٠ .

(٢) م . ن ، ١٨٤ .

(٣) م . ن ، ٣٠٢-٣٠٣ .

انجابهما الأطفال، وبعد عشر سنوات تخليا عنها؛ لأنهما أنجبا طفلاً بعد ذلك ؛ ولأن الجدة لم تستسغ (هند) منذ البداية بكونها فتاة ولدت من خطيئة فرفضتها لكونها لا ترغب أن يعيش حفيدها مع فتاة لقيطة وصفقتها بدم فاسد، وبعد وفاة سارة أمها بالتبني، أمرت الجدة بعودتها إلى دار الأيتام، مما ولد لديها مشاعر اللانتماء التي لازمتها طوال حياتها، فعندما تبنيتها العائلة الأخرى (فارس) و(عائشة) لم تتأقلم معهما؛ لأن شعور التخلي عنها ترك آثاره السلبية في مشاعرهما، ((لا أشعر بالانتماء إليهما. كيف سأفرح وأكون على طبيعتي؟ ثم أنني لا أريد أن أتصالح معهما أنا لا أحبهما؛ لأنه ما أن يتعلق قلبي بهما ويحبهما ، سيتخليان عني))^(١)، وتخطبها من عائلة إلى عائلة أثر على نفسيتهما فشكّل لديها تصدعاً ارتدادياً تجاه الحياة ((وجهت نظري نحو السماء وبكيت العالم هنا رمادي جداً لا ألوان أستطيع تمييزها ولا حياة. العالم يموت في عيني . لا أستطيع تمضية حياتي مثل بقية الأطفال))^(٢).

د- أصحاب البشرة السوداء :

عندما نقلب أوراق التأريخ، نجد في البشرية، وتاريخها الضارب في القدم أشكالاً متعددة من التفرقة، والرفض والازدراء على أساس الجنس، والطبقة، واللون، وقد ارتبطت مسألة اللون تاريخياً بنظام الرق، والعبودية حتى أنّ رواسبها ماتزال موجودة في أنحاء العالم كله.

وقد عكست الثقافة، تصوراتٍ مختلفة تجاه أصحاب البشرة السوداء، إذ ما تزال صور تحقيرهم في التاريخ سارية، وخير مثال على ذلك مجتمعات ما قبل الإسلام التي صورت العبودية، وتجارة الرق، والعلاقة بين السيد والعبد، فضلاً عن صورة الشعراء السود من أمثال عنتره، وتأبط شراً، والسليك بن السلكة، الذين أطلق عليهم أغربة العرب بسبب لون بشرتهم السوداء، وهذا يعني أنّ النظرة كانت تتسم بالسلبية والاستهانة والاحتقار، فولدت كراهية بين الأنا والآخر.

فكان اللون في الدول الأوروبية ((هوية تتفوق على اللغة وعلى المعتقد وعلى السلالة...))

(١) رواية دم فاسد،، نورة محمد، قنديل للطباعة والنشر، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٥م، ٨٠.

(٢) م . ن ، ٥٦.

ولقد اتخذ الصراع في أمريكا خاصة اللون ليكون هو الأساس للمقاومة أولاً ثم للتمييز الثقافي والاجتماعي بعد ذلك، والسبب هنا هو تعرض السود للقمع والتهميش بسبب لونه في مقابل اللون الأبيض الذي هو لون السيادة والهيمنة، وهذا التعالي لدى الطبقة البيضاء هو ما دفع إلى المقاومة لدى السود لمواجهة الظلم والقمع ((^(١).

وقد طرحت الرواية الخليجية النسوية، هذه الإشكالية الثقافية، وعالجتها في نصوصها السردية، وتعدُّ رواية (لأنني أسود) إحدى النماذج الروائية التي صورت مظاهر الإلغاء والتحقير والنظرة الدونية، لأصحاب البشرة السوداء، ويتضح ذلك بدءاً من عنوان الرواية، الذي يعودُ بنا إلى جذور تلك العلاقة المضطربة بين الأسود، والأبيض، وازدراء الأجناس البشرية على وفق أجناسهم وألوانهم، حيثُ كشفتُ في متنها الروائي عن معاناة (جمال) الشاب ذي اللون الأسود ((لم يختَر جسدي لونه..كنت كجميع أبناء جلدي، بعد أن قررت جيناتي ...أنني أسود. لحظتها أصدرت حنجرتي صراخاً شق سكون المكان.. خشية مستقبل ينضج بالاختلاف محمل بإرث عنصري لا فكاك منه))^(٢)، فالسرد هنا كشف عن معاناة (جمال) ، وما خلفه لونه من صراعات نفسية، كانت تشير للإهانة والإذلال، والشعور بالدونية، والنقص، والسخرية من الآخرين ((معنى أن يكون لونك مصدراً لأهانتك معنى أن تحمل هوية لونية منذ ميلادك حتى الممات. هوية تتقن تعريتك . تحدد انتماءك قبل أن تصرح به... تسبغ عليك الإجماع قبل أن تقتصره..توصل بالفقر قبل أن تُبتلى به ... هذه هويتي ... هل تقبل بها أنت ؟ هل تقبل أن تكبل حياتك في أحياء لا يسكنها غيرك ؟ هل تقبل أن تُفتن مشاعرك بنساء لا يخرجن عن حدود هويتك ؟ هل تقبل أن تعيش يومك رهن حماقات ونكات تتلذذ بصفحك ؟ هل تقبل أن تعرف بـ (العبد ؟))^(٣)، يعودُ بنا النص إلى جذور التاريخ، وأيام العبودية والرق، وما وقع عليهم

(١) القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٩م، ٥٧.

(٢) رواية لأنني أسود ، ١ .

(٣) م ، ن ، ٣-٤ .

* يلقب أصحاب البشرة السوداء في الخليج بالعبيد، والسود والحوال، والأفارقة. المجتمع الأسود والعنصرية بأشكالها المختلفة في الخليج ، وفاء العم ، www.almayadeen.net.

من جور، وحيف، واضطهاد حتى لقبوا بالعبيد، وكأنَّ التاريخ يعيد نفسه، حتى بعد أن جاءت الرسالات السماوية التي أكدت على نبذ التطرف، والعنصرية، وإحلال مبدأ العدل والمساواة.

ويعقدُ السردُ مقارنة بين الشرق والغرب، ونظرتهم لأصحاب البشرة السوداء، على الرغم من سلبيتها، فإنَّ الشخصية تصرِّحُ بأنَّ الشرق أهون من الغرب في نظرتهم، لكنَّ المفارقة تكاد تكون واضحة، ففي الخليج ينعنون أصحاب البشرة السوداء بالعبيد*، لكنهم يردفون، محاولين تصحيح المسار، بأنَّ الجميع عبيد الله، وهنا تكمن المفارقة، لأنَّ الأفعال تخالف الأقوال ((في الكويت ينعنونك بالعبد ؟ كل أسود في الخليج هو مشروع عبد يا عزيزتي ... وكل من ينعنها بذلك يردف : " كلنا عبيد الله " هكذا ظنوا أنهم يخدعون الله يدعون سوا سيئنا أمامه ، وفي داخلهم قرروا أن السود وحدهم عبيده))^(١).

وتصور الرواية، علاقة الفرد بمجتمعه الذي يرفضه، وأنَّ العلاقة قائمة على التنازع، ورفض ثقافة الاختلاف، حتى عدَّ الزواج بفتاة بيضاء من آخر أسود تشويهاً لنسبها، حتى وإنَّ خالف ذلك كلَّ القوانين الدينية، والأخلاقية، وبناءات العدالة، والمساواة، ويمكن عدَّ التمسك بالدين، وأحكامه، ومن ثم مخالفتهم، نوعاً من المفارقات الثقافية التي تولدت نتيجة إرث اجتماعي، لا علاقة تربطه بالدين، أو تعاليمه: ((تذكرت ملامحه - لحظات الألم النادرة - وهو يحكي لها عنصرية جارهم حين تقدم أحد أبناء جلدته لخطبة ابنته ، فرفضه فقط لأن خالته تزوجت بأسود، تخلص (فوزي) عن اعتزازه بذاته، وتفاؤل بمحيطه تلك اللحظة : " حين تقرر المرأة البيضاء الزواج بأسود، فإنها تشوه نسب عائلتها، كمن تحقق جيناتها بالجراثيم ... فتخشى العائلة بأكملها من العدوى، جارنا ذاك متدين، لكنه يتناسى ، متى شاء ، أن ديننا يساوي بين البشر، هم ذات البشر الذين يجاورهم أمام بيت الله في رحلة حج لا يفوتها سنوياً . يتناسى أن اللون الأسود ، خيار الله وحده، في حين أن العنصرية خيار البشر الذين أسقطوا من حسابات الدين، وأحاديث الرسول الكريم كل ما يُعري عصبيتهم، ويفضح عنصريتهم . ما إنَّ يُنهي ذلك العنصري رحلة الحج تلك، يعود لسلطة قبيلته، عائلته، وأمواله، حتى ينقلب على مقاييس الخالق، ويستبدلها بمقاييس المخلوق الذي لا يتأقلم إلا مع من

(١) رواية لأنني أسود ، ٦٩-٧٠.

يشابهه حد التطابق، لا يهم إن كان ذلك المخلوق، سيء الخلق المهم أن نسبه لا يشوبه عرق مختلف لون مختلف^(١)، ويمكن القول أن هذه الرواية كشفت عثرات انتماء الذات من خلال إحساس أصحاب البشرة السوداء بمشاعر اللانتماء التي تعمقت من بؤرة المفارقة الناتجة من التمييز العنصري مما أدى إلى عدم الاندماج مع المجتمع.

ويعدُّ التميز العنصري والتعصب للعرق واللون أحد مظاهر الحياة المنتشرة في كثير من المجتمعات، وهو مظهر سلبي لما له من آثار نفسية تؤدي إلى تأزم شعور اللاهوية والضياع والتهميش عند الفرد .

وقد عرضت الرواية حساسية المجتمع الكويتي بما يتعلق بالزواج من أصحاب البشرة السوداء، ويبدو ذلك واضحاً عندما رفضت (سارة) الزواج من (جمال) على الرغم من الحب الكبير الذي كان بينهما)) أعرفك تقررين حياتك.. لماذا عجزت عن هذا القرار؟

- لأنه مسألة حساسة .. إنه زواج .

- زواج بأسود .

- قد أستطيع مجادلته في كثير من الأمور ، لكنني عجزت عن مجادلته في هذا الأمر تحديداً .

- لأنني أسود ؟

- لا يهمني سوادك فأنا أحبك أنت، أحبك به ومن دونه ، ولكن ... لكنهم أهلي))^(٢)، وبهذا

يقف اللون حائلاً أمام جمال وحببته، وكلّ ذلك يلقي بآثاره النفسية على الأنا والآخر، فالمعادلة بين الطرفين قائمة على الإيجاب، لكنها عندما تصطدم بالمجتمع وإكراهاته، تتزاح عن محتواها الإيجابي، وتولد نسقاً سلبياً يتمثل بالرفض.

(١) رواية لأنني أسود، ١٨٧-١٨٨.

(٢) م، ن، ٢٥١.

ويكشف السرد الأسباب التي ولدت نسق الرفض والكراهية، الذي أُحيط بـ (جمال) في علاقته بحبيبته: ((- واجههم ، قاتلي من اجلي .

- لا أستطيع ، حجتهم أقوى مني .. لو لم تكن أسود اللون لاختلف الأمر .

- عدنا للون .. كما توقعت .

- بالنسبة لهم بالتأكيد

- وأنتِ؟

- حاولت الدفاع عن وجهة نظري لكن حجتهم أقوى .

- بأي شيء حاجوك عدا لوني الذي تعشيقه حسب علمي ؟

- توقفوا طويلا عند تأثير قناعاتي على مستقبل أطفالي .

- أطفالك؟

- أطفالي س يحملون الصبغة ذاتها ، لأن صبغتك أقوى .. هذا الأمر يشكل كارثة بالنسبة لأمي ، والأهم بالنسبة للمجتمع الذي مازال يتعامل معك بعنصرية ، كما تؤكد أنت دائما

- يبدو أن لوني بات يشكل هاجساً بالنسبة لك أيضاً كل المصطلحات العنصرية التي واجهتها في حياتي .. لم تشكل مأساة مقابل حقيقة أن حبيبتي الوحيدة ترفض أن ترزق بطفل يحمل صبغتي))^(١)، تحاول الشخصية أن تجد منفذاً يخرجها من أزمتها الذاتية، وصراعها مع المجتمع وعاداته وتقاليده، ونظريته العنصرية لأصحاب البشرة السوداء، فلا تجد إلا الهرب من واقعها المرير الذي أصبحت فيه الهوية ضائعة لا تستطيع التعايش مع المجتمع بشكل طبيعي لعدم إثباتها الانتماء، لذا قرر (جمال) العودة إلى أمريكا، هارباً من بلده الأم الذي رفضه، ونظر إليه نظرة دونية على الرغم أنه بلد إسلامي إلا أنه تجاهل تعاليم الدين التي تدعو إلى العدل والمساواة بين الجميع، ((لم يعد لي مكان في بلد ، يرفض حبي لمجرد أنني أسود،

(١) رواية لأني أسود، ٢٥٢.

وتظل الحبيبة تتوارى خلف حجج الأهل .. حبيبتني البيضاء اليافعة تشتتني جسد هذا الأسود الفحل ، لكنها تخشى أن يتلون أطفالها بلونه ، صبغته^(١) قرر أن يندمج مع المجتمع العربي موطن والده عندما غادر أمريكا لكنه، فشل في محاولاته ولم يستطع أن يحقق انتماءً بسبب العنصرية التي شعر بها اتجاه أصحاب البشرة السوداء، لذلك قرر العودة إلى أمريكا ((اليوم أحقق رغبة أُمِّي .. اليوم أعود لبلد لا ينعتني بالعبد .. ويحاول خداع الله بالاستغفار مردداً : كلنا عبيد الله . اليوم أعود لبلد، لا تخشى نساءه التعبير عما يحبين ، يشتهين .. دون أن ينظرن وراءهن لمجتمع يتوقف عند انتماء أزواجهن .. وصبغة أطفالهن))^(٢)، وبذلك يكشف النص عن مدى التناقض الذي يعيشه المجتمع المسلم، حيث يخفي نسقاً مضمرًا يتمثل بالمفارقة في قراءته، وتطبيقه للدين، وبدل ذلك على تفوق العادات والأعراف الاجتماعية على كل التعاليم الدينية.

وتناولت الروائية جوخة الحارثي في روايتها (سيدات القمر) أحوال العبيد المستعبدين في الخليج العربي من خلال شخصية (ظريفة) وابنها (سنجر)، فنظرة (أبو سلمان) سيدهما لم تكن بمنأى عن رؤية المجتمع لأصحاب البشرة السوداء المرتبطة بالرق والعبودية، فعلى الرغم من إلغاء العبودية إلا أنّ (أبو سلمان) يصّر على التعامل مع (ظريفة) وابنها على أنهما عبيد عنده، ويبدو ذلك واضحاً من رد (أبو سلمان) عندما رفض قرار (سنجر) بالسفر بقوله: ((سنجر عبيدي أنا كيف يسافر ولا يستأذن مني؟))^(٣)، مما جعل (سنجر) يقرر الهرب من هذه النظرة التحقيرية ويصر على السفر ليحقق لذاته توازنها الطبيعي، وبخاصة عندما رفضت والدته أن يسمي ابنته اسماً من أسماء أسياده ، ويرفضها زادت حدة الأزمة لدى ابنها؛ لأنها وضعت دائرة لا يمكن للعبيد أن يتشابهوا بأسماء أسيادهم، ولعل موقفها مرتبط بدلالة نفسية تعمق شعور اللانتماء مع طبقة أسيادها أصحاب البشرة البيضاء ((قالت له : صحيح اللي سمعته يا سنجر؟ تترك بلدك و أهلك وتسافر؟

(١)رواية لأنني أسود ، ٢٥٥.

(٢) م . ن ، ٢٥٥ .

(٣)رواية سيدات القمر، جوخة الحارثي، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ١٧.

قال سنجر: نعم صحيح، وتعالى معي إذا تريدن.

هجمت عليه تشد رقبتة: تسمي بنتك هذا الاسم الغريب رشا وتريد تهاجر؟

أقلت يدها بقسوة وصاح فيها: اسمعي يا أمي، بنتي مايهمني اسمها ولو كانت ولد سمّيته محمد أو هلال أو عبد الله.

صاحت ظريفة: أيش؟ سيفتلك التاجر سليمان تسمّي على اسم أهله وأولاده؟ أنت جنّيت يا ولد؟ تكبر راسك على من؟ من رباك وعلمك وزوجك؟

تكلم من بين أسنانه: اسمعي ياظريفة التاجر سليمان ماله دخل بي ، نحن أحرار بموجب القانون، أحرار ياظريفة، ... كل واحد سيد نفسه، ما حدّ سيد حدّ، أسافر كما أريد وأسمي أولادي كما أريد، وإذا تريدن تبقي معي ابقين^(١)، فالصراع الذي يشعر به (سنجر) هو صراع ناتج من هوية الرقيق التي ألصقتها المجتمع بالخدم أصحاب البشرة السوداء.

ومن جانب آخر تناولت الروائية منيرة سوار في روايتها (جارية) الصراع الداخلي ورغبة الذات في الانسلاخ من انتمائها اللوني، ويتمثل ذلك من خلال شخصية (جارية) الفتاة السوداء التي تعاني أزمة هوية ناشئة من لون بشرتها، إذ تسبب لون بشرتها السوداء بنشوء علاقة عدائية بينها وبين هذا اللون، ويظهر ذلك من خلال حديثها عن أمنيّتها في محو اللون الأسود من كوكب الأرض واستبداله بالأبيض ((لو كان بإمكانني لسكبت جالونات من هذا اللون الخرافي على كوكب الأرض كي يصطبغ كلياً بالبياض))^(٢)، وهذه الأمنية كشفت عن مضمر نفسي متشظي، فلون بشرتها أفقدها الثقة بنفسها، مما جعلها تنفر من النظر لوجهها ((لا وجود لمرأة أفقدت من خلالها وجهي. أزلتها من قرب المغسلة لا أريد أن يكون وجهي أول ما تقع عليه عينا))^(٣)، ويتجلى الكره للون الأسود لديها في رغبتها بالتقيوء عندما خطبها ابن خالته (عبيد)، وهذا الشعور ماهو إلا انعكاس لواقع متأزم ومهمش تعيشه الشخصية بسبب لونها ((لا

(١) رواية سيدات القمر، ٩٣-٩٤..

(٢) رواية الجارية، منيرة سوار، دار الآداب لنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٤م، ٢٥.

(٣) م . ن ، ٢٥.

مستحيل كلما أحاول تصور أن يكون عبيد في يوم من الأيام زوجي ، تتنابني رغبة حقيقية في الاستفراغ... سوداء مثلي كيف لها أن تتصور أن ترتبط برجل يختلف عن عبيد؟ سوداء مثلي ليس لها إلا أسود مثلها... أي مصير ينتظر أولادي إن نفذت لهم رغبتهم بالزواج من عبيد؟ أسود + سوداء = أطفال سود، يعانون كما عانيت . يتجرعون الذل والهوان كما تجرعتهم منذ نعومة أظفاري ((^(١))، فهي تعاني صراعاً نفسياً بسبب نبذ الآخرين لها ((أيتها السوداء ما الذي أتى بك إلى فصلنا؟ اطلبي من المعلمة أن تنقل كل فصل آخر، وإلا سنجبرك نحن على تركه بالقوة. هههه هذه خادمتنا الجديدة يا بنات إياك أن تلمسيني كي لا توسخيني بلونك الأسود!))^(٢) إنَّ الحيف والظلم والتهميش وعدم المساواة تجاه أصحاب البشرة السوداء أضعف الشعور بالهوية وولد الاحساس باللاهوية .

نلاحظ مما تقدم أن الروائيات الخليجيات سعين إلى تسليط الضوء على الهوية، وعرض معاناتها وصراعاتها وأزماتها الناتجة من رفض المجتمع لها.

وقد تنوعت أنواع الهوية التي تناولتها الرواية النسوية الخليجية بتنوع الموضوعات والمضامين الروائية التي قدمتها، وكان للمرأة القسم الأكبر منها، فجاءت بأشكال مختلفة منها الهامشية، والمنسلخة عن واقعها، واللاهوية.

ونلاحظ أنه إذا كان التهميش والانسلاخ تجسد بهوية المرأة، فإنَّ اللاهوية تنوعت شخصيات أبطالها بين رجال ونساء، مما يعني محاولة الرواية النسوية في الخليج لأن تكون شمولية واسعة .

١ (رواية الجارية، ٤٣ .

٢ (م. ن ٤٦ .

الفصل الثاني

أثر السلطة في تشكيل الهوية

- المبحث الأول : السلطة السياسية
- المبحث الثاني : السلطة الدينية
- المبحث الثالث : السلطة الاجتماعية

مدخل

مفهوم السلطة:

يعدُّ مفهوم السلطة، من المفاهيم التي تتعدّد معانيها، بتعدد مواضيع استعمالها، فهناك السلطة، الفردية، والأبوية، والذكورية، وهناك السلطة السياسية، والدينية، والمجتمعية، فضلاً عن السلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، وهذا يعني أنّ المفهوم يتسع، وينتقل من المعنى الفردي، إلى المعنى الجماعي، على وفق نظام خاص لكنّ معاني القوة، والهيمنة، والتسلط، تبدو في جميعها متساوية. وتصبح بذلك السلطة هي كل القوى والآليات التي تتحكم بالفرد والمجتمع بشكل عام^(١).

ويعرّف (لاسويل) السلطة، بأنها ((عملية تأثير في سلوك الأفراد من خلال فرض الحرمان والضغط والجزاءات عليهم أو التهديد بغية تحقيق امتثالهم للسياسة المعروضة للتنفيذ))^(٢)، ويبدو أنّه جعل من الحرمان والضغط والجزاء، المبطّن منها، والمغلف شرطاً أساساً للسلطة، من أجل استجابة الأفراد لها^(٣).

ويتصل مفهوم السلطة عند (فوكو) بالقدرة على التحكم بسلوك الأفراد، فيرى أنها تدلُّ على ((ممارسة نشاط ما على سلوك الناس، أي القدرة على التأثير في ذلك السلوك وتوجيهه نحو الأهداف والغايات التي يحددها مَنْ له القدرة على فرض إرادته))^(٤). وعند البحث عن الجذور الفاحصة لمفهوم السلطة، نجد أن التسلط يرتبط بالقهر، والحجة والبرهان، والدليل،

١) ينظر: الإنسان والسلطة (إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية)، حسين الصديق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ٣١.

٢) مفهوم السلطة السياسية-مساهمة في دراسة النظرية السياسية، رعد عبد الجليل، مركز دراسات دولية، جامعة بغداد، ٣٧، ٢٠٠٨م، ١٢٣.

٣) ينظر : م . ن . ١٢٣.

٤) المعرفة والسلطة، ميشال فوكو، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٤م، ٤٤.

والقوة^(١).

وقد ارتبطت الرواية العربية بالواقع وتقلباته، السياسية والدينية، والاجتماعية، بصورة عامة، وبما أنّ الرواية الخليجية والنسوية منها تحديداً تعدّ جزءاً مهماً، وأداة كاشفة لهذا الواقع، بأبعاده واتجاهاته كافة، وقراءة ما وراء النص، من أنساق مضمرة، تبيّن أزمة الهوية وصراعاها، وعلاقتها بواقع متغير، يتوافق في أغلب الأحيان مع الظروف التي تجعله أسيراً لكل مشاربها الفكرية، والثقافية.

وعليه يسعى هذا الفصل في كشف هيمنة أشكال متنوعة من السلطات داخل النص الروائي النسوي الخليجي، تتكئ على منظور أيديولوجي تبين تأثر الهوية وتغايرها تحت ظل السلطات السياسية والدينية والاجتماعية وتجلياتها وانعكاساتها في تشكيل المحتوى الجوهرى للهوية .

(١) ينظر : لسان العرب، ٧ / ٣٢٠. وينظر : القاموس المحيط ، الفيرروز أبادي، تح : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م ، ٦٧١. تاج العروس الزبيدي، تح : عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٠م ، ١٩ / ٣٧١.

المبحث الأول

السلطة السياسية

المبحث الأول

السلطة السياسية

تعدُّ السلطة السياسية، من أخطر أنواع السلطة، إلى جانب السلطة الدينية والاجتماعية، وتعني في معناها المادي ((أجهزة الدولة التي تقوم بممارسة السلطة بمعناها المادي، والتي يطلق عليها عادة اصطلاح الحكومة وأجهزتها التنفيذية))^(١)، ويرى علماء الاجتماع بأنها ((الاستخدام الشرعي للقوة، بمعنى أنَّ الشخصَ ذو السلطة، هو الشخص الذي يمارس أشكالاً منها، ويصبح الفرق بين القوة والتأثير في هذه الحالة واضحاً، إذ أنَّ التأثير يتولد عن خضوع طوعي من شخص آخر، بينما يتولد عن القوة خضوع قهري))^(٢)، وبذلك يمكن أن نستشف أنَّ للسلطة معانٍ نفسية، وروحية، أكثر من معانيها المادية، التي تستعمل لتوليد الآثار النفسية، في شخصية الفرد، بخاصة إذا تعلق الأمر بهويته، ووجوده، وتهديد كيانه.

لقد استطاعت الرواية النسوية الخليجية، كشف الواقع السياسي الذي ألقى بظلاله على بعض المجتمعات، وبخاصة العربية منها، إذ استحضرت الأحداث والوقائع السياسية، ومن ثم استنتقت مضمراتها النصية، للكشف عن المعاناة، والمأساة التي يعيشها الكثيرون في ظل الصراعات السياسية، وجاءت على نوعين : سلطة سياسية داخلية وسلطة سياسية خارجية .

أ - السلطة السياسية الداخلية :

ونقصد بها السلطة التي فرضت قوتها وسطوتها داخل دول الخليجية، ويقع ضمن ذلك السلطة التي تمارسها الدولة على مواطنيها عن طريق أجهزتها القمعية، وكذلك السلطة السياسية المحتلة بقواها العسكرية التي تجتاح دول الخليج وتمارس عليها سطوتها وقوتها وكل مظاهر القتل والتعذيب كالذي حدث في اجتياح العراق للكويت ، ويظهر ذلك في رواية (المغيسل)

١) السلطة السياسية في نظرية الدولة، ماهر عبد الهادي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م، ٢٣.

٢) المجتمع والسلطة- إشكالية الاستمرار والوحدة، رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، ع٣٣، ١٩٨٣م، ٩٧.

للروائية موزي الرحال إحدى الروايات النسوية الخليجية، التي صورت مظاهر العنف، والاستبداد، والقتل، التي قام بها النظام السابق في العراق بعد أحداث الدخول للكويت، وتنفيذ عمليات الإعدام بحق الأسرى الكويتيين، وتسجل الرواية تاريخ، وآليات الإعدام التي لحقت بالمحكومين الكويتيين ((١٢/٣ / ١٩٩١ السادسة مساء مدير السجن في سجن قضاء القرنة شمالي البصرة يسلم الضابط قائمة أسماء تم اختيارها عشوائياً لتنفيذ حكم الإعدام في تمام الثامنة لتخفيف الزحام ولزيادة الطاقة الاستيعابية للسجن ويطلب من الضابط إبلاغ المحكومين بالإفراج حتى تتم العملية بهدوء في تمام السابعة كان ٥٠ شخصاً حكم عليهم بالإعدام يقفون في الساحة ويرد كانون يجلد أجسادهم الضعيفة والأسلاك البلاستيكية تقيد أيديهم للخلف وأرجلهم))^(١)، يعكس النصُّ التعامل اللاإنساني مع الأسرى الكويتيين، باستخدام كلِّ الأساليب الدموية، والترهيبية، والقهرية، المتمثلة بالعنف الجسدي، والنفسي، وعند البحث عن الأسباب التي تقف وراء اللجوء إلى هذه المظاهر، نجدُ أنَّ الأداة السياسية كانت سبباً رئيساً في توليد آليات العنف والاضطهاد والقتل، بوصفها ردة فعل غير واعية تجاه التعامل مع الأسرى، من قبل الحزب الحاكم في العراق.

ويعود ذلك إلى أنَّ ((الأنظمة التي تحتكر القيادة العليا فيها السلطة من خلال إبادة منافسيها جسدياً، وتحشد الطاعة الجماهيرية حول عبادة الفرد من خلال الإرهاب، في الأرجح هي أنظمة تنزع نحو المغامرة العسكرية والعدوان الخارجي))^(٢)، وهذا ما ينعكس على القيادة في النظام السابق التي تعاملت بدموية مع كل الخصوم، بعد ذلك جزءاً من سياستها مع المنافسين والمناوئين لها، وفيما ((يختصُّ بالعراق، فالحال ليس فقط أنَّ الدولة هي صدام ، بل أن طغيان شخصيته المغناطيسية، بسبب الطريقة التي عامل بها جميع منافسيه، من أفراد وجماعات، وهذه الحالة المرضية موجودة طبعاً في شتى أرجاء الأرض))^(٣)، ولا تقتصر عليها، فالكثير من الأنظمة السياسية، والعربية، والأجنبية تمارس التعذيب والاضطهاد، والقتل في إزاحة خصومها،

(١) رواية المغيسل ، ٣٤ .

(٢) أزمة الخليج الجذور والنتائج، وليد الخالدي، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٢، ع ٥٥، شتاء، ١٩٩١م، ٢.

(٣) م . ن ، ٢.

ومنافسيها، والمعادين لها، وتعدّ ذلك آلية من آليات سياستها معهم.

لقد خلفت الصراعات السياسية بين الكويت والعراق وقائع القمع السياسي المتمثلة في المقابر الجماعية التي نفذها بعض الضباط العراقيين بحق الأسرى الكويتيين، ويستمد هذا القمع من منظومة سلطة سياسية جائرة خلفت آثاراً سلبية متمثلة بهوية القسوة لدى بعض الضباط الذين يرضخون تحت وطأتها، وخلفت معاناة جسدية وروحية لدى الأسرى تتمثل بالرعب والفرع وهنا يبدو واضحاً من خلال التعابير التي أضفتها الروائية على ملامح (راشد) والأسرى الآخرين المتمثلة بالخوف والتوتر الذي يشعرون به عندما تم رميهم من قبل الضباط في حفرة ((بإصدار حكم الإعدام بحفرة عمقها ٣ أمتار ممتدة كان السجناء قد طلب منهم حفره اقبل شهر وعلى مرأى ومسمع من البقية قام الجنود بإنزال المحكومين كان البكاء هو سيد الموقف كان راشد يتأمل الحفرة ويصغي لصياح السجناء يسحبه الجندي إلى حفرة الموت يهوي راشد للاخدود تلتصق الأجساد المرتعبة كان راشد يشعر بجسد من تحته يضطرب ويثقل أنفاسه جسد آخر يتمدد فوقه يغمض عينيه ليقاوم التراب الذي بدأ الجنود بإهالته فوقهم ... تمر اللحظات الأطول في حياة راشد بين الأجساد التي تسحق أضلاعه وأصوات الاستغااثات وحبّات التراب المختلطة بأنفاسه والتي تحكي قصة النهاية))^(١)، فمن خلال هذا المشهد عبرت الروائية موزي الرحال من منظور سردي عن الوند والقمع السياسي المستبد المتمثل بالمقابر الجماعية.

وأدانت رواية (تؤلؤل) للروائية الكويتية ميس العثمان الاعتداء الصدامي على الكويت، وما خلفه من دمار وخراب، نلتمس ذلك الأثر في حادثة الاغتصاب التي تعرضت لها بطلة الرواية (سلوى) البالغة من العمر ثلاثة عشر عاماً من قبل الجندي العراقي أمام أنظار أهلها ، فعّد هذا الاغتصاب شكلاً من أشكال التعبير عن عنف السلطة السياسية الصدامية وتبعاته البشعة، إذ لم يتوقف هذا الفعل عند حدود استلاب شرف (سلوى)، وإنّما توسع ليشمل استلاب هوية الأهل، فمن أهم أولويات الأهل هو حماية أبنائهم من أي خطر يواجههم، لكن أهل (سلوى) أصبحوا عاجزين وغير قادرين على حماية أبنيتهم من الاعتداء الوحشي الذي تعرضت له أمام أنظارهم لخوفهم من القتل ((ركن الجندي الطويل سلاحه على حائطي المخطط بهدوء،

(١) رواية المغيسل ، ٣٥ .

... أوجع أنوثتي جداً ... أمي بعيون ساهمة بالدمع، أبي وأخي برؤوس منحنية متكئان على الجدار مكان السلاح الذي اختفى. تأوهت بصوت مسموع. كنت أصرخ أين كنتم ؟))^(١)

ووصل عمق ذلك الاعتداء وتأثيره على شخصية (سالم) أخ (سلوى)، إذ بدت تتشرب على شخصيته بعد الحادثة معالم الانعزال والانطوائية والاعتراب النفسي والأسري، حتى وصل الأمر إلى درجة أنه لم يعد يتكلم بعد حادثة الاغتصاب مع أخته أبداً، وانتهى به الحال إلى السفر بعيداً عن وطنه هرباً من الواقع ((وأتذكر سالم أخي متفوقاً، منكمشاً، يمر بالمكان ولا يراني.

يدخل ولا ينظر لأمي.

يجلس معنا ولا يختلط بنا.

يتناول طعامه ورأسه في مكان آخر، منشغلاً بكل شيء، عدانا.

سالم فقد بهجته.

غابت نكاته المجنونة التي يُحسن نقلها،

سالم منذ وقعت الواقعة لم يدر حواراً معي.))^(٢)

وعكست رواية (ماوراء الفقد) للروائية رند العمانى، أبعاد الهوية العربية التي تبلورت في ثورات الربيع العربي بسبب التضيق السياسي والأمني، فالأوضاع السياسية المضطربة في البلاد العربية، أدت إلى خلق هوية قومية ثورية متمثلة باندلاع المظاهرات والثورات داخل الخليج، وهذه الثورات ما هي إلا ردّ احتجاجي على سياسة الظلم والتعسف في المجتمع العربي ((أن حمى الثورة تنتشر بسرعة غير معقولة خاصة مع تداعي الحكومات أمام تمرد الشعوب، ساعدها على ذلك أوضاع الشباب المتردية والبطالة المنتشرة، ناهيك عن بعض التصرفات

(١) رواية تُولول، ١٧-١٨.

(٢) م . ن، ٣١-٣٢.

غير المسؤولة التي نعرفها جميعاً من بعض المسؤولين بالبلد .^(١)

وقد عرضت الرواية، الواقع العماني المتوتر الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بما آل إليه الربيع العربي، حيث سعى الشعب إلى طرح معاناته، والمناشدة إلى التحرر، عن طريق الاعتصام السلمي، لكن بعضه انزاح عن سلميته، واتخذ العنف سبيلاً لتحقيق مطالبه المشروعة^(٢).

وعمدت الروائية على كشف هوية الأفراد، فبعضهم مارس مظاهرات ثورية أعلن فيها استهجاناً لهذا الواقع في سبيل الخلاص من الظلم والحصول على الحرية. وبعضهم الآخر اكتفى بالصمت ولم يتصدَّ للمواجهة.

وقد صورت الرواية حرية الصحافة، ورفض تكميم الأفواه، والدور الذي تمارسه الرسالة الإعلامية، لأنَّ الصحافة أصبحت أداة لصيقة بالسياسة، ولها سلطة قوية على الآخرين، حيث أكدَّ المختصون، والمنظرون، والباحثون في شؤون الصحافة والإعلام والاتصال الجماهيري^(٣) أنَّ الصحافة هي السلطة الرابعة التي تراقبُ السلطات الثلاث في المجتمع: السلطة التشريعية، والسلطة القضائية، والسلطة التنفيذية^(٤)، وهناك من يرى أنَّها أساس الديمقراطية، وهي^(٥) الأساس في إنصاف الفقراء، والمساكين والضعفاء، وهي الوسيلة الاستراتيجية للكشف عن الحقيقة واستقصاء الواقع^(٦).

وتكشف الرواية عن دور الصحفيين (أحمد)، وصديقه (عبدالله) في اظهار الحقائق المتوارية خلف جدران السياسة، وعلى الرغم من دور الصحافة الكبير في المساندة في تجسيد رسالتها الإنسانية، إلا أنَّ السرد يوضح أنَّ دورها كان سطحياً، يقتصر على متابعة الأحداث الجارية ليس إلا^(٧) رغم الحذر الشديد الذي أظهره البعض في التعاطي مع الصحافة ، كان ثمة

(١) رواية ما وراء الفقد، بدرية البدري، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان-مسقط، ط١، ٢٠١٥م، ٣٦ - ٣٧ .

(٢) ينظر : م . ن ، ٣٤ .

(٣) (الإعلام في زمن الحروب والأزمان - التلاعب والتضليل والنشوة، محمد قيراط، مجلة التواصل، ع١٦، جوان ٢٠٠٦م، ١٦٦ .

(٤) م . ن ، ١٦٦ .

من كان متهوراً وهذى بالكثير من الأحاديث التي بدا جلياً أنه أخذها من القنوات التلفزيونية وما تبثه عن الثورات والثبات على المواقف من أجل نيل الحقوق وتحقيق المطالب، والصمود لأجل الحرية والعزة والكرامة ، متجاهلين أو متناسين أو غير واعين بأن لكل بلد خصوصيته التي يتميز بها عن غيره مما ألت إليه الكثير من الدول تحت مسمى الربيع العربي ((^(١)).

مما جعل الصحفي (أحمد) ينقل الواقع بزيغ، بفعل الضغوطات التي يتعرض لها، وأبعده ذلك عن الهدف السامي لرسالته لإعلامية، إذ لم يكن له دور تفاعلي مع المتظاهرين، بل على العكس نجده يصف مطالب المعتصمين بأنها غير مشروعة، فيبدأ بالتبرير، وهذه المبررات المطروحة تخفي نسقاً نفسياً مضمراً، يتمسك بالخوف من السلطة الحاكمة في عمان :((قضيت ساعات ليلي المتبقية على النت أتصفح مجريات الأحداث التي هالتي كثيراً، المعتصمون في كل مكان، والمطالب متعددة بعضها منطقي يدل عن وعي المطالبين بها كالحصول على وظائف للباحثين عن العمل والخريجين ، وبعضها شطح أصحابها بأحلامهم بعيداً))^(٢)، نلاحظ أنّ الكاتبة لم تتحدث عن أحلام المعتصمين البعيدة، ولم تكشف عن المسكوت عنه، لما يحدث في عمان، ولكنها تركت المجال واسعاً أمام القارئ، كي يكون مشاركاً في الأحداث السردية، يفسر، ويعلل، ويستنتج، ويعطي رأيه.

وتطرح الروائية نورة آل سعد في روايتها (العريضة) الهوية القومية، التي تتبع من الهوية الوطنية العربية، أبان العدوان الثلاثي على مصر، إذ أنّ موضوع القومية صنع تفسيرات كثيرة بحثاً عن أصول وجذور الظاهرة القومية، حيث((انعكس ذلك التفسير على أسباب ظهور حركات الشعوب المناهضة والتعرف إلى خصائصها، ودوافع نضالها، ولم تسلم الحركة القومية العربية من فرضيات منها: الربط بين القومية وبين المرحلة الاستعمارية))^(٣)، إذ ألقى قيام الثورات والمعارضات في بعض البلدان العربية بظلاله على بروز الهوية القومية في الدول

(١) رواية ما وراء القصد ، ٣٧ - ٣٨ .

(٢) م . ن ، ٣٨ .

(٣) (واقع إشكالية الهوية العربية: بين الأطروحات القومية والإسلامية - دراسة من منظور فكري، محمد عمر أحمد أبو عنزة، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، ٢٠١١م ، ٦١ .

الخليجية، وعليه شهدت دولة قطر في عقد الخمسينيات من القرن العشرين بروز الحركة الوطنية والتعبير عن الاهتمام بالشعور القومي العربي^(١)، إذ ظهر أكثر من حراك شعبي في الشارع القطري وكان في بداياته ((حراكاً عمالياً بسبب الممارسات التمييزية بين العمال القطريين والعمال الهنود ، فكانت مطالب العمال القطريين تدور حول تحسين أوضاع العمال من ناحية الخدمات والأجور... وفي النصف الثاني من الخمسينيات وبداية الستينيات شهدت دولة قطر نوعاً من الحراك الشعبي تلون بنوعيين من الحراك كان مضامينها تحمل سمة المناهضة لكل رموز الاستعمار ومحاربة كل من يدور في فلكه متأثراً بندايات عبد الناصر التي كانت تلقى تجاوباً من قبل أغلب شرائح الشارع القطري. إلى جانب سمة الإصلاح الداخلي))^(٢)، وفي هذه الرواية، تستحضر الكاتبة التاريخ، بعده سجلاً حافلاً بكثير من الحقائق، التي أثبتت الوحدة العربية، وبروز الهوية القومية من خلال ردّة فعل الشارع العربي على أحداث مصر ((كان ثمة حشد في شوارع الدوحة يلوح بالأعلام المصرية، وارتفعت شعارات مؤيدة لمصر منددة ببريطانيا، وسرعان ما تحولت المظاهرة إلى هجوم على دار المعتمد البريطاني، وفشلت السلطات المحلية في احتوائها ، لكن (فداوية) الحاكم فرقت المتظاهرين ،اندلعت مظاهرات في الدوحة خلال الايام العشرة التي أعقبت التداخل العسكري البريطاني في السويس، في موجة غليان عمت البلاد . وثار سخط الناس بسبب العدوان الثلاثي على مصر))^(٣)، ويبدو واضحاً أنّ الرواية لجأت إلى آلية التسجيل، والتوثيق، عن طريق، استحضار التاريخ بأحداثه وتقلباته، إذ عبرت عن الروح القومية للشعب القطري الذي ساند مصر بعد إعلان العدوان الثلاثي عليها، ومناصرة زعيمها جمال عبد الناصر، عن طريق الشعارات المؤيدة له ((وبداً الشباب ينشدون خطبا وقصائد وطنية في المساجد))^(٤)، كما يصرح النص ب بروز الهوية

١) ينظر : تاريخ قطر المعاصر، مفيد الزيدي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م، ٢٤.

٢) الحراك الشعبي في قطر ١٩٥٠-١٩٦٣ دراسة تحليلية، إبراهيم شهداد، الروزنامة، ع ١٠، ٢٠١٢م، ٦١٦-٦١٧.

٣) رواية العريضة ، ١٨ .

٤) م. ن ، ١٢٧.

القومية العربية، إذ بدأت البلدان العربية كافة تتفاعل مع الأحداث السياسية في مصر، والجزائر، وفلسطين.

ولم تنسَ الكاتبة الدور الكبير الذي أدته المرأة الخليجية في تفاعلها مع الأحداث التي ضربت المحيط العربي، إذ ساندت الثوار في البلدان العربية التي تنشد التحرر من تبعية، وسيطرة الغرب الاستعماري عليها، إذ لم يقتصر دورها على المظاهر المعنوية، الهتافات والشعارات، والتدبير وغيرها، وإنما كرست ذلك عملياً، حينما تبرعن بما يملكن لمساندة الثورة، ((النساء تبرعن بحليهن القليلة من خواتم وسلاسل رموها لكي تتحرر الجزائر من الأجنبي))^(١).

وتكشف الرواية أيضاً دور الشباب العربي في الأحداث التي ضربت مصر، لكن سياسة بعض الحكومات كانت ترفض هذه النشاطات حفاظاً على أمنها واستقرارها، ويظهر السرد شخصية (صالح) أحد أولئك الشباب القطريين الذين شاركوا في المظاهرات والأحزاب، إذ عمدت حكومته إلى إبعاده من مصر، ومنعه من إكمال بعثته الدراسية، وفرضت عليه عقوبات كان أبرزها، منعه من التوظيف في أي وظيفة حكومية، مما انتهى به إلى ممارسة الأعمال الحرة. ويمكن أن تعدّ هذه الممارسات تهميشاً لهويته القومية، والوطنية ((ثارت ثائرة الحكومة عليهم، ففُصل عدد من طلبة القاهرة من البعثة الدراسية، ممن تزعم ذلك النشاط السياسي، وسعت الحكومة لدى بعض الدوائر المصرية لإبعاده عن مصر ونجحت مساعيها. لم يستطع صالح بن أحمد العودة إلى جامعته في القاهرة بعد قطع البعثة الدراسية ووجد أمامه المنع من التوظيف الحكومي في قطر فاشتغل في أعمال حرة متفرقة، سائقاً لشاحنة، ومشرف عمال في مصنع ثلج محلي))^(٢).

فكان نضال (صالح) من أجل نصرة الثورات العربية، ومن أجل تحقيق المساواة بين العمال في شركة نفط قطر ((انخرط صالح تماماً في نشاط الحركة العمالية والشعبية،

(١) رواية العريضة، ١٢٧.

(٢) م، ن، ١٤٤.

وتشابكت المطالب العمالية لعمال شركة نفط قطر مع مطالب التحرر ونصرة القضايا العربية^(١) .

ووقع تأثير مشاركة(صالح)في المعارضة السياسية على علاقة الحب بين (أحمد) وابنة (صالح)، إذ رفضت عائلة (أحمد) زواج ابنهم من الفتاة التي أحبها لكون والدها معارض سياسي ((آه تذكرت صالح بن أحمد كل قطر يعرفونه أليس هو المعارض السياسي ؟

- لا أظن أن أباك بقدر في مركزه الحالي على مصاهرة صالح بن أحمد

- وما دخل ابنته في مواقفه السياسية أو تاريخه مع السلطة

- تستطيع ابنته الإقتران بأي شخص إلا ولد جابر بن سالم^(٢) .

وتعكس الرواية الصورة السلبية، التي تمثلت بتكريم الأفواه، واستخدام العنف ، والقتل ضد المتظاهرين القطريين ، المساندين لثورة مصر((وقع إطلاق نار على المتظاهرين في الدوحة ومات أحدهم انتقلت الأخبار إلى العاملين في شركة نفط قطر ، واندلعت المظاهرات وأعقبها الإضراب الشامل^(٣)))، وبعد أن تم اعتقالهم وزجهم في السجن، بدأت الممارسات اللاأخلاقية، واللاإنسانية تظهر من خلال التعامل معهم بقسوة((في الأسبوع الأول من السجن تعرض الشباب المعتقلون ، للضرب المبرح بالخيزران ، والفلقة والوقوف لساعات طويلة ، كما منعوا من الكلام وحظرت الزيارات . وفي الأسبوع الثاني ساعات أحوال الكثير منهم بسبب الضرب ورداءة المكان وقذارته ! فجاءت فكرة الإضراب عن الطعام^(٤) .

قدمت الرواية تصويراً سردياً يبين العلاقة الجدلية بين الواقع السياسي العربي المتأزم، وبين ظهور الهوية القومية والثورية التي كانت تطفو على هوية الشعوب العربية بكل فئاته((وأغلق

(١) رواية العريضة ، ١٢٨ .

(٢) م . ن ، ٥٦ - ٥٧ .

(٣) م . ن ، ١٣٤ .

(٤) م . ن ، ١٣٢ .

التجار متاجرهم في السوق الشرقية في الدوحة ، و امتد الإضراب ليشمل عمال الصناعات والحرفيين وعمال بعض الشركات ، وشملت المظاهرات طلاب المدارس في الدوحة^(١).

وأن السلطة السياسية اقتحمت جميع مجالات الحياة، فكان لها صدى في علاقة الناس وفي التدخل بشؤونهم الخاصة إذ وقع تأثيرها على العلاقات فيما بينهم، فالوضع السياسي المتأزم بين الكويت والعراق أدى إلى خلق توتر العلاقات الإنسانية، و شرخ في الروابط العاطفية بين البلدين، ويظهر ذلك في رواية (ليس ذنبي) للروائية إسراء موسى كاكولي، إذ قدمت صورة عن الوضع السياسي الحالك المشبع بالبغض والعدوان بين الشعبين بعد حرب الكويت والعراق، ويتمثل ذلك من خلال معاناة شخصية (هامة) نبذها المجتمع الكويتي لكونها من أب عراقي، فعانت الشخصية في وسط بيئة رفضت الهوية العراقية بينهم ((لم يكن لهامة الكثير من المعارف ولا حتى صديقات أو أقرباء كانت هامة تعاني معاملة قاسية من طالبات الجامعة فكان معظمهم يبتعدون عنها وكأنها من غدر وسلب))^(٢)، وامتد تأثير التأزم السياسي بين البلدين إلى تمزق العلاقة العاطفية بين (هامة) وبين (سلمان)، فعلى الرغم من الحب الكبير بينهما إلا أنّ هذا الحب تحول إلى عداوة بسبب وفاة والد (سلمان) بلغم من مخلفات الحرب بين العراق والكويت ((كان حال حبيبتي مقطعة على الرمال قُتلت من لغم أرضي زرعه الجيش العراقي أثناء الغزو ... حبيبتي رحلت أمام عيني ، رأيتها بلا روح وكان الدم يغطي وجهها الجميل وخصل شعرها الناعمة . بقى سلمان يبكي بحرقة ويفكر في قصة وفاة والدته وحال والده والحب الذي أصبح من الصعب أن يكتمل))^(٣)، تبين الروائية دور الحروب السياسية في ظهور نسق الحقد والكراهية بين الشعوب المتحاربة، إذ خلفت الحرب بين الكويت والعراق، هوية عدائية بين الشعبين بسبب ما لحقهما من ضرر، فبعد الحرب تحول الحب الكبير بين (هامة) و(سلمان) إلى كره يحمله (سلمان) وعائلته تجاه (هامة)، لكونها من أب عراقي، فعلى الرغم من

(١) رواية العريضة ، ١٨ .

(٢) رواية ليس ذنبي " صرخة أنثى " ، إسراء موسى كاكولي ، دار كلمات للنشر والتوزيع ، دولة الكويت ، ط ١ ، ٢٠١٦ م ، ٣٢ .

(٣) م . ن ، ٧٦-٧٧ .

إنها من أم كويتية إلا أنهم يحملونها ذنب اعتداء العراق على الكويت، مما أدى إلى اضطراب وتمزق في شخصيتها((تغير كل شيء فيها حتى طريقة تفكيرها تحولت إلى إنسانة لا مبالية ((^(١)، فالحقد المهيمن الراسخ في أذهان عائلة (سلمان) تجاه العراقيين، أدى إلى تحول في شخصية (هامة) ، فبعد أن رفضها (سلمان) حاولت أن تنتقم من أبيه فأوقعته في شباكها، وبعد أن تعلق بها رفضته، لتكسر قلبه كما كسر قلبها ((وبعد أن كسرت قلبي يا أبو سلمان أنت ووالدتك جاء الوقت لأرد الدين وأكسر كما فعلت بي، أشعل النار في صدرك كما النار التي أشعلت في صدري، أحطم أحلامك بلحظة))^(٢)، إذ أصبحت (هامة) قاسية لا ترحم أحد في انتقامها حتى نفسها، فأبدلت طبيبتها بالقسوة ((ولم تكتف هامة بانتقام واحد ، بل استمر تنتقم من الجميع، فكيدها لم يهدأ والنار التي اشتعلت في قلبها لم تخدم ، انتقامها الأول كان من أبي سلمان، ومنه جرحت الجدة وأبكتها ، وفور انتهائها من الانتقام الأول فكرت بانتقام ثاني، وكأنها خلعت الطيبة وارتدت القساوة ، أصبحت نظرتها مرعبة وكلامها مخيف لدرجة كبيرة، كرست أيامها وأجمل عمر تمر به أي فتاة في الانتقام . فالحب حين يحضر يهزم كل المشاعر والأحاسيس و حين يرحل يأخذ معه الضعف واللين ، فتصبح وقتها المرأة قاسية لا ترحم لا تنسى ولا تغفر، لا تفكر إلا بدواء لجرحها ، وعلاج تنسى به من ألمها))^(٣).

ب - السلطة السياسية الخارجية :

اهتمت الرواية النسوية الخليجية بالقضايا السياسية ومعاناة الشعوب العربية ، إذ تطرقت إلى الحروب الدامية، والنزاعات المتأزمة التي خلفت كثيراً من الضحايا العرب، ويظهر ذلك في (رواية ما وراء الفقد) حينما صورت الروائية بدرية البدري الانتهاكات والهجمات التي شنتها إسرائيل على لبنان، ومدى تأثير هذه الحروب في اختلاق الأزمات، حتى أنها بدأت تؤثر تأثيراً كبيراً على الواقع السياسي في لبنان، وعلى هوية الفرد اللبناني، فأنتجت هذه الأوضاع كثير من المشردين، والمهاجرين، فضلاً عن تفشي مظاهر القتل والعنف ((ضربت إسرائيل الجنوب

(١) رواية ليس ذنبي ، ١٠٩ .

(٢) م . ن ، ١٦١ .

(٣) م . ن ، ١٦٣-١٦٤ .

اللبناني عام ٢٠٠٦ من أجل تحرير الجنديين الاسرائيليين ليهود جولد فاسر والداد ريغف اللذين أسرهما حزب الله ، حزب الله أسمى عملياته تلك (الوعد الصادق) وسمت إسرائيل عملية تحريرهما (الثواب العادل) وبين الاسمين مات من مات وتشرد من تشرد، وتهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد، لأجل أن يحرر حزب الله بعض من اختطفهم إسرائيل ، ولأجل أن تحرر إسرائيل اثنين من جنودها قتل ما يقارب من ١٢٠٠ لبناني))^(١)، وقد ترتب على الوضع السياسي المتدهور في الوطن العربي عمليات التهجير القسري، فأثر ذلك على إرباك الهوية والتباسها، لأن استقرار هوية الإنسان يرتبط ارتباطاً لا ينفصم بالحياة وبصراعات المجتمع والسياسة ، فان أفعال الإنسان وأفكاره وعواطفه تنبع من السياسة وتتصب فيها^(٢).

وشكلت الأوضاع السياسية في سوريا منعطفاً مؤثراً، وضاعطاً على هوية الفرد السوري، الذي بدأ يعاني من أزمة الهوية، في بلاد المهجر، بعد أن اختار الخلاص من ويلات الحرب التي طحنت كل شيء، حتى أصبح الفرد مشرداً، وهائماً، وضائعاً يعاني الغربة المكانية، والنفسية، وقد صورت رواية (رائحة التانغو) هذه الحال، التي حرمت الجميع، وسلبت هويتهم، من خلال الهجرة القسرية، ولجوء السوريين إلى بعض البلدان العربية، وما أصابهم من تدهور في أوضاعهم الحياتية، والمعيشية، بعد أن بدأت الحرب في سوريا تجتاح الجميع بلا استثناء، فكانت أبواب الهجرة مشرعة على الرغم من المعاناة، والألم، والتشرد، والضياع)) تنظر إلى الطرقات المزروعة بالوجع وبأعداد هائلة من اللاجئين السوريين وهم يفترشون الشوارع وما تحت الجسور . تلكر صديقتها دون أن تقول كلمة واحدة . ينظرن بعين واحدة ووأرواحهن تنن : أي قلب لا يهزه جوع طفل ؟ أو اصفرار شيخ ؟ أو صرخة أم سقط عنها صبرها فبكت ! شعور العجز الذي اقتحمهن ترك مرارته في أفواههن، فصمتن أمام هذه البشاعة التي صنعها البشر! وجوه الأمهات اللاجئات وهن يحتضن أولادهن))^(٣)، وإذا ما أردنا أن نبحت عن أسباب

(١) رواية ما وراء الفقد ، ٤٢-٤٣ .

(٢) ينظر: دراسات في الواقعية الأوربية ، جورج لوكاش ، تر: أمير اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٧٣ م، ٣٠ - ٣١ .

(٣) رواية رائحة التانغو ، ١٢٥ .

الهجرة، نجد أنّ أول هذه الأسباب النزاع، والصراع حول السلطة في سوريا، بين من يمثلون الدولة، وبين المتشدددين الدينيين، وكان الفرد السوري ضحية للطرفين الباحثين عن التمرکز والسلطة، وقد لفت ذلك نظر الروائيات في الخليج ، فحاولن كتابة سرد يبين أنّ نزاع السلطة، نوع من المؤامرة على الشعب؛ لأنّ نظريتها((تحمّل من الزاوية المعرفية شحنة سلبية توحى بالخواء المعرفي، وضلال البوصلة))^(١)، وضياع الهوية الوطنية، وتهجير شعب بأكمله.

ولقد صورت رواية (رائحة التانغو) أنّ الأوضاع في سوريا، تكشف عن مؤامرة خُطت لها مسبقاً ((هذه كلّها مؤمرات، لا هي ثورة ولا انتفاضة، ولا هم يحزنون، هؤلاء حفنة من الإرهابيين ، يرودون الاستيلاء على السلطة))^(٢)، وبذلك استتطقت الرواية المسكوت عنه، والمتواري خلف أنساق السياسة على وفق منظورها الخاص.

ويستمر السرد في كشف الأنساق السياسية المضمرة التي ولّدت تلك المأساة وما بُني عليها من تشرد، وضياع، وفقدان للهوية، وغربة، وجوع ، وفقر، إذ صورت الرواية هوية الطفولة المستلبة من خلال أحد أطفال السوريين (علي) الذي وقع ضحية لأفكار والده الذي يدافع عن سياسة جديدة ، تسببت في تصدع هوياتي لعائلته، فأفقدتهم استقرارهم، تقول (زهرة) : ((نظرت إلى بواب الفندق، فأجابها دون أن يسمع سؤالها :

- هو طفل سوري متشرد ممن يجولون شوارع بيروت بحثاً عن اللقمة .

- وماذا يفعل هنا ؟ - ينام . لا بيت له ولا ملجأ . اقتربت زهرة من الطفل . كان يغط في نوم

عميق . وجهه البريء ملطخ ببقايا زعتر . بجانبه سلة فارغة ورود . انحنت فوقه . فاحت رائحته : عرق ، وسخ ، براءة عذاب قهر غربة وورد . مدت يدها ومسحت على شعره . فتح عينيه مذعوراً : - جت الشرطة ؟

١) المؤامرة في التاريخ- حقيقة أم خيال؟، إبراهيم علوش، طلقة تنوير، مجلة ثقافية للاتحاد القومي العربي،

ع٤٢٦، تشرين الثاني ، ٢٠١٧م، ٣.

٢) رواية رائحة التانغو، ٢٣.

- لا لا يا حبيبي ما في شرطة لا تخف ماذا تفعل هنا ؟ أين أهلك ؟ أين أمك ؟

- أبي في سوريا يحارب . أمي مع إخوتي في طرابلس ... أبيع الورد أجمع المال وأروح بها لأمي حتى تطعم إخوتي أنا الكبير ، يعني رب الأسرة في غياب أبي هيك أمي قالت ((^(١))، بين السرد إنّ الحرب في بلاده ساهمت في اضطراب هوية الطفولة، وانهيائها، واستلاب كيائها، وهذا ما ظهر في شخصية الطفل السوري (علي)، فعلى الرغم من أنه لم يتجاوز التاسعة من عمره إلاّ أنّه تحمل مسؤوليات أكبر من عمره، فقد أجبرته ظروف بلاده المضطربة على التخلي عن هويته الطفولية واستبدالها بهوية رجل ناضج لديه مسؤوليات يعمل، ويتعب ليؤمّن قوت عائلته .

((_ حلوة سوريا؟

_ حلوة وبس؟ بتجنن لولا الحرب كنت أخذتك لزيارتها لتتفرجي عليها.

ردت بحزن: إن شاء الله تخلص الحرب وتأخذني.

رد عليها كخبير حربي. هذا الولد يحكي بلسان التسعين وهو في التاسعة.

_ من وين بدها تخلص ؟ كنا بحرب بين النظام والثوار ، صرنا بمية حرب بين كل الناس.

_ أنت كيف تفهم بهذه المواضيع؟

_ كيف أفهم هي بلدي ، وأنا أتابع الأخبار عند أبي الياس صاحب البقالة خلف الفندق ((^(٢))، يكشف النص الحوارى عن مدى الأسى والحزن الذي يشعر به (علي) بسبب مما يدور في بلاده من وقائع سياسية وحروب، أنت على بلاده وأحالاته دماراً وخراباً، وهذا الأمر ترك في نفسيته أثراً بالغاً، فمن المفترض أن يكون (علي) بهذا السن يمارس اللعب وينعم بالأمان، لكن الواقع السياسي المتأزم فرض على طفولته، أن تعيش حياة قلق، ويتجلى توتره وقلقه باهتمامه في متابعة الأخبار السياسية على الرغم من صغره.

(١)رواية رائحة التانغو، ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) م . ن ، ١٧٧ .

لم تستطع (زهرة) تحمل مشاهد الضياع الذي حلّ بالأطفال السوريين، فبدت غير قادرة على تحمل رؤية الدمار الذي أحدثته مآرب النظام السياسي الحاكم الذي لا يعنيه ما أصاب الشعب من دمار وما يهيمه سوى نجاح مخططاته بالسيطرة على البلد ((أنا حساسة تجاه الأطفال فقط . أسباب كثيرة لا وقت لسردها الآن . لا أتحمّل وجعهم ، دموعهم ، فكيف أتحمّل رؤيتهم بدمائهم ؟ تقتلني صور أطفال سوريا . لا أدري لماذا يسكت العالم اتجاه هذه المجازر . ماذا ينتظرون ؟))^(١). نلاحظ أنّ الكاتبة لم تحاول أن تستنطق ذوات الشخصيات المقهورة سياسياً، إنّما ظلت على مسافة منها، فأخذت تصورها من باب ضيق يتمثل بالمشاهدة، والتعاطف ليس إلّا .

نستنتج مما تقدم أن الصراعات السياسية التي حدثت في المجتمعات العربية تركت صداها على الهوية العربية، فالواقع السياسي المثقل بالاضطرابات ألقى بظلاله عليها فأدى إلى عدم استقرارها، وقد وجهت الرواية النسوية الوعي تجاه الأزمات السياسية في وطننا العربي، ((فالرواية أداة فنية للوعي فيمكن بواسطتها رصد وضع الأمة وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصياتها الروائية الفردية ، فالرواية طاقة سياسية هامة في التعبير عن روح الأمة وأزماتها وطموحاتها))^(٢).

كما نلاحظ أن القلة من الروائيات أقدمن على تصوير الواقع السياسي في بلادهن لكنهنّ لم يتعمقن به كثيراً، إذ كان أغلبهن يتناولن موضوعات وقضايا عربية، وقد يعود سبب ذلك إلى أمرين : إمّا قلة الاضطرابات السياسية واستقرار البلدان الخليجية سياسياً بشكل عام، أو بسبب الخوف من السلطة والقمع الذي تمارسه الحكومات ضد كل من يكتب في الموضوعات السياسية .

(١) رواية رائحة التانغو، ١١٠-١١١ .

(٢) الرواية السياسية- دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، أحمد محمد عطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،

١٩٨١، ١٧ .

المبحث الثاني

السلطة الدينية

المبحث الثاني

السلطة الدينية

يُشكل الدين عنصراً أساسياً، وركيزة مهمة في تكوين هوية الفرد، وتأثيره على شخصيته في اختيار معتقداته، وانتمائه، وفي الوقت نفسه، هو ((عامل من العوامل الحاسمة في بناء هذه الهوية خصوصاً لأنه يتصل بالقيم الروحية التي لا يمكن للإنسان أن تكتمل إنسانيته بدونها))^(١)، فالعلاقة بين الهوية والدين علاقة متجذرة وحاضرة لها انعكاساتها على الفرد و المجتمع؛ لأن الدين ((يساهم بشكل أو بآخر في تبلور الهوية الجماعية))^(٢).

وإذا ما أردنا أن نتكلم عن السلطة الدينية، وعلاقتها بهوية الأفراد، لابد لنا من البحث عن الأصول المعرفية لمفهومها، وبذلك الصدد يقول الدكتور (محمد عمارة)، إن السلطة الدينية، هي ((أن يدعي إنسان ما لنفسه صفة الحديث باسم الله وحق الانفراد بمعرفة رأي السماء وتفسيره، وذلك فيما يتعلق بشؤون الدين أو أمور الدنيا ، وسواء في ذلك أن يكون هذا الادعاء من قبل فرد، يتولى منصباً دينياً، أو منصباً سياسياً، وسيان كذلك أصدرت هذه الدعوى من فرد أو من مؤسسة فكرية أو سياسية))^(٣)، أما الهوية الدينية، فهي التي ((يدخل تحت خيمتها كل الأفراد الذين ينتمون إلى دين ما، فالهوية الإسلامية هي الهوية التي ينتمي إليها كل الأفراد الذين يتخذون من الإسلام ديناً بغض النظر عن لغتهم وتاريخهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم))^(٤)، وهذا يعني أن للسلطة، علاقة بالهوية، وبالمؤسسة السياسية الحاكمة التي يخضع إليها أبناء

١ (الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، ٩٢ .

٢ (الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، ١٩٠ .

٣ (الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ط ١ ، ١٩٨٨م، ١٤ .

٤ (الهوية والتمثل والصراع في رواية يا مريم لسنان أنطون ، محمد فليح الجبوري ، مجلة أوروک للعلوم الإنسانية ، ١٤ ، مج ١١ ، ٢٠١٨م ، ٩ .

المجتمع، لكنها ((علاقة معقدة، غير مستقرة، ومتغيرة بتغيير موازين القوى بين الطرفين، خاصة بتغيير السياسة الثقافية والاجتماعية المتبعة))^(١).

ويؤدي الدين دوراً أساسياً في توجيه سلوك الفرد، عن طريق أنساق ثقافية ظاهرة ومضمرة، تسهم في بناء هوية الفرد، بعده كائناً اجتماعياً قادراً على التفاعل مع جميع المعطيات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية؛ لأنه ((ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب، بل بما هو كيان مجسد اجتماعياً ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال، أي من حيث صيرورته نظاماً من الممارسات؛ لأنه يقدم تصوراً لبناء الاجتماع الإنساني))^(٢).

وقد عبرت الرواية النسوية الخليجية في مدونات السردية، عن الأبعاد الدينية، وتأثيرها على الفرد، وتشكيل هويته، وخضوعه لمنطق تحكمه مرجعيات أيديولوجية متوارية ضمن أنساق دينية، مثل التعصب الديني، والإرهاب، والموقف من الأديان التيلا يكون لها صلة بالدين، ولا يمكن أن تتوافق مع تعاليمه، وتشريعاته.

أ- التعصب الديني :

كشف السرد النسوي الخليجي ما توارى خلف المفاهيم الخاطئة عن الدين، بهدف تمزيق الهوية التي يتبناها الفرد على وفق مجموعة من الأنساق والرؤى الفكرية القائمة على نسج عقلي خارج عن منظومة الشريعة الإسلامية مبني على فهم قاصر من خلال تصويرها التابوهات، والمحظورات، والمحرمات في نظر المجتمع، بعيداً عن أصلها الديني والتشريعي، لتأخذ منحى دينياً متطرفاً لا علاقة له بالدين أبداً إلا من أجل تكريس سلطة تياراته الفكرية، وفي هذا الصدد تعرض الروائية بثينة العيسى في روايتها (كبرتونسيت أن أنسى) جانباً مهماً من هذه التابوهات التي تمثلت في شخصية (صقر) الذي حاول تطويع الدين بغطاء الأعراف والتقاليد الاجتماعية

١) المؤسسة الدينية والسلطة السياسية من الولاء إلى المواجهة، ناجية الوريثي، قسم الدراسات الدينية، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٧م، ٣.

٢) سوسيولوجيا الهوية- جذليات الوعي والتفكك وإعادة البناء ، ٧٧.

المقيتة، ويظهر ذلك في وصف (فاطمة) لأخيها ((عندما نحر أخي دميّتي؛ لأن الباربي حرام وشطب قناة سببيس تون؛ لأن البوكيمونحرام، عندما خلع صورة أمي وأبي من البرواز ودفنها في الدرج المكسور كي لا تطرد الملائكة ، عندما امتلأت شقوق الجدران بالشياطين عندما أجبرت على دخول كلية البنات ، حفاظاً على عفاي . عندما عرضني على صديقه للزواج ، حفاظاً على عفاي))^(١)، نلاحظ أنّ النصّ يكشف عن تردي العلاقة العائلية بسبب التطرف الديني والمعتقدات المتعسفة التي تبناها (صقر)، الذي نحت جانباً سلبياً في تعامله مع أخته، إذ كان يقيد حريتها بحجة الدين، فهو يمنعها من اللعب بالدمى والاحتفال بأعياد الميلاد وحضور الإعراس وسماع الأغاني وتزيين الحائط بصور فوتوغرافيه، فأدى ذلك إلى تأزم هويتها ((كان مختلفاً مع أبويّ وينكر عليهما أشياء كثيرة : سماع الموسيقى، شراء الباربي، تزيين المناضد بالصور الفوتوغرافية، الاحتفال بأعياد الميلاد، حضور الأعراس في الفنادق لقد كان صقر ماضياً في مهمة نبيلة معي، اسمها : إنقاذ ما يمكن إنقاذه))^(٢).

وتعرضُ الرواية الانغلاق الفكري والثقافي، والتعصب الديني، وعلاقة الشرق بالغرب، ونظرة المسلم للآخر الغربي وما صاحب هذه النظرة من ملابسات اتجاه الثقافات الأخرى، إذ عدّ (صقر) دراسة الثقافة الأوروبية نوعاً من الإلحاد والكفر، ولا يجوز لأحد أن يتبنى بعض أفكارها، حتى إذا كانت لا تتعارض مع الدين الإسلامي، فهو يبني فكره على ذات مستبدة ومتعصبة دينياً متشعبة بالمعتقدات المتطرفة، ويتجلى ذلك واضحاً في حوار مع أخته عندما منعها من دراسة الآداب الأوروبية ((- قومي اقري لك كم آية أحسن لك وأنفع لآخرتك .

وفكرت بأسى : إنه لن يسمح لي أن أحب أي شيء في هذا العالم .

- القراءة مو حرام . القرآن يقول اقرأ .

- نقرأ القرآن ما نقرأ هرطقاتبودلير وفولتير وزفتير .

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ١٣ - ١٤ .

(٢) م . ن ، ٤١ .

- لأننا نلهث وراء هرطقات الكفرة مثلك ((^(١).

وبهذا يوضح النصّ النظرة الضيقة التي عليها الشخصية، التي بدت تعاني من صراعات داخلية، وأزمات نفسية، جعلت من الدين جلباباً لنقد الآخرين، وكل ما يؤمنون به من أفكار وثقافة بوصف من يتبناها كافراً، فكانت نظرتها للتعليم تتوقع في زاوية محددة، تنحصر ضمن دائرة الدين ولا تخرج منه، لذلك نراه يستهزأ بالآداب الأوربية ويصفها بأنها هرطقاتلا فائدة منها.

وتستمر الرواية في عرض كثير من المشاهد التي بينت موقف (صقر) من الغرب، ونعته بالكافر، هو وثقافته، وأفكاره، وأعلامه، حتى وصل التطرف حدته، بأن جعل لغتهم نجسة ((- وش ذا ؟

- هذا كتاب الفرنسي .

- آخر عمرنا ندرس لغة الكفار ونهجر لغة القرآن ؟

قالها وهو يفتح الكتاب بطرف أصابعه كما لو كان يمسك بمادة نجسة . تصفحه قليلاً ، بوجه مكفهر، قرف، ولم أفهم المعنى من تصفح كتاب لا يفهم فيه حرفاً :

- والله مهزلة ! هذي أمة مهزومة من رأسها حتى قدميها ! اهتزاز في الهوية وافتتان بالغرب وتقليد للكفار في كل شيء ! ((^(٢)، إنالأفق الديني الذي يؤمن به (صقر) هو أفق يضم مرجعيات عصبية ضيقةبعيدة كل البعد عن حقيقة الدين،مرتبطة بمرجعيات اجتماعية تعتمد على عادات وتقاليد وأعراف ليس إلا .

وتعرض الروائية دلع المفتي في روايتها (رائحة التانغو) سيطرة الدين بمنظوره الاجتماعي، عرفاً وتقليداً، من دون إتباعمرجعياته وتعاليمه الحقيقية: لأن ((النصّ الديني سواء كان صامتاً أو متكلماً ناطقاً، فإنّ الإنسان هو الذي يطرح أسئلته عليه، ويطلب منه جواباً عنها، وما يدعو

(١) رواية كبرت ونسيت أن أنسى ، ١٠٢-١٠٣ .

(٢) م . ن ، ٧٦-٧٧ .

الفصل الثاني : أثر السلطة في تشكيل الهوية

الإنسان إلى طرح سؤال على الدين هو افتراضه المسبق ، بغض النظر عن منشأ هذا الافتراض^(١)، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف إذا كانت تصوراتنا وافتراضاتنا المسبقة قد أخذت من مرجعيات اجتماعية، تبتعد كل البعد عن المرجعيات الدينية؟، توضح الساردة ذلك بموقف (أم فاطمة) في حصر التعليم في الجانب الديني ((- خالتي زهرة . أمي تريد أن تسحب أوراقني من مدرستي وتحولها إلى مدرسة أخرى .

- لا يا خالتي أنت تعرفين أمي هي تريد أن تدخلني إلى مدرسة دينية .

انتقضت متسائلة :

- مدرسة شنو ؟

- مدرسة إسلامية يا خالتي ندرس العربي بالدين والحساب بالدين والعلوم بالدين .

- دين آخر موضحة . كل عمرنا نعرف الله ونطيع أوامره . كل عمرنا نصلي نصوم ونحج ونزكي . منذ متى صار عندنا مدارس دينية ومدارس مو دينية . كلكم ذهبتم إلى مدارس الحكومة التي تدرس الدين والحساب والعربي والعلوم . لكن لا أدري من الذي لعب برؤوسكم!))^(٢)، يقودنا النص إلى أنّ هناك علاقة بين الدين وطريقة تقديمه، وبين العقل الإنساني، إذ عُدَّ ((تمرد الإنسان على الحكم الإلهي ضرباً من الصراع بين العقل والدين))^(٣)، ويتمثل ذلك في تقييد حرية المرأة في هذه المجتمعات بمسميات الدين، وهذا ما فعلته (أم فاطمة) حينما منعت ابنتها من حرية اختيار الاختصاص الذي تريده، وأجبرتها على الدراسة في المدارس الإسلامية، وهذا ما استنكرته (زهرة) خالة (فاطمة) ، فحاولت أن تنتقد هذه النظرة

(١) العقل والدين في تصورات المستنيرين الدينيين المعاصرين - تأملات نقدية في الركائز النظرية لتيار التنوير المعاصر، محمد جعفري، تر: حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ١١-١٢.

(٢) رواية رائحة التانغو، ٤٥-٤٦ .

(٣) العقل والدين في تصورات المستنيرين المعاصرين، ١٥،

وجاء موقفها رافضاً للأفكار المعقدة لأختها، فموقف (أم فاطمة) ما هو إلا صورة من صور الانزياحات المتغلغلة المنبثقة من الأنساق الدينية المتطرفة في المجتمعات الخليجية.

كما أثارت الروائية قضية الترويج لبعض الأمور بمسمى الدين، وبينت تفكير الفرد وسلوكه الخاضع لمنطق مزيف تحكمه أفكار متباينة ومتضاربة لا صلة لها بالدين الإسلامي ولا تتوافق معه، ولا شك أن أزمة هذه المعتقدات كشفت عن الصراع الديني الذي يواجه الفرد في المجتمعات الخليجية ((أصبح الإسلام سلعة يتاجرون بها " تستذكر كلمات زوجها ؛ " بنك إسلامي، صالون إسلامي، عرس إسلامي ، طلاء أظافر إسلامي حتى أن هناك محلاً لبيع البيرة الإسلامية والعصير الإسلامي " . التفتت حولها . " ما الفرق بين بنك إسلامي وبنك غير إسلامي . كلهم يجرون المعاملات نفسها وبالطرق نفسها ، الفرق فقط في التسمية . لكن المصيبة أنها تمشي على الناس ويصدقونها))^(١) .

وقد قدمتنورة آل سعد في روايتها (العريضة) صوراً من صور التعصب الديني وصراعات الهوية من خلال شخصية (طارق)، فبعد انضمامه لمجموعة دينية صار يعيش حالة من الانعزال والانطواء واعتكاف الذات وفقدان التواصل مع الآخرين، مما أدى إلى تذبذب العلاقة بينه وبين عائلته، فالتعصب الديني بوصفه جزءاً من سسيولوجيا التصدع الهوياتي، أثر سلبياً على هويته، ف((ترك طارق الدراسة الدنيوية والتحق بدروس العلم الشرعي ... استطاعت منيرة أن ترى بأنه يفضل الانعزال ويتحاشى الجلوس معهم جميعاً أو حتى الالتقاء بهم كان يترك لهم في غرفة المعيشة بعض الأذكار والأدعية يواجه تقصيره الذاتي كلما نظر في وجوه إخوانه))^(٢)، فكان للتعصب الديني أثر بين وواضح في تشظي هويته.

(١) رواية رائحة التانغو ، ٧١ .

(٢) رواية العريضة ، ٢٤٦-٢٤٩ .

ب - الإرهاب :

يشمل جميع اعمال العنف والقتل والظلم من غير حقٍ على المواطنين وخلق جواً يفقده الأمان^(١)، وعبرت الروائية بدرية البشر في روايتها (غراميات شارع الأعشى) عن التيارات الإرهابية التي تمارس العنف بمسمى الدين، ولا شك أن ظهور هذه التيارات يمثل تهديداً للمجتمع حيث تسبب في خلق حالة من الخوف والقلق يؤدي إلى الإرباك الهوية العربية ((مرّ أسبوعان ولا حديث للحارة إلاّ عن احتلال الحرم ، الكلّ يدعو ويحتسب على هذه الزمرة التي روّعت الناس وأسالت دماء المسلمين شلّت الأحداث قلوب الناس ، وعقدت ألسنتهم))^(٢)، كما جسدت الروائية العلاقة بين ظهور هذه التيارات وبين تأزم الهوية لدى الشباب، فانساقوا وراء هذه التيارات، ويتمثل ذلك في شخصية (سعد)، ولعل سبب انضمامه لجماعات إرهابية يعود لأزمات نفسية، فشعره بالوحدة واستياؤه من العنف الذي تعرض له، دفعه للبحث عن هوية جديدة تتسم بالقوة والصرامة ((مع جماعة المسجد كان سعد يفتش عن أخوة تعوضه فراغ طفولته، خرج سعد يمشي متجهاً نحو بيته وكلمات الشيخ ترن في أذنه... حاول عقله يرسم له صورة الأعداء ، فلم يخطر له سوى وجه متعب، الذي ضربه وأهانته))^(٣)، فإيمانها بتلك الجماعات أثر عليه، وتحول إلى شخصية عدائية، وبدت تترسخ لديه أفكار متطرفة في قضايا التحريم، والتحليل، ويظهر ذلك جلياً حينما رفض العمل في الدوائر الحكومية، ويعزي سبب ذلك أن أموال الحكومة حرام ((لم يطمح أبداً في العمل الحكومي لأنه مال حرام، كما قال له شيخه))^(٤)، وبعد انضمامه لهذه المجموعة تغيرت أفكاره وقناعاته، وأثر ذلك على علاقته مع (عواطف) ابنة الجيران التي أحبها، أصبح يطلب منها أن تكون أكثر التزاماً، وأن تغطي وجهها ((شاهدت عواطف تتناول شرشف صلاة وتضعه على رأسها قبل أن تصعد إلى السطح، وحين سألتها لماذا ؟ قالت إنّ

١ (ينظر :المقاومة الشعبية المسلحة في القانون الدولي العام ، صلاح الدين عامر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ٤٨٦ .

٢ (رواية غراميات شارع الأعشى ، بدرية البشر، دار الساقى، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ٢٢٧-٢٢٨ .

٣ م . ن ، ٢١٦-٢١٧ .

٤ م . ن ، ٢١٣ .

سعداً قد طلب منها أن تغطي وجهها عنه، لأنه حرام. فكرت في نفسي : هل كانت ليلي تغطي وجهها عن قيس ؟ ((^(١))، وتتحرك شخصية (سعد) بفعل المعطى الإرهابي مما خلق اضطراباً في هويته الإنسانية التي كانت تتراوح بين تطبيق التعاليم الدينية من جهة، والتعبير عن أفكار متطرفة من جهة أخرى.

كما ربطت الروائية بين الأحداث التاريخية وبين السرد الروائيين خلال إشارتها إلى حادثة اقتحام الحرم المكي التي عرفت بحركة جهيمان^(٢)، وما تركته من آثار في تحديد موجبات السلوك لدى الشباب ((لقد صار كل الشباب مثل سعد بلحاهم الطليقة وثيابهم القصيرة، وغتراتهم الحمر دون عقال، ووجوههم المليئة بالحنق والغضب. صار وجهه يطلّ من وجه كلّ شاب أراه، أصبح موجوداً في ملامح كل شاب بعد أن مات مع رفيقه جهيمان))^(٣).

قد أفرزت هذه الحركات صراعات تهدد الهوية الإسلامية بسبب ماتحملة من شعارات متطرفة وأفكار، أثرت على التفكير العقلاني لدى الشباب، فأصبحت الهوية اللاواعية تسيطر عليهم، فكان إيمانهم بلا عقلانية، ويظهر ذلك واضحاً في شخصية (نعيمه)) (وصلت إلى الجامعة ووقفت أمام البوابة في الساحة الكبيرة . لمحت صديقتي نعيمة التيكانت تحب صوت فيروز وتبادلني أشرطتها. اقتربت منها، فوجدتها تعلق قلادة على رقبتها تحمل صورة

(١) رواية غراميات شارع الأعشى، ٩٨ .

(٢) ((مع بزوغ غرة محرم الحرام من عام ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م دخل المتطرف السعودي المدعو جهيمان العتيبي مع ما يقارب المائة من أتباعه إلى المسجد الحرام في مكة المكرمة لإداء صلاة الفجر . وكانوا يحملون نعوشاً . وأوهموا حراس المسجد الحرام أنها نعوشاً لموتى، وسيصلون عليها صلاة الميت ، وفي الحقيقة إن هذه النعوش لم تكن إلاّ مخازن للأسلحة، وقد قدم المدعو جهيمان صهره المدعو محمد بن عبد الله القحطاني بأنه المهدي المنتظر، وسقط منهم الكثير ، وكان ممن سقط قتيلاً محمد بن عبد الله القحطاني الذي كان يدعون إنه المهدي المنتظر، بسقوطه قتيلاً بدأوا بالانهيار والاستسلام تبعاً وسلم جهيمان نفسه ومن بقي من أتباعه، وبعد فترة وجيزة صدر حكم الإعدام بحقهم، وكان جهيمان من ضمن قائمة المحكومين بالإعدام)) ينظر: دراسات مدعو المهديّة - مهادي السلفية التكفيرية وحركة جهيمان العتيبي، حسين سامي شبر، مجلة الانتظار ، ع ٥٠، ربيع الأول، طائفة الدولة الإسلامية الجذور الأيديولوجية والسياق السياسي، حسن حسن، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، بيروت - لبنان، ١٨ .

(٣) رواية غراميات شارع الأعشى، ٢٤٥ .

مقصودة من الجريدة. نظرت إليها، فأصابني الفزع. كانت صورة رجل قد طلى وجهه بالفحم، له شعر كثيف وطويل منفوش، وعيناه واسعتان تقدحان بجحيم أحمر لا قرار لهما. سألتها: - من هذا يا نعيمة؟

قالت:

- هذا جهيمان

لم أسأل نعيمة لماذا تعلق صورة محتل الحرم، لكي عرفت أن بعض البنات رأين فيه بطلاً^(١).

كما تطرقت الروائية حنان عبد اللطيف إلى واقع المرأة في ظل الضغوطات الدينية التي يمارسها بعض الأشخاص، فيقيدون حرياتهم بحجة الحلال والحرام، فكان تناول الروائية لهذه المضامين من أجل النهوض بواقع المرأة من خلال السرد الذي يعنى برصد الواقع الفعلي في ظل الإرهاب، وهذا ما يبدو واضحاً في شخصية (سمرا) وأخيها (سالم) الذي كان يعاني اضطراباً نفسياً ناتجاً من تعاطيه المخدرات ومن دخوله السجن، وانضمامه لمجموعات إرهابية متطرفة ((فجأة قطع علينا الاحتفال بدخول رجل غريب، أسمر كسمرة والدي، لكن لحيتَه أطول من لحية أبي ، وشعره مجدول في ضفيرتين طويلتين استقرتا على جانبي كتفيه))^(٢).

نلاحظ أن الروائية رسمت هوية (سالم) من خلال وصفه بلحية طويلة وشعر مجدول بصفيرتين طويلتين لتعبر من خلال هذا الوصف عن تحوله وارتباطه بأفكار مغلفة بالدين، بالفكر الإرهابي الذي يحمله (سالم) يكبت حرية المرأة، ويظهر ذلك عندما حاول منع أخته (سمرا) من ممارسة وظيفة التمريض، بحجة رفضه اختلاطها مع الرجال ((- إلى أين ؟

- إلى عملي .

- أي عمل؟

- سلمان : سمرا تعمل ممرضة .

(١) رواية غراميات شارع الأعشى، ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) رواية حياتان لأنثى واحدة ، ٥٦ .

- اكفهر وجهه حتى اسود ، وصرخ بصوت عالٍ : ممرضة ، ولم تجدي لك عملاً إلا ممرضة.

- تابع صراخه : عملك حرام ومنكر .

- جاء والدي من خلفه : ومن قال ذلك ؟

- أنا أقول ذلك

.. وأنا والدها، ولو كان عملها كما تقول حراماً ومنكراً، لما سمحت لها بدراسة تخصصها

لأربع سنوات، ولما سمحت لها بالعمل ، اذهبي الآن يا ابنتي، لا تتأخرين مريضاتك^(١)، وأن الحوار الذي دار بين (سالم) ووالده وأخيه (سلمان) يكشف عن الفكر المعقد الذي يتبناه (سالم) ويؤمن به ((- أجبرها أن تترك عملها هذا يا والدي لأجل الله .

- ولماذا ؟

- لأنه حرام ، حرام ، حرام .

- قلت لك سابقاً لو كان حراماً ما سمحت لها بمزاولته .

- تهكم عليه سلمان : إنها ممرضة لو لاحظت وليست راقصة .

- اخرس أنت كيف يكون حلالاً^(٢)

من خلال هذا الحوار ينكشف عمق الفكر المتطرف الذي يحمله (سالم)، وفي ظل ممارسات قهرية متسلطة تحاول أن تثبت صحة معتقدها الإرهابي، فكان سياقها الفكري متجانس مع طبيعة الخلية التي ينتمي إليها ((الناس ينظرون إلى عمل الطبيبة والممرضة الآن على أنه عار ، وأنا منهم ، ولن أسمح لابنتك أن تكون عاراً علينا ، يلوك الناس سمعتنا بسببها .

(١) رواية حياتان لأثنى واحدة، ٥٩ - ٦٠ .

(٢) م . ن ، ٦٦ .

- سلمان : أختي إنسانة شريفة ، وتزاول عملاً شريفاً بل مقدساً ، أختي تنفذ أرواح الناس ، وتخفف آلام المعذبين، وتواسي المصابين ، ولا تجلب علينا بأعمالها الإنسانية أي عار ، انظر لنفسك واسألها من مدمن المخدرات الذي مرَّ رأس أبي العالية لسنوات في التراب ؟

- نهض سالم وصرخ في وجهه : اخرس .

- لن أخرج ، تعود من غياهب السجون معتقناً فكراً تظنه ديناً، وتنعت أختي بأن عملها عار، وأنها تجلب علينا العار ، وتريدني أن أسكت لك .

- رفع سالم سبابته في وجه سلمان : أنا لا يشرفني النقاش مع منحرف منحل كهذا ، يرضى العار على أهل بيته ، بل ويأخذ أخته بنفسه لعمل تختلط فيه بالرجال))^(١).

ويدعوه هذا الفكر المتطرف إلى تكفير كل من يختلف معه في الهوية والمذهب وقتله ((توقفت بغتة حين طالعتني وجه مألوف على الشاشة ، وصوت المذيع يعلن - المطلوب الأمني (سالم سعيد) متهم بانضمامه لخلية إرهابية خططت لتفجير في مكة المكرمة ، في الحرم الشريف ، وبفضل من الله تم القبض عليهم جميعاً))^(٢).

وجسدت الرواية هذولالحسينان في روايتها (التعساء) النسق الفكري الداعشي المتوحش الذي ينبني على القتل والتكفير والتدمير مستغلاً ضعفاء العقول بمسمى الدين، ويظهر تأثير بشاعة التنظيم الداعشي في موقف (حمزة) وأخيه(حارث) حينما انسلخا من إنسانيتهم وارتكبا جريمتهم المروعة في قتل أختهم(دانية) نحرأ بكل وحشية، وتصوير هذه الجريمة وإرسالها لقاعدة داعش لأجل إثبات ولائهم، ويتجلى من خلال هذا السلوك الاضطراب في الهوية المتمثل بانتزاع عاطفة الرحمة من قلوبهم بممارستهم أبشع أنواع الإجرام والقتل((نُحِرت أختي دانية بسكين ذبح الأضاحي ... لا أعتب على حارث كان تحت تأثير حمزة، بل أتصور حزناً من حمزة لم أره متلهفاً لالتقاط لقطة من الزمن كتلك، يفعل ذلك لأجل داعش كقربان

(١)رواية حياتان لأنتى واحدة ، ٦٧ .

(٢) م . ن ، ٢٥٨ .

للانضمام إليهم، يريد أن يكمل مراسيم الانضمام لدولة الخلافة الإسلامية بالمبايعة^(١).
فالفكر الداعشي أثر على (حمزة) وأخيه (حارث)، إذ أصبحت هويتهما لا تتحرك بإرادتهما،
وإنما تستند إلى أيديولوجيا مبنية على ممارسات وحشية تختفي خلف ستار الدين.

ج - الموقف من الأديان :

عرضت الروائية سمية تشيهفي روايتها (مقهى نساء ضائعات) قضية الصراع
الأيديولوجي بين المذاهب، وعكس هذا الصراع التصدعات والاختلالات في المجتمع الخليجي،
ويصل التوتر حدته عندما تصل النزاعات الطائفية إلى المحيط الأسري، فاختلاف مذهب (زينب)
الشيعة عن مذهب زوجها (فيصل) السني، أدى إلى خلق شرخ في العلاقة بينهما ((تنهد فيصل
بحيرة : الحقيقة لا أريد لابني أن يكبر في بيئة تختلف عن بيتي، أريده مثلي تماماً في الفكر
، والعقيدة ، والمذهب ، لا أريده أن يتلوث بأفكار ومعتقدات خاطئة !

صرخت زينب كالملدوعة :

- لم يكن هذا كلامك قبل الارتباط بي، أحببتني بمذهبي، وفكري، ولم أخدعك أبداً، وابنك هو
ابني، ثم إنني احترمت رغبتك، ولم أعد أصطحبه معي، لمجالس العزاء، مع أنني لا أرتكب
خطأ، وكل واحد فينا مقتنع بما يفعله، ولا يمكنني التخلي عن مذهبي !

انهارت زينب باكياً، واصطدمت بواقع لم تحسب له، رجل أحبته. وصارعت الجميع من
أجله يرفضها اليوم نهائياً بعدما كان يتمناها في الماضي ، كل شيء يتعلق بها أصبح
منبوذاً^(٢).

أن اختلاف المذهب مزق الحب بينهما، ووصل الصراع إلى حدته عندما قام (فيصل) بتغيير
اسم ابنه من (حسين) إلى (بندر)، رغبة منه في تغيير هوية ابنه من شيعي إلى سني ((ردت
زينب بتجهم : - عن نفسي سئمت الخلافات اليومية مع زوجي ، والحقيقة قررت الانفصال ،

١) رواية التعساء ، هنوف الحسينان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ط ١، ٢٠١٨م، ٦٤-٦٥.

٢) رواية مقهى نساء ضائعات ، سمية تيشة، دار سما للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠١٤م، ٥٥-٥٦ .

بت أخشى على نفسي وعلى طفلي من طائفية زوجي وعنصريته ضدنا، فقد وصل الحال به أن قام بتغيير اسم ابني من “ حسين “ إلى “ بندر “ ((^(١)).

و في رواية (لأنني أسود) للروائية سعداء الدعاس تلامس محنة الصراع بين ديانتيمن خلال شخصية (جمال)، فهو يعاني محنة تشتت الهوية بين الدين المسيحي لوالدته والدين الإسلامي مما أثار لديه تساؤلات عدة حول الفرق بين مراسيم دفن المسلم والمسيحي ((- المسلم حين يموت لابد أن يغسل ويكفن فقط، ليواجه ربه كما خلقه.

- لكنني أرغب بمشاهدة أبي للمرة الأخيرة، أطفال أولئك الموتى في الكنيسة امتلكوا فرصة الوداع الأخير همسوا في أذن آبائهم كثيراً من الكلمات وطبعوا على جباههم كثيراً من القبل لماذا أحرم أنا من فرصتي الأخيرة .

- لأنهم كاثوليك يا صغيري أنت تعرف أن والدتك مسيحية، فلماذا تقارن قوانين دينها بقوانين ديننا ! قالت تغريد جملتها تلك وهي تبتسم .

يومها عرفت أن لحظة وداع المسلم مستحيلة ((^(٢)، يكشف النص عن الأزمة التي يعانيها (جمال)، فهو يعيش الانشطار بسبب المفارقات بين الدين الإسلامي والدين المسيحي. فاختلاف مراسيم دفن الميت في الديانتين كلتيهما ولدت لديهما صراعاً هوياتياً يتأرجح بين ديانتيين .

نلاحظ مما تقدم أن السلطة الدينية كان لها دور كبير في التأثير على هوية الفرد بخاصة والمجتمع عامة، وإن هذه السلطة تنوعت بين الصراعات الدينية الناتجة عن اختلاف المذاهب أو المعتقدات الدخيلة على الدين، التي تبنتها جماعات متطرفة لا إنسانية، فكان المتن الروائي النسوي الخليجي مرآة عاكسة للمعتقدات الدينية المختلفة التي تركت صداها على هوية الفرد في المجتمع، فكرست هذه الروايات اهتمامها بعرض الأفكار السائدة التي تدور حول سياق مغلق بعيد عن الدين وتعاليمه، أغلبها أفكار لا جذور لها في الدين تسعى إلى إزاحة الآخر نتيجة دعاوى باطلة وخلفيات ومرجعيات بعيدة كل البعد عن الوعي الديني وغالباً ما تركز هذه

(١)رواية مقهى نساء ضائعات، ٧٥ .

(٢) رواية لأنني أسود ، ١٢٧-١٢٨ .

المزاعم الدينية على النساء فقط ضمن حجة الحلال والحرام التي تختبئ وراءها، فساهمت هذه المزاعم على زيادة شقاء المرأة في المجتمعات الخليجية، إذ قامت على معتقدات تمنع المرأة من حقوقها التي شرعها الدين لها بقوانين متعصبة تنتزع حريتها وتنتقص من قيمتها باسم منظومة الدين .

فجاء السرد الروائي مرتبطاً بالعنصر الديني الذي اقترن بتركيب إيديولوجيا المجتمع الخليجي ((فالعنصر الديني يختلف باختلاف مجموعات وفئات المجتمع ، وهو ككل الأيديولوجيات يقترن بالخطوط الكبرى لتركيبية المجتمع الأفقية))^(١).

(١) الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، ١٩١ .

المبحث الثالث

السلطة الاجتماعية

المبحث الثالث

السلطة الاجتماعية

لكي نفهم أبعاد الهوية في المجتمعات الخليجية لابد لنا من معرفة السلطة الاجتماعية التي تحرك سلوك الفرد؛ لأن ((الهوية عامة هي ظاهرة اجتماعية، هي تكوين اجتماعي ينشأ بفعل المشاركة الاجتماعية))^(١). ونجد أنّ الفرد في أحيان كثيرة يخضع لأنساق مجتمعية يكون لها دور بارز ومؤثر في صياغة هويته، فكل مجتمع لديه ((نظام هويات واضح المعالم ، يخضع فيه كل منها لأعراف معينة ، ويحمل امتيازات أو أنواعا من الحرمان معينة ، ويتم تطبيقه إذ تمثل الهويات الاجتماعية مزيجاً من المعايير السلوكية والسلطة، وتستمد مشروعيتها من مجموعة المعتقدات المهيمنة، وتستمد استمرارها من علاقات السلطة المهيمنة))^(٢).

والسلطة الاجتماعية هي : ((تمثلات عرفية تؤثر على الفرد بفعل الجماعة ليعدها سلوكيات قيمية مختلفة، وقد تحدث تغيرات بأيدولوجيا الفرد بفعل التغيرات البيئية الثقافية منها والاجتماعية))^(٣)

وتعدّ السلطة الاجتماعية من الآليات المهمة التي تسيطر على هوية الفرد، فهي تقع ضمن ((منظومة من المؤثرات العلنية والسرية تدخل في نطاقها أشياء كثيرة كالعادات والسلوك الاجتماعي وأنماط العيش والمعتقدات والتراث ، إضافة إلى مؤثرات أخرى تؤدي فعلها الضاغط تلقائياً دون الحاجة إلى أي نوع من أنواع الأوامر الحكومية أو الرقابة المباشرة))^(٤).

(١)الذاكرة الحضارية ، ٢٤٢ .

(٢) سياسة جديدة للهوية- المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، بيكو باريك ، تر: حسن محمد فتحي ، مراجعة محمود ماجد عبد الخالق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٣م ، ٣٩ .

(٣) المركز والهامش في الرواية النسوية العراقية ٢٠٠٣ - ٢٠١٠م، ابتهاكازم أحمد الطائي، رسالة ماجستير، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٩م، ٧٣.

(٤) المثقف والسلطة، والمعرفة ، جمال جاسم أمين ، الأديب ، ع ١٢٤ ، ٢٠٠٦/٦/٢١م ، ٥٠.

أ- السلطة الاجتماعية داخل المجتمع الخليجي:

بالخوض في السرد الروائي النسوي الخليجي نجد أن الهوية الخليجية وقعت تحت ضغوطات العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، مما أثر ذلك على خلق هويات متأزمة.

تجسد رواية (فتاة من المقهى) للروائية مريم عبد الله القلاف، السلطة الاجتماعية التي أفادت من المرجعيات المتشددة في نظرتها للآخر، فبعد أن تعرف (عبد العزيز) بفتاة أرمنية أحبها، وأراد الارتباط بها، يصطدم بالسلطة الاجتماعية الأبوية التي تركز على مرجعيات عرفية، وفكرية تحاول رفض الآخر، فسلطة المجتمع الخليجي تحمل أيديولوجيا قبلية ترفض الزواج بامرأة من جنسية وديانة أخرى وهذا ما كشفته الروائية عند رفض والد (عبدالعزيز) زواج ابنه من المرأة الأرمنية التي أحبها ((- يبا أنا بقولك شيء يباأنا أحب وحده وأبي أتزوجها.ضحك أبوي ضحكه عالية وغالية بعد كانت تضحك على كلام أخوي.

_ تترفز عبدالعزيز وقال : يبا أنا أتكلم جد أنا أبيها .

ييا لو سمحت لا تتكلم عنها جزي أي ييامو كويتية أهي أرمنية عايشه بالإمارات وأنا أبيها واهي تبيني صار هدوء شوي وقال أبوي : ومن أي شارع لقيتها ؟!

ما تحمل أخوي هالكلمة عصب وقاله :

- لو سمحت يبا أنا ياي أقولكم قراري وإذا ما رضيت أنا بسافر لها ونتزوج وعيش هناك معاها.

صرخ أبوي وقاله - أسمع علم يوصلك ويتعداك !! إذا ما شلت هالموضوع من بالك لا أنت ولدي ولا أبيأعرفك تطلع من بيتي بعدها سمعت ((^(١).

يكشف النص العلاقة الجدلية بين الذات والآخر، إذ نرى أنّ الشخصية ((ترفض أية شرعية مهما كان مسوغها؛ لأنه يهجمس غايتها النهائية في الاستلاب والتنميط، وهو ما ترفضه ذاته

(١) رواية فتاة من المقهى ، ٨٩ - ٩٠ .

الوجودية التائفة إلى الحرية بمعناها الأوسع^(١)، رفض (عبد العزيز) كل القيود، والإكراهات العرفية والاجتماعية القاسية التي يمارسها والده ضده، فيعلن ثورته ورفضه القاطع لقيود السلطة الاجتماعية، ويحاول أن يحقق هويته، وكيونته، فيختار الابتعاد، والإقصاء طريقاً للخروج من الأزمة رداً على أنساق الاستلاب والمنع، فما كان منه إلا أن يختار السفر إلى الإمارات ليتزوج الفتاة التي أحبها، ويعدّ ذلك صورة من صور التحرر من العادات والتقاليد الاجتماعية المقيّنة التي تبنتها السلطة الأبوية^(٢) ((يمكن عشان أهو رجالقدر أن يأخذ قرار كبير مثل هذا ويطلع من بيتنا عشان يعيش حياته مثل ما أهو يبي بس احنا بنات وصعبة نسوي مثله طبعاً لا عادتنا ولا تقاليدنا تسمح بجذي))^(٢)، وعند العودة إلى سارد النص نجد أنّ من تحدثت أخته (أمل) التي عرضت من خلال ثورة أخيها على العادات والتقاليد مفارقة كبيرة توضح نسق المواجهة وسطوة المجتمع على الجنس الأنثوي، وكأنها تريد القول بأن المرأة لا تستطيع أن تهرب من السلطة المجتمعية مثل الرجل.

وتصور رواية (غراميات شارع الأعشى) للروائية السعودية بدرية البشر، نسقاً اجتماعياً يتمثل في صراع المرأة مع العادات والتقاليد الاجتماعية التي تشترط نمطية زواج المرأة برجل من نفس البلد، فشخصية (مزنة) في الرواية، تحاول كسر هذه النمطية، بمواجه السلطة المجتمعية، والذكورية، حينما أرادت الزواج من (رياض) الشاب الفلسطيني المقيم في السعودية، جوبهت بالرفض، لأنه ليس سعودياً: ((رياض خطبني أمس من أخوي متعب ، ومتعب قال لأمي إن رياض ماهوب من مواخذينا انتبهت لأول مرة لاسم رياض وقلت :

- ليه رياض ، وش فيه عيب ؟

قالت : - يقول أخوي إن أصله ماهوب سعودي .

- وش قالت أمك ؟

(١) تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، محمد عبد الحسين هويدي ، دار الرافدين -

بيروت، ط ١ ، ٢٠١٨م ، ٥٤ .

(٢) رواية فتاة من المقهى، ٩٤ .

أمي قالت : - يا ولدي ما خبرنا الأصل في بلادنا بس ، كل بلاد فيها رجاجيلوقبايل .

لكنّ متعب رفض لأنه حائر في معرفة رجل جاء من بعيد ، ولا يعرف عنه شيئاً . ((^(١))

فالنص السردي يحيل إلى واقع سلطة اجتماعية قامعة، تنطوي تحتها شخصية (مزنة) التي وجدت نفسها بازاء استلاب حريتها في اختيار شريك حياتها، فخاضت صراعاً صعباً مع هذه السلطة، من خلال مواجهة ما هو سائد من أعراف وعادات سائدة في الدول الخليجية ((يا مزنة ، موضوع ذا الفلسطيني لا عاد تحاكيني فيه ، تاري ملّيت .

- بس أبيك تعلّمني هو في شرع الله حرام أني أتزوّج رياض ؟

- لا يا أختي ما فيه ما يمنع ، لكن في أشياء جاءت قبل الدين . وهذا دم ما يختلط مع دم ، وأنساب محفوظة من يوم أبونا آدم ، واللّي يضيع نسبه بين الناس لا أحد يزوجه ولا يا أخذ منه))^(٢)، فالحوار الذي دار بين (مزنة) وأخيها يكشف عن ازدواجية المعايير التي يتبناها المجتمع الخليجي وقوانينه السلطوية الجائرة المخالفة للدين الإسلامي، وهذا ما أكده صراع الحوار بين الطرفين فكلّ منهما متمسك بوجهة نظره و يحاول اقناع الطرف الآخر بها، فيرى الأخ أن الزواج من شخص غير سعودي انقلاباً على الأعراف والعادات الاجتماعية في حين أصرت (مزنة) على هذا الزواج محاولة بذلك تفكيك واقع أعراف العائلة والمجتمع.

وقد أظهرت الرواية أن شخصية (مزنة) تحمل هوية المرأة المتصدية لأنساق المجتمع الاستبدادية فتحاول مواجهتها ((قالت مزنة مرّة وهي تقنع والدتها وضحي :

- يمه أنا بغيته وهو بغاني على سنّة الله ورسوله .

قالت وضحي :

- يا بنتي ما يصلح لنا ولا نصلح له .

(١) رواية غراميات شارع الأعشى ، ١٥٠

(٢) م . ن ، ١٥١ .

- ليه ، فهموني ؟

- عجزنا نفهمك يا بنتي ، هذه أمور ماهي في يدنا ، حظها جدودنا وجدود جدودنا واللّي يعاندها يا بنتي يصير ما عاد له قيمة بين الناس ، وحتى عياله يضيعون لا عاد خوال ولا عمام .^(١)

واستطاعت (مزنّة) إقناع أهلها بالزواج من (رياض)، وبعد زواجهما رحلت إلى بيروت، وانخرطت تحت سلطة عادات وتقاليد عائلة زوجها، ومع ذلك نجدها تتكيف معها على الرغم من تناقضها. مع عاداتها وتقاليدها القبلية الموروثة ((تغيرت مزنّة بعد زواجها ، لم تعد تشبه نساء سوق النساء القديم، صارت تلبس ثياباً حضرية وقصّت ضفائرها في أذنيها أقرطاً من الزمرد الأخضر . زرتها فقدمت لي قهوة سوداء، وأشعلت والدّة زوجها أمامي سيجارة قدمتها لي قائلة : بدخني ؟ . لبست مزنّة ثياباً قصيرة، وتورد وجهها من خلال شعرها القصير الذي قصّته حين سافرت في الصيف مع أهل زوجها إلى بيروت . أظهرت لي ألبوم صور ملوّنة لها ولعائلة رياض وأقاربهم يجلسون قرب بحيرات وأنهار وأعمدة هائلة الأحجام تسمى بعلبك في الصور كان النساء يختلطن بالرجال ويدخّن الأرجيلة ويلبسن ثياباً قصيرة))^(٢)، يلاحظ من خلال النص أن (مزنّة) نفرت من قيمها وعاداتها بمجرد سفرها إلى مكان آخر بعيد عن أهلها، فغيرت من الجانب الشكلي في عاداتها، ولعل ذلك يعود إلى رغبتها في التخلص من الإرث الاجتماعي المتشعب بالعادات والقوانين الصارمة.

ومن الأنساق الاجتماعية القاسية في المجتمعات الخليجية، تقييد حق الفتاة في اختيار شريك حياتها، وحصر نطاق زواجها ضمن أبناء العم أو أحد أقاربها ، بينما تمنح هذه السلطة الرجل حرية الزواج من غير أقاربه، وتجلى ذلك بوضوح في رواية (مقهى نساء ضائعات) للروائية سميرة تيشه، إذ تناولت نسق السلطة الاجتماعية من خلال نسق سلبي، يتمثل بالقوانين التي وضعتها الأعراف القبلية التي تحدد زواج ابنة العم من ابن العم قسراً، فزواج (أمل) و(بدر) مفروض

(١) رواية غراميات شارع الأعشى ، ١٥٢ .

(٢) م. ن ، ٢٢٠ .

عليهما منذ الصغر بحكم العادات والتقاليد مما أوقع الذات في أزمة نفسية بخاصة إذا كانت رافضة لهذا الزواج ((وضعت أمل يدها على خدها الأيمن ، وهي تحاول أن تتمالك نفسها بعدم الرد على زوجها وابن عمها بدر، تزوجا زواجاً تقليدياً جداً، جداً، فقد أرتبط اسماهما ببعضهما منذ الصغر، كبرا، ولم يكن أمامهما خيار آخر سوى الارتباط والزواج، إرضاء لأبويهما ، وأسرتهما، وجيرانهما ، وكل من يعرفهما ، إلا نفسيهما!

منذ لأسبوع الأول من زواجهما، اكتشفت أمل خيانة بدر المشروعة في العرف الشرقي ، وفضلت الصمت والكتمان، كي لا تنقلب الموازين، ويقام عليها الحد ، وتتهم بالتمرد والخروج عن المألوف، تحملت الوجع بمرارة، وبكت أياما وليالي طويلة و دون أن تعلم أحداً عن ألمها، بينما استمر (هو) بالتمادي وممارسة خيانتة وسط تصفيق كل من حوله!!^(١)، والمرأة عادة تدفع ثمن تمسك المجتمعات بهذه الأعراف القبلية الممقوتة، فيؤدي إلى ضعف هويتها، ويتضح هذا الضعف في خيانة (بدر)، إذ قام بعلاقة مع امرأة أخرى بالخفاء اختارها بعيداً عن سطوة تقاليد المجتمع، وسلوكه هذا مرهون في بحثه عن هوية وجوده في حرية الاختيار، أمّا (أمل) فعلى الرغم من اكتشافها خيانة زوجها منذ الأسبوع الأول من زواجهما وجب عليها أن تتأقلم قسراً مع خيانتة في مجتمع متناقض يصفق لخيانة الرجل وبالمقابل يمنع المرأة من حرية الاختيار بحكم العرف والعادات القبلية، فالأثر الذي يتركه هذا الفعل على (أمل) يبين ضعفها وذلك أمام سلطة الأعراف والتقاليد.

وتبين الروائية سميه تيشه في روايتها أن البنية الاجتماعية سيطرت على سلوك الأفراد على وفق معايير تتخذ من عادات المجتمع الخليجي ذريعة للسيطرة على الفرد، فهوية الفرد في المجتمعات الخليجية لم تستطع التحرر من التقاليد والأعراف المسيطرة على بناء تكوينها، وكان الزواج من خارج القبيلة من أكثر أشكال الصراع الاجتماعي الذي تعاني منه هذه المجتمعات ، وهذا ما مثلته الروائية أيضاً في شخصية (عبد العزيز) و(سارة)، فكلاهما يحب الآخر إلا أنّ عادات المجتمع حرمتها من الزواج، إذ أن سلطة العادات لم تمنح (عبد العزيز)

(١) رواية مقهى نساء ضائعات ، ٦٩-٧٠.

حقه في اختيار شريكه حياته فحددت اختياره ضمن الزواج من بنات القبيلة وحسب)) -
عبدالعزیز أنا سئمت الانتظار ، فمتى تطرق بابي !؟

قالتها سارة بلغة بالغة اليأس

أجابها بهدوء كعادته :

- عندما أرى نفسي قادراً على مواجهة والدي، فهو يرفض ارتباطي بأي فتاة من خارج القبيلة، تعلمين عاداتنا وتقاليدنا ((^(١).

وهنا يعبر النص الحواري عن أنساق اجتماعية كشفت عن هشاشة الهوية، ف(عبد العزیز) يعاني من اضمحلال هويته الرجولية والانسانية بعد فشله في مواجهة التقاليد الاجتماعية القمعية التي غيّبت حقه الطبيعي في اختيار طريقه في الحياة.

تطرح الروائية رنده العمانيفي روايتها (بيننا أنثى) مجموعة من الضغوطات والمعوقات الاجتماعية الصارمة، إذ كشفت على لسان الشخصية (مريم) الواقع المأساوي الذي تعيشه المرأة الخليجية في ظل أجواء سلطة اجتماعية ودينية مشددة وخائفة تلقي بظلالها الثقيل على كيان المرأة، وتشكك بمقدرتها على صوغ حياتها بمفردها، فيؤدي ذلك إلى زرع العجز والتوتر في دواخلها)) أنتلم تسمعي عن حوادث بلدي وقضاياها أبسط مثال أنه لا يمكن للمرأة أن تفعل أي شيء دون ولي الأمر تريد أن تتوظفي أحضري أذننا تريد أن تخرجي لابد من سائق، لكي تفتحي لك حساباً بنكياً، ولكي تتزوجي ، ولكي تدخل المستشفى، ولكي ترثي ، ولكي . ولكي . ولكي . كل أمورك تحتاجين لتنفيذها وسيط يسمى ولي الأمر، الوصي يقولون: النساء عندنا يعاملن كالملكات وفي الوقت نفسه يضعوننا في قوالب ناقصات العقول ((^(٢)، يعبر السرد عن صرخة احتجاج خفية ضد السلطة الاجتماعية الجاثمة على قدر المرأة، والتي تكبلها بقيود (الوصي أو المحرم)، فلا يسمح لها بممارسة حياتها الطبيعية من دون ولي أمر، فهذا الوصي أحدث معوقات خلقت شخصيات منهارة من الداخل، ويبدو ذلك واضحاً في (مريم)، فهي تحمل شخصية

(١) رواية مقهى نساء ضائعات، ٤٥ .

(٢) رواية بيننا أنثى، رنده العمان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ٩٧ .

منسحقة لا يمكنها إدراك وجودها بعد وفاة والديها لذلك قبلت، بالزواج من ابن خالتها (كريم) على الرغم من شرطه أن يكون هذا الزواج شكلياً بالورق فقط ولا يترتب عليه أي حق شرعي لها ((أنا موافق بالطبع إكراما لوالدتي وإكراما لجدنا مجرد ورقة تتيح للجميع الشعور بالراحة والتخلص من الخوف المسيطر عليهم من المجهول وخلال هذه الأعوام متى ما أحببتي انفضلتنا))^(١).

و تصدر الروائية بدرية البدري في روايتها (ظل هيرما فروديتوس) السلطة الذكورية التي تستمد شرعيتها من سلطة المجتمع التي تحتكر المرأة وتمنعها من حقوقها المشروعة، وتضيق عليها السفر لإكمال الدراسة ضمن العيب القبلي، وهذا ما تمثل في شخصية (سعاد) وأخيها (فهد) الذي حاول أن يمنعها من السفر إلى أمريكا لإكمال دراستها، إلا إنها دافعتن طموحها معبرة عن رغبتها في التحرر من تبعية الرق الاجتماعي ((مازلت على خصام مع أخي فهد الذي رأى في سفري لأمريكا للدراسة عاراً لعائلتنا المحافظة :

- كيف لفتاة أن تسافر وحدها ؟ لماذا لا تتزوج وتريحنا من حمل همها ؟ صدق من قال : هم البنات للممات))^(٢)، تتبنى الثقافة الخليجية والعربية بشكل عام - على وفق أنساق ضيقة تستبطن نظرة سلطوية للرجل وبالمقابل نظرة دونية للمرأة ،ويظهر ذلك واضحاً في عبارة (هم البنات للممات)، فهذه المقولة تذكرنا بإحدى العادات الجاهلية التي تمثلت بوأد البنات خوفاً من جلبهن للعار، إذ كانت بعض القبائل العربية تتخذ من هذا النسق اللاإنساني مساراً مهماً ، للحد من حريات المرأة وكبتها فضلاً عن إلغاء هويتها، واستلابها. وهذا ينافي ما جاء به القرآن الكريم والقوانين الإسلامية.

ونلتمس الموقف نفسه في رواية (غراميات شارع الأعشى)، فسلطة العادات القبلية تفرض على (أحمد) أن يترك بلده ليرافق أخته (سميحة)؛ لأن الأعراف القبلية والاجتماعية في دول الخليج تمنع من سفر البنت مندون محرم ((لأول مرة أشاهد امرأة تسافر لتعمل في

(١) رواية بيننا أنثى ، ٢٦ .

(٢) رواية ظل هيرما فروديتوس ، ١٧٢ .

مكان بعيد، ومع أخ يترك بلاده وحياته وعمله ، ويرافق أخته ويضحي من أجلها))^(١).

وكذلك تحدثت الروائية نورة آل سعد في روايتها (العريضة) عن الضغوطات الاجتماعية، التي تمارس ضد المرأة، فعندما قررت (منيرة) السفر إلى مصر لإكمال دراستها لم توافق عائلتها إلا بشرط مرافقة والدتها ((لم تتحد منيرة إدارة أهلها يوماً ! لم تعارض أمها قط ! تخوض لأول مرة نضالاً لإقناع أمها بالسماح لها بالدراسة في القاهرة ، وافقت الأم على شريطة أن تلحق بها بعد أربعة أشهر وعاشت الاثنتان تحت سقف واحد في الغربية))^(٢).

وعبرت الروائية نورة شهيل في روايتها (هنا تركت قلبي) عن السلطة الاجتماعية التي تهيمن على كينونة المرأة، وتفرض عليها قيود لا تفرضها على الرجل، فتكبلها بثقافة العيب ضمن منظومة العادات القبلية التي تدعم التمييز بين الرجل والمرأة، فتمنع المرأة من ممارسة حقوقها بشكل مساوٍ للرجل ((مديحة : منتهى الظلم ، يعني الأولاد والرجال يذهبون إلى السينما متى يشاؤون ، ويذهبون إلى المخفر لمشاهدة الأفلام في ساحته وأما نحن فعيب وما عندنا بنات واسكتي حتى لا يسمع أبوك))^(٣)، وبسبب هذه القيود والكوابح الاجتماعية تتعرض المرأة للكبث النفسي إلى جانب التأزم الهوياتي.

وسلّطت الروائية نجمة إدريس عبر السرد المتخيل في روايتها (حدائقهن المعلقة) على المعايير الاجتماعية غير السوية في كينونة المجتمع الخليجي، فطبيعة هذه المجتمعات تقوم على الارتكاز على معايير طبقية تعدّ كفاءة النسب والمستوى المادي شرطاً من شروط الزواج، مما ساهم في خلق معالم منغلقة على ذاتها، ويظهر ذلك من خلال شخصية (سلمان) و(أروى) فعلى الرغم من الحب الكبير بينهما إلا أنّ التفاوت الطبقي وقف حائلاً من دون تحقيق هذا الزواج، لأن مستوى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها (سلمان) يختلف عن الطبقة التي تنتمي إليها (أروى)، فطبقة (سلمان) هي طبقة مترفة من صفوة المجتمع، بينما أروى من طبقة فقيرة

(١) رواية غراميات شارع الأعشى ، ١٩٨ .

(٢) رواية العريضة ، ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٣) رواية هنا تركت قلبي ، نورة شهيل، دار ملهمون للنشر والتوزيع، الشارقة، ط١، ٢٠١٨م ، ٦٥ .

بالكاد تحصل على قوت يومها، وسلطة المفارقة الطبقية صادرت حرية (سلمان) في اختيار شريكة حياته((_ كنت أعتقد أنك رجل حر

-الرجل الحر يظل مقيداً بالأعراف ، بالعائلة ، بحبال ربّما لا تعرفينها . أنتِ أنك أكثر حرية مني ربّما .

- سلمان ، هل تزوجت في غيبتك ؟

-زواج تقليدي لأرضي أهلي . عائلتي اختارتها لي ، وقد استجبت لها وأرضيت تقاليدها))^(١).

أظهرت الروائية هنوف الجاسر في روايتها (ليتي امرأة عادية) من خلال شخصية (فريدة) دور السلطة الاجتماعية وأثرها القمعي على المرأة ، فالمجتمع الذي يمنح الرجل امتيازات عدة ، جعل المرأة تابعة لهذا الرجل وخاضعة لأوامره((دائماً هناك رجل إنه الركيزة الأساسية لكل شيء يتعلق بك . لا أعرف من أعطاه هذه العظمة . ودسه في مجرى خلايا كل امرأة.جعله يتمدد في عقلها حتى استولى عليه تمام... لذا كان الزواج بوابة الحياة للمرأة . ولا يتم هذا إلا عن طريق الرجل هومن يبادر ويأتي ليطرق الباب وما عليك أنتِ إلا أن تصلي من أجل أن تعجبيه))^(٢)، والمجتمع العربي عامة والخليجي خاصة يقع ضمن قوانين وأعراف لا تتيح الحب للمرأة، بينما تجيز ذلك للرجل، وتمنحه حرية ممارسة حياته بالشكل الذي يرضاه((يولد رجالنا للعيش وتولد نساؤنا للانتظار ، انتظار الفرص، الحب، الحياة، وإذا كنت امرأة قد أشقاها الانتظار وأرادت التحرر من هذا النمط المتوارث من الحياة، عوقبت بالنبذ، كأن الله خلقنا نحن النساء للعذاب المستمر المتواصل، وكل محاولة منا للحياة هي خيانة للديانة والقبيلة والعرف))^(٣)، فعادات المجتمع تقيد حركة المرأة، وتمنعها من الخروج لوحدها، ف (فريدة) لم تستطع أن تشترك بالمعهد؛ لأن أخوتها لم يكونوا متفرغين لإخذها((

(١) رواية حدائقهن المعلقة ، ٢٥٠-٢٥١ .

(٢)رواية امرأة عادية- ثرثرة عارية، هنوف الجاسر، دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠١٤م، ١٩.

(٣)م.ن، ٢٠.

قررت أن أتعلم اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي وتم رفض هذا لأن لا أحد متفرغ ليتكفل بتوصيلي كل يوم إلى المعهد^(١)، وتظهر الرواية معاناة الفتاة غير المتزوجة، على لسان (فريدة) ((بقائي عزباء طيلة هذه المدة لن ينقص من مالهم أو أعمارهم شيئاً ، لكنهم لا يزالون يتصرفون كما لو أنني أقف حاجزاً بينهم وبين الانشغال بالحياة... أصبحت فريدة حديث مجالس النساء والقضية التي تسبب لهم الأرق وأولهم أمي))^(٢)، وينظر المجتمع للفتاة التي فاتها قطار الزواج نظرة شفقة واستعطف، وكأنها لا معنى لها في ذاتها، لذلك يختزل قيمتها في الزواج وحسب((وحيدة تثير شفقة الآخرين الذين يرون امرأة بلا رجل : لا شيء))^(٣)، فوقع (فريدة) أمام حواجز وعادات مجتمعية لا يمكن لها أن تتجاوزها ، بما انغرس فيها بأن وجودها لا يتحقق إلا من خلال الرجل، لذلك نجدها تقبل بالزواج من شخص لا تحبه، لأجل أن تتخلص من نظرة المجتمع التي فرضت عليها((أفعل أشياء لا لي فيها ولم أختارها منذ البداية ، فقط لأستمر في اللاشيء الذي يراه الآخرون حياة... حزينة أكثر لأنمجبرة على التعايش مع هذا الحال والرضى بهذا النقص، فيدي الصغيرة لن تحدث أي تغيير أمام كل هذه الحواجز والعقبات التي تقيدني عن ممارسة الحياة))^(٤).

ب- تفكك السلطة الاجتماعية في الغربية :

قد يضيق تأثير هذه السلطة على وفق منظومة من الأنساق الفكرية والثقافية، فتقع الهوية تحت تأثير التعددية، وهذه التعددية تتشأ من سلطة اجتماعية موروثية أو نسق ثقافي مكتسب من البيئة المحيطة بالفرد .

وعلى الرغم من أن الهوية رهينة السلطة الاجتماعية التي أفرزتها، إلا أن المحيط والفكر الثقافي لهما دور في بلورة الهوية وتشكيلها، فتأثير السلطة الاجتماعية قد يتلاشى بتغيير ثقافة المكان، وبهذا تكون الهوية ليست منغلقة على ذاتها وإنما منفتحة متأثرة بالمحيط

(١) رواية امرأة عادية، ٨٨.

(٢) م. ن، ٤٥.

(٣) م. ن، ٧٧.

(٤) م. ن، ١٧-١٨.

الذحولها، كما أنّ لكل بلد خصائصه الثقافية التي تميزه عن غيره من الثقافات ((فالهوية الثقافية لكل قطر عربي لا تتطابق مع الهوية الثقافية لكل قطر آخر بالضرورة، فرغم عوامل الاتفاق هناك عوامل اختلاف))^(١)، فالبيئة التي تحتضن الهوية تساهم في رسم ملامحها، إذ إنّ العلاقة بين الهوية والثقافة علاقة وطيدة، فالهوية تحمل في طياتها الفكر الثقافي الذي تستسقي منه وتنمو من خلاله، وبذلك يكون للثقافة أهمية بعدّها ((نبعاً يغذي الهوية الفردية والجماعية وبالتالي تتحول الهوية إلى إستراتيجية تستخدم الثقافة وتغيرها لتصبح مختلفة عما كانت عليه من قبل ويستخدم من أجل الصراع ونفي الآخر))^(٢).

ولا شك إنّ لكلّ مجتمع ثقافة وهذه الثقافة تؤثر على هوية الفرد، فهوية الفرد قابلة لأن تتكيف مع المحيط الذي توجد فيه، وهذا ما نجده في المتن الروائي عند ميس خالد العثماني في روايتها (تؤلؤل) من خلال شخصية (سالم) الذي هرب إلى أوربا بعدما تعرضت أخته لحادثة اغتصاب، ومع ذلك نجده متأثر بالثقافة الأوروبية، فعلى الرغم من انه شاب كويتي ولد في بيئة عربية إلاّ أنه يترك ابنته المراهقة في بريطانيا لوحدها في الأقسام الداخلية، وهذا التصرف يتنافى مع عادات المجتمع الكويتي الذي ولد فيه ولعل ذلك يعود إلى تشرب الحرية الأجنبية في سلوكه، وهذا يؤكد أن هوية الفرد تتكيف مع المحيط والمناخ الذي يحتويها، فكل فرد في داخله مجموعة من المبادئ قابلة للتغير حسب الظروف التي تحيط بها ((- خير يا أمي ، وجهك لا يشبهك هذه الأيام ؟

هبت ببركانها : “ من أين يأتي الخير ؟ ابنة سالم ياسمين ، بنت عمرها ١٤ سنة ، يتركها في مدرسة داخلية هناك وهو معنا ؟؟

- هل سألته هذا السؤال ؟

- لا طبعاً أخاف يزعل “

(١) الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، ٨٣ .

(٢) المسألة الثقافية-وقضايا اللسان والهوية ، محمد العربي ولد خليفة ، دارثالة ، الجزائر ، ٢٠٠٧م، ١٠٥ .

- إذن فالإجابة ليست من اختصاصي ، فلا تنتظري مني تحركا ، أسأليه هو ليجيبك هو))^(١).

بينت الروائية في هذا النص الحوارى التحولات الثقافية التي طرأت على شخصية (سالم)، فقد اكتسبت ثقافة مختلفة عن الثقافة الخليجية، ولعل ذلك يعود إلى المحيط الغربى وأثره على الفرد، إذ يتصل عن هويته العربية، ويبحث عن هوية جديدة يحاول الاندماج من خلالها في المجتمع الجديد.

وطرحت الروائية ظبية خميس في روايتها (الحياة كما هي) تأثير سلطة المجتمع الغربى على شخصية الفرد، و (مهرة) فعندما عادت من أمريكا بعد إكمالها الدراسة، غيرت من عاداتها وتقاليدها، بحكم تغيير السياقات الاجتماعية المحيطة بها، فأصبحت أكثر تحراً ضاربة عرض الحائط السلطة الاجتماعية والدينية والأخلاقية التي تنتمي إليها ((كانت المحطة الأولى أبو ظبي . استقبلت العائلة مهرة في المطار ، وفي غمرة القبلات والأحضان تلك ، أفلتت نظرات معاتبة في عيونهم على مظهرها . بنطلون الجينز والتي شيرت . إن هذا المظهر غير ملائم أبداً في عيونهم ... حدثت صدامات كثيرة ، أولها أن مهرة لم تعد تقبل أن ترتدي العباءة ولو للمظهر العام، ثم إنها متمسكة بالجينز والبنطلونات وتلك القصمان والتي شيرتات، وكان هذا يسبب الكثير من الإحراج للعائلة. غير أن ذروة غضب أم مهرة انفجر عندما وجدت مهرة تشعل سيجارة وتدخنها أمام الجميع غير عابئة بهم .. الأمر الذي كان محظوراً وغير مألوف في مجتمعهم))^(٢)، إذ مثلت (مهرة) اللقاء التصادمى بين سلطتي الشرق والغرب، وأظهرت التقاطعات الاجتماعية بين الطرفين .

شهدت الرواية النسوية الخليجية حضوراً مكثفاً للسلطة الاجتماعية، وكانت هذه السلطة مدانة في معظم الأحيان في المتن الروائى النسوي؛ لأنها شكلت إحدى العقبات الأساسية في منع حرية الفرد، وكان من أهم أشكال السلطة الاجتماعية ، سلطة العادات وتقاليدها الأعراف، وبينت الروائيات مركزية السلطة الاجتماعية في الخليج، فهي السلطة الأكثر تحكماً في سلوك الأفراد،

(١) رواية ثؤلول ، ١٩٦-١٩٧ .

(٢) رواية الحياة كما هي، ظبية خميس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١١، ٢٠١١م، ١٤٩ - ١٥٠ .

وقد تفوق التعاليم الدينية في بعض الأحيان، ولعل ذلك يعود إلى أن المجتمعات الخليجية هي مجتمعات قبلية لذلك لم تستطع التحرر من سلطوية السلطة الاجتماعية.

حاولت الرواية النسوية الخليجية من خلال المتن الروائي أن تهدم السلطة الاجتماعية المبنية على العادات والتقاليد الاجتماعية الموروثة المنغلقة التي تحطم هوية الفرد، فسعت الروايات إلى مواجهتها من خلال الصوت المقاوم لهذه التقاليد التي وضعها المجتمع، كما حاولت أن تسلط الضوء حول حقوق المرأة التي كانت شبه مفقودة في المجتمعات الخليجية، بسبب هذه السلطة التي فرضت قوانين وإكراهات اجتماعية كثيرة تحد من حرية الفرد ، وتجعله في خانة ثقافية واجتماعية ضيقة ، خاضعة للأنساق الاجتماعية التي تحكم بها مرجعيات ثقافية دينية فرضت نفسها على المجتمع .

الفصل الثالث

هوية الجسد الأنثوي

- المبحث الأول: هوية الجسد الأنثوي (المقدس والمدنس)
- المبحث الثاني : العنف الجسدي والتصدع الهوياتي
- المبحث الثالث : مقومات هوية الجسد الأنثوي

مدخل:

يهدف هذا الفصل إلى إلقاء الضوء على هوية الجسد، وخصصناه في الجسد الأنثوي لأننا أردنا أن نتعرف على ماهيته في الكتابات التي تصدر من المرأة، وعليه فإن ((طرائق التعامل مع جسد الأنوثة سوف يدلنا على موقع هذا الجسد داخل هذه الثقافة))^(١).

وبما أن هوية الجسد الأنثوي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنساق المجتمع الذي تتعايش معه، ((فالهوية وجود وحضور مستمر داخل الفضاء الاجتماعي الذي تولد فيه، وهو الذي يعيد إنتاجها باستمرار))^(٢)، والمحيط هو الوعاء الحاضن للهوية الأنثوية؛ لأنها تكتسي منه أبعاد المرجعيات الثقافية والاجتماعية، فهذه المرجعيات بمثابة القلب الذي يوطر الهوية، لذلك ((ظهر سرد المرأة متأثراً بمرجعياته الثقافية، التي تملي على المرأة قضاياها ويحثها عن قيمتها الذاتية))^(٣).

اختلفت معالم إبراز هوية الجسد الأنثوي في الرواية الخليجية، ويمكن رصدها في ثلاثة مستويات هي: الأول الجسد المقدس والمدنس، والثاني العنف الجسدي والتصدع الهوياتي، و الثالث مقومات هوية الجسد الأنثوي، في محاولة للوقوف على أبعاد كل هذه الموضوعات وإظهار أثرها في الرواية النسوية الخليجية.

(١) المرأة واللغة _ ٢ _ ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م، ٤٤.

(٢) الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، سعيدة بن بوزة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا - دمشق، ط١، ٢٠١٦م، ٣٥.

(٣) السرديات النسوية _ دراسة تطبيقية على روايات رجاء عالم، فاطمة بنت فيصل العتيبي، رسالة ماجستير في النقد الأدبي الحديث، جامعة الملك سعود بالرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ، ١٢٩.

المبحث الأول

هوية الجسد الأنثوي المقدس والمدنس

المبحث الأول

هوية الجسد الأنثوي (المقدس والمُدنس)

يعد مضمون الجسد من الثيمات الجريئة في المجتمع الخليجي، فهو من المضامين المحظورة على المرأة؛ لما يكتنفه هذا الموضوع من الجرأة والإباحة، ومع تطور الحياة والانفتاح الثقافي استطاع السرد النسوي الروائي أن يغوص في أعماق المسكوت عنه، فتناول ثيمة الجسد الأنثوي ليعبر عن صوت الذات ومعاناتها، إذ مثل استحضاره في السرد النسوي رؤية معبرة عن المرأة، لكونه يرسم معالم آفاق الهوية النسوية، فهو المدلول الأول الذي يوحي بكيونة الفرد وهويته ((فالجسد هو جزء من المنظومة المترابطة لقضية المرأة))^(١)، وهو جزء من هويتها وذاتها؛ لأن ((الأجساد هي طرائق للكلام على الذات البشرية))^(٢)، فجاءت النصوص الروائية النسوية لتكرس وتصور هذه النظرة؛ لأن ((كل الأشياء والظواهر بما فيها النصوص لا تتشكل، بل لا يمكن تصورها إلا في اشتباكها أو تورطها مع المؤسسات والأنظمة العقلية واللاعقلية المحيطة بها))^(٣)، فموضوع الجسد في السرد النسوي ما هو إلا استجابة للوعي الأنثوي الذي يرمي إلى بلورة مفاهيم ترفع من شأن جسد المرأة وتخرجه من النظرة السائدة في إطار الفكر الذكوري بعدد ((جسد المرأة مكوناً جوهرياً في الكتابة، بحيث يمتلك كل ذلك في إطار الفكر النسوي، ويستفيد من فرضياته وتصوراته ومقولاته، ويسعى إلى بلورة مفاهيم أنثوية من خلال السرد))^(٤)، فكان الاحتفاء بالجسد

(١) السرد النسوي-الثقافة الأبوية، الهوية الانثوية، والجسد ، ٢١٥ .

(٢) الذات والجسد في الفكر ما بعد الحداثي، عرض ونقد تيري إيغلتن، تر: ثائر ديب ، الآداب الأجنبية، دمشق-سوريا، ع١٠٥، شتاء، ٢٠٠١م، ١٦٤ .

(٣) الهوية والسرد -دراسات في النظرية والنقد الثقافي، ٣٨ .

(٤) السرد النسوي-الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد ، ٥ .

في هذه المدونات ليس لأنه يمثل مظهر المرأة فقط؛ وإنما يمثل عالمها مع محيطها الخارجي، فهو ((مكون أساسي من مكونات الهوية الأنثوية))^(١).

وعلى الرغم من أن الإسلام وضع للمرأة مكانة مهمة، إلا أنها حُددت ((على أنها شيء يستخدمه الرجل إما للإنجاب وإما للمتعة وإما للحفظ . ولذا صارت المرأة في الموقع الضعيف))^(٢).

فجاءت صورته في المدونات النسوية تحاكي طبيعة الواقع الذي تستمد منه هويته ((فهوية الجسد مكتسبة وليست جاهزة ...خاضعة لسلطة المتغيرات البشرية والاجتماعية والسياسية والثقافية))^(٣)، وقد ظهر الجسد في الرواية النسوية الخليجية بصورتين صورة مقدسة وأخرى مدنسة تأثراً بالواقع المتحكم فيه الذي ألقى بظلاله على سلوكيات الجسد.

أولاً: الجسد المقدس:

هو الجسد المنزه الذي يبتعد أو ينأى عن ما هو مدنس^(٤)، وقد سعى السرد النسوي على تمثيله لتفكيك الصورة المشوهة التي رسمها الفكر الذكوري حول الجسد الأنثوي؛ لذلك حاول السرد النسوي أن يتعامل مع الجسد الانثوي بوصفه مركزاً ((ينطوي على إحياءات متصلة بحرية المرأة والانتهاك الثقافي الذي تتعرض إليه في عالم مشبع بالثقافة الذكورية))^(٥).

ويظهر ذلك في رواية (مقهى نساء ضائعات)، إذ تقدم الروائية سمية تيشه نظرة أيديولوجية ترتكز على دحض فكرة أن المرأة جسد فحسب، فقامت الرواية على تمثيل هذه الرؤية من

(١) السرد النسوي-الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد ، ٢١٧ .

(٢) الكتابة ضد الكتابة ، عبد الله الغدامي، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م، ٢٢ .

(٣) الجسد في الرواية الإماراتية، رسول محمد رسول، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي- الإمارات، ط١، ٢٠١٠م، ١٥ .

^٤ (ينظر: المقدس والمدنس، مرسيا إلياد، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٨، ١٦.

(٥) الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة، ٢٠ .

خلال شخصية (عبير) التي تخلى عنها زوجها، وسافر إلى مكان مجهول بعد أن أصبح غير قادر على تحمل تكاليف الحياة ومسؤولية بيته وأبنائه، فحاول رئيس عملها أن يستغل غياب زوجها وعوزها المادي لجعلها سلعة تجارية لإشباع رغباته ونزواته إلا أنها رفضت ذلك، ولم تتساق وراء مغرباته، لتعطي صورة من العفاف والطهر ((رئيسي بالعمل، حاول مراراً أن يوقع بي ويستغل حاجتي ، ولم أكن أدرك أنه يضر لي شراً خفياً، كنتُ أعتبره أخاً كبيراً لي، أفضض له معاناتي مع الحياة ، ومصاريف الأبناء التي تزيد ولا تنقص ، وذات مرة اقترب مني وحاول أن يلمسني، صرخت مذعورة ، مرعوبة، من عبث يده، وخرجتُ من مكتبه، ناقمة، مكبوتة))^(١)، ومن خلال النص نلاحظ أنّ (عبير) على الرغم من ظروفها القاسية واجهت الآخر الذكوري الذي يختزل من قيمة المرأة، ولم تقبل أن تدنس جسدها، بل أصرت على إثبات وجودها من خلال محافظتها على شرفها بعيداً عن النظرة السلبية التي تلاحق الأنثى .

والأمر نفسه في رواية (الأرجوحة)، فقد قدمت الروائية بدرية البشر صورة تعبر عن معالم المرأة الطاهرة من خلال شخصية (مريم) التي سافرت للبحث عن زوجها الذي تركها وسافر إلى جنيف ساعياً وراء ملذاته، وفي جنيف عاشت مع صديقتها (عتاب وسلوى)، اللتين كانتا منجرفتين وراء الملذات الجسدية ، فعانت (مريم) في جنيف صراعين ، صراع البحث عن الزوج الذي خانها وتخلّى عنها، وصراع الانحراف والغواية الذي سارت به كل من صديقتها، فعلى الرغم من شدة هذين الصراعين إلا أنّها لم تسلك سلوك الانتقام من زوجها ولم تحذو صديقتها، بل ظلت محافظة على شرفها وتمسكة بأخلاقها ومبادئها السامية التي تربت عليها، ولعل ذلك يعود لتأثرها بمنظومة من المفاهيم والقيم الأخلاقية التي نشأت وترعرعت عليها ((لن تمكنها كل الأفكار التي قرأتها عن الحرية من اللحاق بهما . إنها منسجمتان مع عالمهما المحدود ، ومتعهما الجهنمية ... سألت مريم بسذاجة وصدق :

(١) رواية مقهى نساء ضائعات، ٩٠ - ٩١ .

- طيب ما تستحون ؟ ما تخافون أحد يشوفكم ؟

نظرت إليهما عناب وقالت بفم معرج بنفخ الدخان :

- نستحي ؟ يا حليلك يالقروية^(١)، فففة البطلة التي تمنحها الكاتبة اسم (مريم) دلالة على الطهر والنقاء، ظلت محتفظة بقيمتها القروية الأصيلة التي تربت عليها، فحصنتها ضد أي إغراء ((هي أحافير إرث قديم يتسرب من لاوعيتها يحاسبها كما كنت أمها تحاسبها أمها وهي بنت الحمايل، فبنات الحمايل لا يسهرن خارج المنازل وبنات الحمايل لا يكشفن وجوههن للرجال وبنات الحمايل لا يسمع لهن صوت))^(٢)، ولأن الهوية ((تتأثر بطبيعة البيئة التي بزغت منها))^(٣)، لذلك انعكست بيئة العائلة التي عاشت فيها (مريم) على هويتها ((قالت سلوى : - هل تظنين إن الزوجات اللاتي يحجبن أنفسهن عن كل عين ويحرمن الحياة على أنفسهن لا يبعن أجسادهن ؟ هن أيضاً قايضن أزواجهن على أن تكون أجسادهن لهم وحدهم شرط أن يستمروا في دفع الفاتورة .

ردت مريم : - هذا كلام كله تطرف . أنا أعني أن تكون بينك وبين رجلك علاقة حقيقية . علاقة بين رجل وامرأة يؤسسان لوجود مشترك يلتزمان به لا علاقة حب بسيطة أو عابرة ، بل علاقة يضحى الاثنان من أجلها))^(٤)، عبرت (مريم) من خلال الحوار الذي دار مع (سلوى) عن مفهومها حول قيمة الجسد وواجب إلا يكون إلا لرجل واحد وهو الزوج، أمّا عند (سلوى) فالجسد متحرر تمنحه لكل الرجال ، لذلك قررت الرجوع إلى بلدها والقبول بواقعها، لشعورها بعدم انتمائها لأجواء الفحش في جنيف في فكرة أرادت الكاتبة إيصالها أنّ الجسد المقدس يظل مقدساً متى ما

(١) رواية الأرجوحة، ١٢٠ .

(٢) م . ن ، ١٤١ .

(٣) اشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، ماجدة حمود، عالم المعرفة ، الكويت، ٢٠١٣م ، ١٦-١٧ .

(٤) رواية الأرجوحة ، ١١١ - ١١٢ .

كان محصناً بأخلاق وقيم أمام كل المغريات ((شعرت مريم بأن وجودهن في هذا المكان جعل نظرات الآخرين تحاصرهن ... ثم رأت سلوى وعناب تخالطان الشباب على مسرح الرقص الصغير ، فانقبض قلبها، وشعرت بالخوف ، وداهما قلق ورغبة شديدة في الفرار ... شعرت بأنها لا تنتمي إلى هذا المكان ، ولا تفهم ما يدور فيه ، ولا تعرف كيف تتصرف . هي لم تعرف سوى اجتماعات مع صديقاتها وأصدقاء زوجها ، وهم رفقة يعرف كل منهم الآخر ويثق به ، وبينهم اتفاقات أخلاقية ضمنية معروفة ... شعرت بالحنق على مشاري الذي ذهب وتركها تتخبط في البحث عنه وفي الهروب من آلام ضياعه ... وقررت أن تخرج من الملهى على الفور))^(١).

كما أظهرت الروائية شمه الكواري في روايتها (روضة أزهار الياسمين) صورة من صور الجسد الطاهر من خلال شخصية (لبنى) المقيمة في أمريكا التي واجهت صعوبة في الحصول على العمل على الرغم من امتلاكها المؤهلات العلمية؛ وذلك بسبب ارتدائها الحجاب، فعندما أجرى معها مدير العمل مقابلة اشترط عليها لقبولها بالوظيفة أن تتخلى عن حجابها إلا أنها رفضت ذلك ((- ولكن كما قلت لك هناك شيء لا بد من الحديث فيه ، إنه في الحقيقة يخص طريقتك في ارتداء الملابس ؟

ردت بتعجب :

- ارتداء الملابس .

- أنه أمر بسيط للغاية ، وأنا واثق من إمكانية التغلب عليه .

- وكيف ذلك ؟ - سيدة لبنى إنك ترتدين ملابس طويلة ومحتشمة ، وتضعين غطاءً على رأسك ، مما قد يضع حاجزاً بينك وبين الآخرين ، أحمر وجهها ، وبات محتماً إن ما كانت تخشاه واقع لا محالة ، وهي تسمعه يكمل قائلاً : - أنني مضطر لأشترط عليك تغيير طريقتك في اللباس ، أما

(١) رواية الأرجوحة، ١١٥ - ١١٦ .

عن ارتداء شيء محترم ... فلا بأس كما يحلو لك ، لكن لابد أن يكون مشابها لكل ما ترتديه السيدات العاملات في المركز ، والا فإنه يؤسفني أن أبلغك رفضنا لتوظيفك .

تنفست بعمق قائلة : - وأنا يؤسفني أن تتعاملوا معي بعنصرية بسبب الاعتقادات الدينية ((^(١)) ، فلما كانت هناك علاقة مساومة، بين حصولها على الوظيفة مقابل خلعها للحجاب، رفضت (البنى) الوظيفة وتمسكت بحجابها، وهذا التمسك يظهر قيمة الحجاب بالنسبة للمرأة المسلمة، على أنه رمز للاحتشام والوقار، وبإصرارها على ارتداء الحجاب جسدت واقع جسدها الطاهر على وفق رؤية وقيم إسلامية ((- لا أفهم كيف بنيت هذا الفكرة ، فأنا لم أستلم الوظيفة بعد ، ولم أشرع في العمل ، لكي يخلق الحاجز ، كما أنك تلاحظ أنني أتحدث معك بكل طلاقة واحترام ، دون هذا الحاجز الذي تذكره . صمت ، وألقى نظرة نحو سكرتيرته ، والتي تدخلت بهدوء قائلة :

- ما رأيك يا سيدة لبنى ، بارتداء لباسك الذي اعتدته خارج نطاق العمل ، أما أثناء فترة العمل ، فبإمكانك التخلي عن غطاء الرأس والملابس الطويلة ، وبعد انتهاء فترة العمل ، عودي وأرتدي ملابسك المحتشمة ، ها ... ما رأيك ... أليست فكرة رائعة؟

أجابت بثقة شديدة : - شكراً لك على اقتراحك، إلا أن طريقتي في ارتداء الحجاب غير قابلة للتغيير، لا بعد فترة الدوام ، ولا أثناءه ولا بعده ، أنه أمر مهم بالنسبة لي ، ولا مجال لتبديله .. إنه جزء مني ... جزء لا يتجزأ من حياتي وكيونوتي ، إنه شيء أعيش عليه وأموت عليه ، عذراً يبدو أنني قد أسرفت في الشرح ((^(٢))، تحاول (البنى) من خلال دفاعها عن الحجاب أن تشكل وعياً، بأن الحجاب يتعلق بذاتها وكيونونها، فكان حوارها مع رئيس العمل ما هو إلا صيحة احتجاج واضحة وقوية على كل المضايقات التي تتعرض لها المرأة المحجبة في المجتمعات الغربية ((لا

(١) رواية روضة أزهار الياسمين النورهان، شمة الكواري، الشركة الحديثة للطباعة، الدوحة - قطر، ط١، ٢٠١٤م،

١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) م. ن ، ١٥٤ .

بأس سأشرح لك الأمر ، مادمت مصرّاً ، لكن لنتفق أولاً على عدم ذكر موضوع أبني في العمل. وأخذت لبني تشرح للدكتور ألفريد ، مكانة المرأة في الإسلام ، وأهمية اللباس المحتشم في صون العفاف والشرف ، حتى وجدت السكرتيرة ، تعلق بشكل لا إرادي قائلة :

- ليتنا كنا مثلكم . تنبه الدكتور ألفريد لردة فعل سكرتيرته ، فقال : - اعتقد أن هذا القدر يكفيني، شكراً لك))^(١).

سعت الروائيات إلى إيصال فكرة إنّ المرأة إذا ما أرادت أن تحافظ على شرفها وقيمها وأخلاقها يكون لها ذلك مهما كان حجم المغريات، أو عدم وجود رقيب عليها، فالشرف لا يكون محصناً بالمنع والانغلاق ، إنما يكون ذلك بالإيمان بفكرة المقدس .

ثانياً: الجسد المُدنّس:

هو جسد جرد من القداسة وانغمس بالدناسة التي تنحصر في ((اللاسوي، في الشائن الفاضح، في كلما لا يتطابق مع المألوف الرؤية))^(٢).

وقد أبرزت الروائية علياء الكاظمي في روايتها (جوهرة) ملامح الجسد المدنس عبر علامات تعبر عن واقع الجسد الأنثوي وعلاقته مع الآخر من خلال شخصية (ياسمين)، فهي تهتم بجسدها من أجل إثارة وإغراء الآخر الذكوري ((كانت تقضي وقتاً طويلاً لتتزين قبل أن تذهب للمكتب ، ارتدت في كل يوم ثياباً مختلفة عن اليوم الذي قبله، أرادت أن تبهره بحسنها وأناقته ، تعرف أنه يحب الأناقة والكمال في الشكل))^(٣)، وجاء حضور الجسد في هذه الرواية حضوراً سلبياً

(١)رواية روضة أزهار الياسمين، ١٥٥-١٥٦ .

(٢) بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده ، يوسف شلّحد،تعريب: خليل أحمد خليل،دار الطلعة للطباعة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٣٠.

(٣) رواية جوهرة ، ٢٢٩ .

بعد المرأة مرغوبة لجسدها وحسب، ويظهر ذلك عندما سخرت (ياسمين) مفاتن جسدها بقصد إغراء المحامي (وليد) وجذب انتباهه والإحاطة به من خلال إثارة غرائزه؛ ليترك زوجته (فضة)، وإن التوظيف الإغرائى الذي قامت به الشخصية جعلت (وليد) يقارن بين نموذجين من النساء (ياسمين) المرأة الجميلة والمثيرة، و (فضة) المرأة العادية، ومن خلال هذا السلوك عبرت (ياسمين) عن النسق الثقافي الذكوري الذي يمحى قيمة الذات الأنثوية ويحصرها في الجسد، فبفعل الإكراهات التي مارسها الثقافة الذكورية، أصبحت علاقة المرأة بجسدها ((علاقة مشوهة ومنتومة وملتبسة ((^(١)، بما جعل جسد (ياسمين) يحمل صورة مدنسة مكتسبة من الرؤية المشوهة لحقيقة هوية الجسد الأنثوي)) قامت من مقعدها ونظرت إلى نفسها بالمرأة، لمحت بشرتها البيضاء الناعمة كبشرة طفل، وعينيها الخضراوان بلون الفيروز، ابتسمت لانعكاس صورتها في المرأة، ضحكت وهي تقلد القصة الشهيرة : يا مرآتي يا مرآتي من هي أجمل امرأة في الوجود ؟ ضحكت أكثر وهي ترد على نفسها بنبرة أخرى : أنتِ ولا أحد غيركِ ! كانت مغرورة بنفسها، واثقة جداً بما لديها من حسن، إنها امرأة تعرف قيمة نفسها، وتعرف أن جمالها أهم ما تملك في معركتها مع فضة، ففضة امرأة عادية، بل أقل من عادية في نظرها، ولو كان زوجها مقتنعاً بها ما كان لينظر إلى غيرها أساساً، هكذا كانت تؤكد لنفسها، تعرف أنها بهذا الجمال يمكنها أن تكسب وليد وأن تسيطر على مشاعره، عليها فقط أن تحسن توظيفه جيداً وأن تتعامل بذكاء في كل ما يخص هذه العلاقة التي لن تسمح لها بالانتهاء إلا لصالحها ((^(٢) .

أظهر المشهد الحوارى بين (ياسمين) ومرآتها التي تمثل ذاتها تباهاها بجمال جسدها ورهانها عليه لجذب (وليد)، فهي بذلك ساهمت في غياب التقدير لجسد المرأة؛ لأنها قبلت بالصورة التي رسمها الفكر الذكوري لها، بكونها جسداً للمتعة وحسب، مما جعله جسداً مدنساً؛ فالشخصية اعتمدت أسلوب الإغراء من خلال إظهار مفاتنها . وهي بهذا تؤكد الرأي الذي يعد أن المرأة مرغوبة

(١) الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة ، ١٦ .

(٢) رواية جوهرة ، ٢٢٩ .

لجسدها))انجرف وليد وراء ياسمين ، انجرف أمام جمالها الفاتن وأناقته الملفتة ، إنها من صنف مختلف عن صنف زوجته ، كانت أكثر انفتاحاً وأكثر تتبعاً للموضة ، كانت أنثى بحق ،... كان يلاحظ جسد فضة المنتفخ بسبب الحمل بانزعاج ، فهو يكره السمنة ، لم يكن يقدر ما تمر به من تغييرات من أجل ان تنجب طفلاً له ، ... لكنه صار متباعداً عنها ، كان يقارن بينها وبين ياسمين دائماً ، يتذكر رشاقة الأخيرة وخصرها النحيل فيتحسر على فضة التي أصبحت أقرب إلى كرة منها إلى امرأة!))^(١)، يعتمد النص الروائي على كشف هوية الجسد الأنثوي عبر قيم الجمال التي تنشدها النظرة الذكورية، إذ لجأت (ياسمين) إلى إظهار مفاتن جسدها كسلاح مغرٍ للرجل (وليد) الذي وجد في رشاقتة جسداً مثيراً حاملاً لمقومات الجمال، وبعد أن فقدت زوجته (فضة) قوام جسدها الممشوق بسبب الحمل تخلى عنها، وراح يبحث عن جسد يهيج فيه الإثارة، فوجد ذلك في (ياسمين)، فحب (وليد) للمرأة تركّز حول جمال جسدها لا غير، فأغراءت (ياسمين) ورشاقة جسدها مثلت نسقاً وجدانياً له امتداداته في رغباته، فنعكس ذلك سلباً مع علاقته بزوجته التي بدأ ينفر منها ((جلس وليد أمام ياسمين في أحد المطاعم ، ... كانت ترتدي ثوباً بلون الورد وقد صبغت شفتيها بلون مماثل يليق جداً بها ويظهر جمال بشرتها وعينيها ..كانت ياسمين ترتدي ثوباً بلا أكمام وقد بالغت في تزيين وجهها وعينيها أرادت أن تبدو جميلة أمامه، فجمالها هو كل ما تملك في معركتها الوهمية مع فضة))^(٢)، وهنا تظهر صورة الجسد الأنثوي بكل إبعاده الدالة على هوية الجسد المدنس على وفق نسق يكشف ارتداء(ياسمين) الملابس الضيقة المكشوفة واستخدامها مساحيق التجميل، لا لأجل احتفائها بجسدها وإنما جعل ذلك طعماً تصطاد به، فكان تدنيس الجسد مشترك بين (ياسمين) التي استخدمت جسدها للإغراء و(وليد) الذي استغل ذلك.

وقد عبرت الروائية بدرية البشر في روايتها (غراميات شارع الأعشى) عن ماهية الجسد الأنثوي على وفق رؤية محددة تستند على التصورات السائدة حول الجسد وكيفية التعامل معه، فجاء

(١) رواية جوهرة ٢٣٠ .

(٢) م. ن ، ٣٣٧ - ٢٧٩ .

الجسد في شخصية (فلوة) يبلور الأفكار والمعطيات والمسلّمات الأيديولوجية التي ترى أن جسد المرأة هو جسد خلق للمتعة فقط، وهذه النظرة لم تتلاش من المرأة بل بقيت دفينّة في ذهنها، ولعل هذا يبدو واضحاً في سلوك (فلوة) التي تحدت علاقتها مع جسدها ضمن الصورة الجسدية التي تؤكد على فكرة ارتباط الجسد بالفتنة والغواية، فظهرت مفاتن جسدها أمام عشيقها بائع الملابس (عيسى) على الرغم من أنها امرأة متزوجة إلا أنّها سعت إلى لفت انتباه (عيسى) واغوائه ((خرجت مع فلوة ومعنا الأمّهات إلى السوق ثم افترقنا عنهنّ، وكان أول سرّ أقرّ تقاسمه مع فلوة هو عيسى . قلت لها ونحن نقترّب من دكانه : تعالي أوريك عيسى .

توقّفت قليلاً ثم خفّفت من غطاء وجهها فصار يشفّ عن بياض عينيها وحمرة شفّتيها الساطعة من تحت الغطاء ، ثم أرخت عباءتها قليلاً لتكشف عن فتحة صدرها الواسعة ، ... في ثوب الدانتيل الأحمر اللامع . كانت تترك مساحة قليلة من ثيابها الملونة تتقدّم قليلاً على عباءتها السوداء... وصلنا دكان عيسى الذي كان مزدحماً بالنساء يقلّبن الثياب . أتباطأ ، فتدفعني فلوة بحماس ... تركتني فلوة وذهبت تتفرّج على الملابس المشدودة في علاقات ، ثم اختارت مشدّاً صدرياً ورداءً سفلياً من اللون نفسه والقماش نفسه وطرحته بين عيسى الذي رفع نظره سريعاً ... لم يرفع عينيه عن الأرض إلا رغماً عنه كلّما فتحت فلوة صدر عباءتها وانكشف دانتيلها))^(١)، مثل السلوك الإغرائي لدى (فلوة) محوراً مهماً منطلقاً من معطيات النظرة الذكورية لمفاتن الجسد الأنثوي، ويظهر ذلك من خلال تركيز (فلوة) في إغراء (عيسى) على أماكن جسدية مهمة من مفاتنها التي تنثير الاشتهااء عند الرجال مثل كشف صدرها، وإبراز شفّتيها باستخدام أحمر الشفاه المثير ، وارتداء الملابس المثيرة ذات الألوان الصاخبة ثوب الدانتيل الأحمر اللامع، وكان ذلك بقصدية تامة؛ لأنها أرادت إيقاعه في حبالها، وتعوّض حالة الكبت واليأس والارتباك في علاقتها الزوجية بـ(أبي فهد)، فحركات الإغراء التي تسلكها الشخصية كانت ردة فعل لتعبر بها عن رغباتها المكبوتة؛ فبسبب الزواج الجبري من رجل كبير السن مفروض عليها من قبل والديها، ونفورها

(١) رواية غراميات شارع الأعشى ، ١٦٣ - ١٦٤ .

من هذا الزوج انغمست (فلوة) في علاقة محرمة مع (عيسى) المقارب لعمرها لتشبع رغباتها المكبوتة التي فقدتها مع زوجها المسن ((فالأغراء الجسدي معادلاً موضوعياً لهشاشة وجودية لم تأخذ نصيبها من الاهتمام والرعاية الاجتماعية))^(١).

كما قدمت الروائية مريم عبدالله القلاف في روايتها (فتاة من المقهى) صورة من صور الجسد المدنس المتمثل في شخصية (غالية)، فعلى الرغم من إنها امرأة متزوجة إلا أنها تدينس قدسية الزواج بعلاقات غير شرعية مع عشيقها (محمد)، فتجاوزها على ما هو مقدس في الشرائع الدينية والأعراف الاجتماعية، يمثل دناءة جسدها وردالته، تقول (أمل): ((لقيتها كاشخة بنفوف يديد لونه أحمر وضيح على جسمها لحد الركبة أول ما شفتها وقفت بس أطلعها لفت ويها صوبي وقالتي : غالية (بابتسامه) : شفيح تطالعيني جدي ؟! حلو ؟!

أمل بكل براءة : وايد حلو بتروحين عرس خالتي ؟! ردت علي وإهي تضحك : لا حبيبتي أقولجش بيلا روعي أنتي بعد بدلي عشان بوديخ مكان معاي وأنا نازله شفت مرت أبوي تلتفت علي سيارة صفطت يمنا ، استغربت إنها إبتسمت لواحد ولما لاحظت إني شفتها قالتلي :

- ياالله ما تبين تنزلين ؟ نظريني هناك لحد لما ايج .

- نزلت من السيارة وأنا أفكر منو هالريال إلى إبتسمت له غالية !!

رحت صوب الألعاب وبكل خطوه التفت وراي وزادت حيرتي أكثر يوم شفتها أركبت السيارة معاه^(٢)، يكشف النص الوصفي المسرود على لسان (أمل) ابنة زوج (غالية) صورة المرأة الجذابة والأنيقة لكنها في الواقع هي صورة الجسد الشبقي المدفوع برغباته المدنسة، فشخصية (غالية) تتكئ على إبراز مفاتها بارتداء ملابس ضيقة وقصيرة وذات ألوان مثيرة، ويعود ذلك إلى إيمانها بأن جسد

^١ (السرد النسوي - الثقافة الابوية، الهوية الانثوية، والجسد ، ٢٥٨ .

^٢ رواية فتاة من المقهى ، ٦٨ - ٧٠ . معاني الكلمات: يديد: جديد، وبه صوبي: وجهه اتجاهي، جدي: هكذا، اهي: هي، أوديك: أبعتك ،نطريني: انتظريني، أبيع: أتيك.

المرأة خُلِق لإثارة الرجل، ولعل اختياره الفستان أحمر وضيق وقصير يظهر ساقها هو اختيار ليس اعتباطياً ولا يخلو من القصدية؛ لأن ((الأحمر في الثياب يثير المتعة والدلع))^(١)، فاللون الأحمر يمثل لوناً مغرياً يزيد الإثارة، فهو ((لون جنسي هجومي فقد يقف هذا اللون جنسياً في الموقع الأول... ويشير كل دلالات النشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة))^(٢).

كما عرضت الروائية علياء الكاظمي في روايتها (سرقوا أيام عمري) سلوكيات الجسد الإغرائي من خلال التحولات الشكلية في شخصية (بيبي)، فبعد إن مرت بتجربتي زواج فاشلتين، نراها تتخلى عن قيمها ومبادئها في التستر، فقامت بخلع ثياب الاحتشام وأبدلتها بثياب الإغراء والفتنة؛ خوفاً من فشل علاقتها بـ(قيس) بعد الزيجتين القاسيتين التي مرت بهما، متخذة من الجسد ركيزة أساسية للاحتفاظ به، لذلك سعت للظهور بمظهر مغرٍ وجذاب أمامه، ومرد ذلك يعود إلى النظرة السلبية السائدة لقيمة المرأة التي ناعت بنقلها على شخصية (بيبي)، فالمرأة باتت ((ترى نفسها على أنها جسد مثير، وسارت تسعى إلى إبراز هذا الشيء))^(٣)، فإن (بيبي) سعت لتأصيل علاقتها بـ(قيس) إلى الاستعراض بجسدها بارتدائها الألوان الصاخبة المثيرة، فالتحول في شكلها أثار الاستغراب لدى ابنتها (سارة) بقولها: ((شبهت وأنا أرى أُمي وقد قصت شعرها الجميل الذي أحبه !! قصته بطريقة غريبة !! كان شعرها أشبه بالرجال وغيّرت لونه البني الداكن إلى لون أشقر لم أحبه أبداً !!! لاحظت أيضاً أن أُمي غيّرت طريقة لبسها كانت أُمي شديدة الاحتشام في ملابسها إلا أنها بدأت ترتدي ثياباً ضيقة وذات ألوان صارخة، ثياب مختلفة تماماً عن ما اعتادت

١ (دلالات الألوان في شعر نزار قباني ، أحمد عبد الله محمد حمدان ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين ، ٢٠٠٨م ، ٤٣ .

٢ (دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي ، مرضية أياد ، إضاءات نقدية ، السنة الثانية ، ع ٨ ، ٢٠١٢م ، ٢٥ .

٣ (المرأة واللغة ، ٣٤ .

عليه!!!^(١).

كما بينت الروائية زينب الحنفي في روايتها (وسادة لحبك) صورة الجسد المندس الذي يمارس الخطيئة لإشباع شهواته، ويظهر ذلك في شخصية (أمل)، إذ تقدم هذه الشخصية في الرواية بوصفها جسداً مدنساً رغبواً، تلهث وراء رغباتها الجنسية في إطار الخيانة الزوجية، بعد أن أصبح زوجها عاجزاً ومقعداً لا يستطيع الحركة بسبب إصابته بالشلل النصفي أثر تعرضه لحادث سير، راحت (أمل) تبحث عن اللذة و إشباع أنوثتها مع غيره ((تعرّض زوج أمل لحادث سيارة تسبّب له بشلل نصفي ... بعد مرور عام على حادثة زوجها ، تغيّرت أمل ... كل شيء فيها صار يزقق بحب الحياة . صارحتني في لحظة صفاء بأنها غارقة في بحر العشق، وأن رجلاً دخل حياتها، متزوج ولديه أسرة أدرك لحظة رآها نقاط ضعفها . أكتشف بيسر حاجتها الملحة إلى رفقة تُبدد الصقيع الذي يُحاصرها ... صرختُ فيها أنتِ خائنة لا تستحقين أن تكوني أمّاً . الأفضل لك أن تطلبي الطلاق وتعيشي حياتك بالطريقة التي تريدينها . ليس من حقك طعن الرجل الذي تحملين اسمه))^(٢)، يمثل جسد (أمل) صورة الجسد الشبقي الذي يطغي عليه الجانب الشهواني، فهي غير مكترثة لشيء طاعنة لشرفها ومنتهكة حرمة زوجها الذي تحمل اسمه، فشخصية (أمل) عبرت عن صورة الجسد الباحث عن المتعة، المنساق وراء رغباته وغرائزه الجنسية، فعلى الرغم من أنها امرأة متروجة إلا أنها تقيم علاقة مع عشيقها منتهكة حرمة زوجها المقعد وبناتها الثلاثة، وتبرر الشخصية سلوكها الإغرائي بقولها: ((هذا لأنك لم تمرّ بتجربتي ، هل جرّبت يا فاطمة أن تعيش حياتك تحت سقف واحد مع رجل ولّت رجولته إلى غير رجعة ... فلا أريد الموت يابسة العود وأنا في رونق شبابي . أنا امرأة تحب الحياة . أريد أن أتمتع بجسدي قبل أن يجفّ ويضمّر من الإهمال والقحط))^(٣)، يكشف النص الحوارية الذي دار بينها وبين

(١) رواية سرقوا أيام عمري ، ٩٦ .

(٢) رواية وسادة لحبك ، زينب حنفي ، دار الساقى، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١١م ، ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) م . ن ، ١٠٣ .

صديقتها (فاطمة)، مبدأ (أمل) حول ضرورة إحياء جسدها بالعلاقات المستمرة وهي لا تفكر إلا بإشباع شهواتها سالكة طريق الانحراف والغواية ومتحررة من كل القيم الشرعية والعرفية والأخلاقية والاجتماعية، ويظهر ذلك بالسؤال الإنكاري الذي حاولت (فاطمة) به أن تردع (أمل) ((هل من الممكن أن تُحب المرأة رجلين في وقت واحد ؟

- نعم ، من الممكن إذا أكمل أحدهما الآخر . رجل يُصبح واجهة اجتماعية ، ويهب المرأة الأمان والدفء اللذين تحتاج إليهما ، ورجل ينفخ سراً في روحها ، مُجدداً بماء فحولته خلايا جسدها الذائبة))^(١)، يكشف النص عن الأبعاد النفسية التي تعترى (أمل)، فهي بين قيديين الأول القيد المجتمعي، فهي لا تستطيع الانفلات من زوجها من دون مبررات، والثاني القيد الجسدي الذي بدأ يشعل جذوة الأنوثة وشبقها في التعويض؛ لذلك بدأت (أمل) تكسر الأعراف الدينية والاجتماعية وإقامة العلاقات المحرمة التي تطفئ نار الجسد البض. فخيانتها تجسد ازدواجية الذات وتشظيها بين صورة المرأة المفعمة بالشباب والجمال التي تلهث وراء متعتها و رغباتها، وبين صورة المرأة التي لا تريد أن تتخلى عن زوجها بعد أن أصيب بالعجز والشلل.

كما عرضت الروائية بدرية البدري في روايتها (العبور الأخير) في شخصية (هبة) صورة من صور الجسد الشهواني الواقع تحت تأثير القمع الأسري الذي يمنع المرأة من حقها في الزواج، فمثلت شخصية (هبة) هويتين، هوية مستلبة لا يحق لها الزواج بحجة لا يوجد شخص مناسب لمستوى العائلة، وهوية منحرفة تبحث عن اللذة والنشوة، ولعل حرمانها من الزواج هو من سَوَّغ لديها الانحراف والانغماس في الخطيئة لإشباع رغباتها، إذ انخرطت بعلاقة غير شرعية مع خادما في المنزل ((هي الكريمة ربة الشرف والعفاف والبيوت المستورة التي لا يطالها أحد ، لم يتوقع أهلها الذين رفضوا تزويجها بحجة ان لا أحد يليق بمستواهم الأسري أن الضربة ستأتيهم من عفر دارهم، ومن ذاك الذي وثقوا به وكأنه ليس رجلاً ، عاملوه معاملة العبد الذي لا يتجرأ

(١) رواية وسادة لحبك، ١٠٤.

على رفع بصره إلى سيدته ، فكان أن امتلك قلبها فسلمته جسدها ، لم ينتبه أهلها لتلك المشاعر التي أضفت لمعةً لعينيها كلما نادوه لجلب القهوة أو خدمة ضيف قادم ، حتى والدتها لم تنتبه لليلي التي كانت تتسحب فيها من فراشها لتقضيها معه^(١)، ويبدو جلياً في النص السردي أنّ (هبة) قامت بتسليم جسدها لخادمها، ولم تهتم بشرف عائلتها، من خلال علاقة سرية بعيدة عن نظرات الأهل لإشباع رغباتها، مختبئة خلف ستار منعها من أن تبوح بحقها في الزواج، فكبت الأهل أوقعها في المحرمات، وتكمن دناسة جسد (هبة) ليس فقط في علاقتها المحرمة مع خادمها، وإنّما برفضها الزواج منه حتى بعد علمها بأنّها حامل منه، فكانت علاقتها مع خادمها علاقة عبثية لتحقيق متعتها الجسدية فحسب ((كانت كأهلها لا تثق بأن عبداً يمكن أن يغرس طفلاً بأحشاء سيدته))^(٢).

وعرضت الروائية بدرية البشر في روايتها (الأرجوحة) ملامح الجسد الأنثوي الإغرائي من خلال شخصية (عنب)، فمنذ صغرها تحمل بداخلها عقدة بشرتها السوداء وعقدة النقص بكونها ابنة الخادمة، إذ تعمل والدتها خادمة عند السيدة (شريفة) ((كبرت عنب بين صغار العمّة شريفة، تلعب مع بناتها ، جلدها الأسود الذي عذبها كثيراً حاولت مراراً أن تقشره بأنواع مختلفة من الصابون . وقد عالجت فشلها بأن غرقت في أحلام يقظة ، تظهر فيها طفلة بيضاء))^(٣)، لم تقتصر معاناتها على هذا الحد، فقد تعرضت لحادثة اغتصاب وهي طفلة في التاسعة من عمرها على يد سيدها في المنزل((مشّت وهي تبكي متألّمة ، وفي قاع روحها شعور بأنها أصيبت بلعنة كبرى . لم تقو على لعن الأيدي البيضاء، ولا أن تغضب منها وتحاكمها وتجرمها، بل لعنت جلدها الأسود))^(٤)، فتركت هذه الحادثة صداها على نفسية (عنب)، مما أدى إلى تشظيها وتحولها

(١) رواية العبور الأخير، بدرية البدري، الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٧م، ١٠٩ .

(٢) م. ن ، ١٠٩ .

(٣) الأرجوحة، ١٢١ .

(٤) م. ن ، ١٢٣ - ١٢٤ .

من طفلة بريئة إلى فتاة منحرفة تحاول أن تفتن الرجال بارتدائها الملابس الضيقة المكشوفة التي تبرز تضاريس جسدها ((أقبلت عئاب بقامتها السمراء وجسدها الأبنوسي المشدود ، وشعرها ذي القصة القصيرة . كانت ألوان ثيابها تشع فرحاً . بنطلون جينز يلتصق بفخذيه ويستدير بضخامة عند المؤخرة، وقميص حريري وردي اللون ، وعقد أخضر طويل يتأرجح على مشيتها، وصدر مكتنز، تظهر استدارته من خلال زر تمرّد على مشنقته، فأطل من فتحة، مدوراً وشهياً^(١)، وتتجلى صورة الإغراء لديها عبر انتكائها على أفعال الرقص والغناء التي تعتمد عليها لجذب الرجال)) إن قيمتها أصبحت تتصاعد في رغبات الرجال الذين تمنحهم المتعة ويتركون من أجلها النساء الجميلات ، والأهل ، والأعمال ويهرعون إليها حالما تطلبهم ... غنت عئاب مع الفرقة ورقصت كما هي مهنتها ... عادت عئاب وجلست في آخر الصف ، وراحت تراقب شاباً يرقص مع فتاته . سمعت صوت شاب يحدثها فالتفتت نحوه وإذا به يقترب منها^(٢)، وعليه فإن (عئاب) بسبب تقديرها الواطئ لجسدها جعلت منه سلعة تسويقية من خلال نزوعها إلى الرذيلة للحصول على المال)) قالت عئاب : - عندما يربيك المجتمع طوال عمرك على أنك مجرد جسد يتمتع به الرجال، فلماذا لا يكون هذا الجسد هو أول سلعة تفكرين في بيعها ؟ على الأقل تكون هذه إرادتك أنت ، جسّدك وأنت حرة فيه . هل في الأمر خطيئة ؟ ... أنا شخصياً أحب ان تكون علاقتي مع جسدي^(٣)، عبرت (عئاب) بهذا الرأي القاتم عن اختزال وجود المرأة في بؤرة جسدها، فكانت الأفعال الشبقية التي تمارسها ما هي إلاّ تعبير عن كوامن معاناة جسدها، نلحظ إنّ هوية الجسد المدنس لدى(عئاب) تشكلت من صيرورة مشاعر قمعية ناتجة من لصيقة معاناة بمشاعر النقص التي تولدت لديها بسبب فقرها وسواد بشرتها ثم من اغتصابها من صاحب المنزل . فكل هذه المعاناة قادت إلى الانحراف والرذيلة.

(١)رواية الأرجوحة ، ٥٠ - ٥١ .

(٢) م . ن ، ١٣٠ - ١٣٣ .

(٣) م . ن ، ١١١ - ١١٢ .

نلاحظ مما تقدم أن الروايات النسوية الخليجية استتطقت الجسد وعبرت عن صورته التي ظلت مدانة من قبل النظرة الذكورية التي ترى أن المرأة جسد فقط، كما بينت دور المرأة ومساهمتها في انحاء وجودها الذاتي، فلما كانت نظرة الرجل للمرأة تركز على الجسد وتهمل الجانب الروحي؛ لذلك ((جرى تضخيم الجانب الحسي في المرأة إلى إن تحولت إلى مجرد جسد شبقى ليس له وظيفة سوى إثارة الرجل وإغرائه))^(١).

وهكذا نجد إن هوية الجسد الأنثوي في الروايات النسوية عبرت عن مدلولات فكرية تبنتها المجتمعات في رسم صورة المرأة ((فالرواية خطاب يحمل مدلولات فكرية وفنية ، وهي هوية روائي وهوية رواية وهوية مجتمع وكيان))^(٢)، فجاء تثيمة الجسد مرتبطة بواقع الجسد الأنثوي بكل ما يحمله من صراعات لها علاقة بالفكر المهيمن حوله الذي يقوم على ((اختزال الأنوثة إلى مجرد جسد))^(٣)، ولعل ذلك يعود إلى بنية هذه المجتمعات التي تترسخ فيها النظرة الدونية المنقصة للجسد الأنثوي، وهذه النظرة تركز على رؤية ذكورية تلغي حضور المرأة، وتختزل قيمتها على إنها مرغوبة على مستوى الجسد فقط، مهملة القيم المعنوية الأخرى، لذلك عبر السرد النسوي عن المكبوت الأنثوي من خلال تناوله جسد المرأة ليخلخل النظرة المنقصة منها، ويستعيد قيمتها الذاتية في المجتمع، فالكتابة النسوية هي ((تفجير المكبوت والمخفي والمرأة من خلال مختلف أشكال كتابتها الجسدية والرمزية تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن))^(٤).

١ (المرأة واللغة ، ٢٩ .

٢) النسق المضمّر في الرواية القطرية ، مرسل خلف الدواس ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة قطر كلية الآداب والعلوم ، ٢٠١٩ ، ١٩٢ .

٣) الرواية النسائية العربية - تجليات الجسد والأنوثة ، ١٨ .

٤) الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل ، بابيزيد فطيمة الزهرة ، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث ، الجزائر، ٢٠١٢م ، ٩٥ .

المبحث الثاني

العنف الجسدي والتصدع الهوياتي

المبحث الثاني

العنف الجسدي والتصدع الهوياتي

يعد العنف فاعلاً مهماً في تأزم الهوية، فالممارسات الوحشية التي تمارس ضد الجسد تترك أبعادها وظلالها على تصدع الهوية، فالعنف ((مضاد للرفق، ومرادف للشدة والقسوة))^(١)، وللعنف أشكال مختلفة، فهو يكون أمّا بالاضطهاد أو الاستبعاد أو الاستبداد والضرب والقتل، فالعنف الجسدي ((هو استخدام القوة الجسدية نحو المرأة، وهو أكثر أشكال العنف وضوحاً، يكون العنف الجسدي على شكل الضرب أو الركل أو الصفع، الدفع، اللكم، الشد من الشعر، أو الطرح أرضاً أو الخنق أو القتل))^(٢).

وقد اهتم السرد النسوي بثيمة العنف الجسدي، فجاء هذا المضمون يحمل أبعاداً روحية تهدف إلى العناية بالجسد، فهو جزء مهم في تكوين هوية الفرد وتأكيد وجوده الإنساني والذاتي، فهو يمثل أيقونة ترسم ملامح الفرد وهيئته، فكل إنسان جسد يمثله ويعبر عن كينونة هويته، ((فالجسد كينونة رمزية وإيحائية وإشارية وعلاماتية وأيقونة تضاف إلى الأجسام من خلال تمثيل الإنسان لها))^(٣)، فهوية الأفراد مرتبطة بشعور التقدير الذاتي والاجتماعي لوجودهم الجسدي؛ لأن ((الشعور بالأنا أو الهوية مركب من عناصر أساسية منها الشعور الجسدي والشعور بالتقدير الاجتماعي وتقدير الذات))^(٤).

(١) المعجم الفلسفي الألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م، ٢ / ١١٢.

(٢) العنف ضد المرأة أسبابه وأثاره وكيفية علاجه، سهيلة محمود بنات، دار المعتز للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٠م، ٢٣.

(٣) الجسد في الرواية الإماراتية، ٢٧.

(٤) الهوية، اليكس ميكشيللي، ٧٢.

فالرواية النسوية عندما تناولت مضمون الجسد حاولت أن تستعيد المنظومة الملكية في جسد الأنثى، وتعيد مكانته، وتصحح المنظور الذكوري المغلوط الذي يرى أن المرأة ملكاً تابعاً له معتمداً في ذلك على رؤية ثقافية تؤمن بتبعية المرأة وخضوعها للرجل، فالمرأة في المجتمعات العربية بشكل عام ((هي المرأة الصامته والخاضعة للسيطرة والمهانة والمستعبدة والمطبعة))^(١)، وبذلك عالجت الرواية النسوية في مكوناتها السردية حضور الجسد عن طريق أنساق ومقومات تعبر عن الواقع المتأزم والمتعسف الذي يمحو المعايير الجمالية والنفعية للجسد ويحولها إلى معايير أكثر فضاضة وتصدعاً من خلال تعامل صاحب الهوية المركزية المتمثلة بالرجل مع الجسد الأنثوي، كما كشف السرد عن حركية العنف المتمركز حول الجسد الأنثوي من قبل الآخر الذكر، وبما أن السلطة الذكورية اتصفت بالمركزية، وهي ((نوع من التمرکز حول الذات بوصفها المرجعية الأساسية لتحديد أهمية كل شيء وإحالة الآخر إلى مكون هامشي، وهو الذي لا ينطوي على قيمة بذاته إلا إذا اندرج في سياق المنظور، الذي يتصل بتصورات الذات المتمركزة حول نفسها))^(٢)؛ لذلك نجد هذه السلطة تفرض هيمنتها على المرأة وتمارس العنف الجسدي اتجاهها؛ لأن تمرکز الذات لا يكتمل إلا بوجود آخر هامشي، فكان هذا الآخر هو جسد الأنثى.

وقد سعت الروايات النسوية إلى تقديم صورة بارزة من صور العنف الجسدي الذي يُمارس ضد المرأة، فجسد الأنثى تحكمت فيه مجموعة من المنظومات الاجتماعية التي تجنح إلى تمييز الذكر وإعطائه منزلة أعلى من المرأة ومنحه الانفراد في السيطرة، فالتعنيف الذي يمارسه الرجل واقع تحت تأثير الثنائية الضدية القوة والضعف / الرجل والمرأة ((القوة رجولة والضعف أنوثة))^(٣)، وبما أن هوية الجسد الذكوري تقابلها هوية الجسد الأنثوي، فهوية الجسد الذكوري تحتوي حزمة من الصفات البايولوجية والاجتماعية التي تجعلها تقصي الآخر الأنثوي، ولما كانت الهوية المركزية تقوم على

(١) السلوك الجنسي في مجتمع رأسمالي تبغي، فاطمة المرنيسي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٢م، ٣٢.

(٢) المطابقة والاختلاف، بحث في المركزية الثقافية، عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ٢٢.

(٣) شرق وغرب رجولة وأنوثة، جورج الطرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط٤، ١٩٩٧م، ٦.

تغيب دور الآخر من خلال إقصائه ((كلما كانت الهوية معتمدة على ثنائية نحن /هم، فهي هوية سلبية لا تعرف الذات إلا عبر إقصاء الآخر))^(١)، ويتم ذلك من خلال العنف الجسدي الذي تمارسه الهوية المركزية. فالذكورية في المنظور السردى النسوي لها انساقٌ نمطية قائمة على اضطهاد المرأة واستغلالها وفرض السيطرة عليها بالعنف الجسدي، بوصفه وسيلة من وسائل السلطة الذكورية^(٢).

وقد قدمت الروايات النسوية الخليجية صوراً متعددة للعنف الجسدي الذي تواجهه المرأة، وقد شكل ملمحاً بارزاً في الحط من شأن الجسد المعنف والتقليل من قيمته في المجتمع، فكان هذا العنف يصادر أهم ممتلكات المرأة المتمثلة بالجسد الذي يعدُّ جزءاً هوياتياً مهماً لها، كما ترك نتائجه السلبية في البنية النفسية والجسدية لها .

١- العنف والتصدع الهوياتي:

يترك العنف الجسدي آثاراً سلبية على هوية الفرد المعنف، إذ يمتد تأثيره على جوانب متعددة من مشاعر الإنسان، فينعكس ذلك على علاقته مع ذاته مما يولد تصدعاً في هويته، الذي يؤدي إلى ((انسراخ يصيب الهوية نتيجة أفعال يمارسها المركز ضد الهامش))^(٣).

ويتجسد التعبير عن العنف الجسدي في رواية (الأرجوحة) للروائية بدرية البشر التي بينت التصدع الهوياتي الذي يتركه العنف على هوية المرأة من خلال شخصية (سلوى) التي مثلت معاناة الجسد المنتهك بالضرب وصراعه مع السلطة الذكورية المهيمنة، فشخصية (سلوى) صُدِمَتْ بعد أن تم عقد قرانها على (عبد الرحمن) شقيق (يوسف) حبيبها، فعاشت الشخصية في دوامة الرضوخ

(١) القبلية والقبيلة هويات ما بعد الحداثة، ١٠ .

(٢) ينظر: قراءات في المنظور السردى النسوي، حسين المناصرة ، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط١ ٢٠١٣م، ٩.

(٣) المركز والهامش في الرواية النسوية العراقية ٢٠٠٣-٢٠١٠م، ١٢٢.

والتصدع الهوياتي بعد أن تركها حبيبها (يوسف)، وتخلّى عنها وسافر إلى أمريكا لإكمال دراسته، فبداية هذا التصدع كان بإلغاء وجودها الإنساني من قبل السلطة الأبوية التي فرضت عليها هذا الزواج ((في يوم عقد قرّاني بدأت التباريك تردّد اسم عبد الرحمن ...، لم تفهم سلوى شيئاً محدداً حتى شهقت والدتها التي بدأت تفهم من المقصود ؟ سألت والدها : - من العريس يا علي ؟ هل هو يوسف أم عبدالرحمن ؟ نظر إليها بغضب وعيناه محمرتان على تلك الجرأة ، وقال :

- المعرّس هو عبدالرحمن ياخيلة ، ويوسف في أمريكا وش يجيبه ؟ ... شعرت سلوى بأن سكيناً غرست في جانبها الأيسر وشقت شرايينها باتجاه الجانب الأيمن . حين ظنت أن جسدها قد شقّ قسمين، القسم الأعلى وقع أرضاً فيما بقيت قدماها واقفتين))^(١)، يقدم النصّ بتقنية الحوار كاشفاً عن الأبعاد الاجتماعية، وقوانينها وإكراهاتها، والأبعاد النفسية التي أفصحت عن معاناة وألم (سلوى)، فأحاسيس الألم عند الشخصية هو صدى لمعاناة الجسد الداخلي وانعكاسه على مظهر الجسد الخارجي، فالمشاعر المكنونة داخل النفس ظهرت مباشرة على ملامح الجسد الخارجي، فكان جسد (سلوى) هو مرآة عاكسة لمعاناة الذات المتألّمة من الصدمة؛ لأن الجسد ينفّث ((على اشراقات الذات، فينعكس فيها ليغدو الجسد بتشكيلته الظاهرة أول عتبة نصية للعبور من الجسد البراني إلى الجسد الجواني))^(٢)، فمثلت (سلوى) صورة المرأة التي صودر حقها في اختيار زوجها، ومع رضوخها لسلطة الأب وقبولها لهذا الزواج لم تتوقف معاناة جسدها، فبعد زواجها وقعت (سلوى) فريسة للعنف الجسدي، الذي بدأ بعد الزواج مباشرة حيث قام زوجها (عبدالرحمن) بضربها، وكأنّه يمارس سلطته الذكورية على جسدها، وكان ذلك العنف صورة من صور الانتقام بعد اكتشافه علاقة الحب بين (سلوى) وأخيه قبل زواجهما، وكشف النص من خلال هذا العنف عن

(١) رواية الأرجوحة، ١٥٠-١٥١ .

(٢) سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركيه السرد الانثوي وتجربة المعنى، الأخضر بن سايج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١١ م، ١١٧ .

الجوانب المضمرة لهوية الجسد المسلوب الإرادة من قبل السلطة الزوجية، حيث ((أمضيا عشرة أيام من شهر العسل ، لم تسافر بعدها إلى أي مكان . فقد صارت تتجنب الذهاب معه لأن وقع الضرب بعيداً عن الأهل لا يحتمل))^(١)، وتتوالى سلسلة الاضطهاد ليرصد النص السردى صوراً عن هيمنة الزوج لجسد المرأة، وبالمقابل رضوخ (سلوى) لهذه الهيمنة مما شجع ضعفها في تمادي زوجها، في دهسه لكرامتها، واضطهاده لجسدها ((صبرت حتى صارت حياتها معارك تزداد شراستها كلما تأكد زوجها من أن ظهورها من البيت بعيد ، ما سمح له بالتمادي في اختبار قوته كل يوم . ما عادت ملكيته المطلقة تنحصر في جسدها بالدهس أو بالضرب ، بل بدأ يفرض ملكيته على أحلامها))^(٢)، والعنف الجسدي الذي تتعرض له (سلوى) أدى إلى شرخ هويتها، فهي تعالج جسدها المعنف بقبول الهدايا التي يقدمها (عبد الرحمن) لها كلما ضربها، فتعنيف جسدها يقابله حصولها على المال والهدايا، وقبول هذه الهدايا ما هو إلا ملاذ للذات المتشظية)) عندما تزوجت عبد الرحمن زوجها الأول، كان المال أيضاً موجوداً، لكنه تميز بحضوره كشفي . كان يهديها طقماً ألماسياً في اليوم التالي لضربها))^(٣)، ولعل قبول (سلوى) لهذه الهدايا أدى إلى استمرار (عبد الرحمن) بممارسة العنف ضدها؛ لأنه تأكد أنها لن تطلب أكثر مما يقدمه لها من هدايا ومجوهرات بعد ضربها مباشرة، ومهما اشتدت قوة الضرب، فأثّرها في النهاية تقبل وتسامح ((ذات يوم أرتهن سلوى عقداً ألماسياً، منحها إياه زوجها عبد الرحمن بن عيسى، لم يمنحه رجل لزوجته، ترضية لها ، وربما تكفيراً عن ذنبه، بعد قصة دامية وقعت عشية عودته من البر، انكسر فيها ضلعها الأيسر ودخلت المستشفى لمدة أسبوع))^(٤) ، وبسبب تكرار الضرب الذي يمارسه (عبد الرحمن) ضد (سلوى) تصدعت هويتها، فعاشت جانبيين متضادين، ومتنافرين، الأول قبولها العنف، الذي يمثل صورة سلبية، والثاني مسامحة زوجها وقبولها الهدايا الذي يمثل

(١) رواية الأرجوحة ، ٧٤ .

(٢) م . ن ، ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) م . ن ، ٦٧ .

(٤) م . ن ، ٧٣ .

صورة إيجابية في التعامل مع الموقف، لكنه يدلّ في الوقت نفسه على أنّ شخصيتها مضطربة، متوترة، تعاني من تشطي وتأزمهوياتي؛ لأنّها بسلوكها هذا شجعت زوجها على ممارسة العنف أكثر ((سألتها مريم : - هل تذكرين ذلك اليوم الذي جئت فيه إلى الجامعة وقد لففت يدك اليسرى بجبيرة، وكانت مسحة ثقيلة من المكياج تغطي علامات زرقاء وكدمات في وجهك ؟ سألتك : ما السبب ؟ قلت : الله يقطعها من كلمة . كل هذا بسبب كلمة يا سلام كان عبد الرحمن يمنعني من فعل أشياء كثيرة ، ورغم ضيقي به لم أكن أملك ما يؤهلني للاعتراض عليه سوى مرة واحدة ، حين منعني أثناء خلافنا تلك الليلة من أن أضع يدي على خصري وأهزه وأقول: يا سلام))^(١)، وفي هذا النص نرى (عبد الرحمن) يرفض مناقشة (سلوى) له؛ بسبب النظرة الدونية للأنثى في هذه المجتمعات، فقام بضربها لقولها لفظة (يا سلام)؛ لأنّها لفظة توحى بالسخرية، والتهمك من الزوج، وهذا أمر غير مقبول في المجتمعات العربية الذكورية بخاصة الخليجية؛ كونها تعدّ نوعاً من النقص في شخصية المخاطب ((تقدم مني عبد الرحمن ولوى ذراعي بيد وشد شعري بالأخرى قائلاً : لا تقولين يا سلام))^(٢)، فكان للعنف الجسدي الذي تعرضت له (سلوى) أثر كبير في فشل الزواج بينهما، وفي تصدع هويتها، إذا راحت تبحث لجسدها عن عالم جديد يحقق له استقلاله ويحظي بجل الاهتمام من قبل الآخرين بعد ظروف العنف القهرية التي دفعتها إلى الانشطار، فعندما سافرت إلى جنيف، قامت هي بجلد ذاتها وتعنيف جسدها بالانحلال الخلقي ((مد الثمل يده إلى جيبه ورمى في حقيبة سلوى المفتوحة رزمة نقود وهو يتلثم في كلماته :

- تعالي بكرة نشرب قهوة مع بعض ، وخذي هذه الفلوس .

نظرت سلوى ناحية رزمة نقوده ، فوجدتها سخية فلم تقاومها

نظرت سلوى إلى مريم إلا أن هذه تناولت كأس الماء وأخفت ارتباكها وهي تشربها، ثم لكزت قدم سلوى وهي تهمس :

(١) رواية الأرجوحة ، ١٠١ .

(٢) م . ن ، ١٠٢ .

- سوف أقتلك إن فعلت . يكفي البارحة .

رنت كلمة سوف أقتلك جيداً في ذاكرة سلوى، الكلمة ذاتها التي قالها عبد الرحمن ^(١)، وبسبب العنف الجسدي أصبح لدى (سلوى) تحول واضح في شخصيتها في محاولة منها لتخطي العنف الذي تعرضت له، فالهوية المتحولة هي ((هوية تعرضت لتحولات قيمية كبرى ، تدفع بها لاكتساب هويات جديدة والتخلص من القديمة ويستعير الأفراد أقنعة يتكبرون بها من أجل تخطي الصعاب التي يواجهونها)) ^(٢)، إذ كان التغير الجديد بهوية (سلوى) ناتج عن ردود فعل العنف الجسدي من الزوج المهيمن الذي تحكم بجسدها، فبعد تعرض جسدها للضرب، أصبحت تبحث عن رجل يعجب بهذا الجسد ويقدره ويقدم له المال، فجاءت هويتها الجديدة تحمل انطباعاتاً سلبياً عن الجسد المكلوم بالضرب نتيجةً لانتهاكات السلطة الذكورية، فكان نتيجة سلوك (سلوى) الذي حاولت به أن تعطي لجسدها قيمة من خلال خلعها ثوب الجسد المنتهك بالضرب لينتهك بالرديلة.

تطالعنا الروائية أثير عبد الله النشمي في روايتها (عتمة الذاكرة) سلسلة متواصلة من العنف الذي تمر به أفراد عائلة (أم مشهور)، ويتجسد هذا العنف الجسدي الذي يمارسه الزوج على زوجته مما أدى إلى تصدع هوية الأمومة، فيسبب هذا العنف أصبحت امرأة قاسية لا تحمل عاطفة الأمومة والحنان لأبنائها وأن قسوة الأم هنا ليست إلّا وجهاً من وجوه العنف الجسدي الذي تعرضت له من قبل زوجها، فمن خلال هذه القسوة حاولت أن تنفّس عن غضبها وألمها، فكان للعنف الجسدي أثراً في تشظي هوية الأم، وتحولها إلى موضع هوية الجلال والضحية في آن واحد، ويظهر ذلك واضحاً من خلال علاقتها بأبنائها ((تعلق أُمّي على والدي دائماً كل خيباتها، تتذرع بكرهها له، وبعنفه عليها ، تبرز قسوتها علينا في طفولتنا بسبب العنف الذي كان يمارسه أبي عليها وكأنها تقول بشكل غير مباشر، كنت أنفّس عن غضبي وألمي وقهري من خلالكم أنتم، هكذا ! ببساطة كانت هذه هي الحجة وكان هذا هو المبرر . لم تُقل أُمّي هذا، لكنني قُلته في نفسي ألف مرة كان

(١) رواية الأرجوحة، ١٤٣ .

(٢) السرد والاعتراف والهوية، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١ م، ١٤٩ .

يسيء أبي فيها إلى أمي، كانت أمي تجيء إلينا وتصبّ جام غضبها علينا ، تمارس علينا كل أشكال العنف، تهيننا لفظياً، تمزقنا نفسياً وتُعذِّبنا جسدياً^(١) لجأت الأم إلى العنف المضاد؛ لتقابل العنف بالعنف، فلكي تتخلص من معاناة جسدها قابلت عنف الزوج بعنف آخر سلطته على أبنائها، وهي بهذا تختزل معاناة جسدها في نقل العنف إلى أجساد أبنائها، محاولة بذلك أن تنتقم لجسدها من العنف الممارس ضدها من قبل السلطة الذكورية ((تتعامل معنا بالقسوة نفسها والغضب ذاته والشراسة في عيناها))^(٢)، فهوية الأم القاسية مع الأبناء كانت انعكاساً لعنف زوج قاسٍ مع زوجته، فالعنف ولد عنفاً آخر؛ لذلك جاءت هوية الأم تخالف النسق المعروف عن الأمومة، فالأم هي مصدر الحنان والأمان للأبناء ، لكن الأم في هذه الرواية ظهرت بصورة مغايرة، فهي القاسية والمنقمة التي تصب جام غضبها على أبنائها، وأن القسوة التي تتجلى بها هي صورة للذات المكسورة والمهزومة من قبل السلطة الزوجية، فالعنف الذي يمارسه الفرد ((يعود إلى اضطراب في شخصية الفرد بسبب خبرات مؤلمة مرّ بها خلال حياته))^(٣)؛ لذلك نرى الأم تدين الزوج الذي حرّمها من شعور عطف الأمومة، فكان العنف الجسدي عامل مهم في انهيار قيم الأمومة لديها ((أمي لا تشبه النموذج الذي يتغنى به الشعراء ولا النموذج الذي تصفه لنا قصص المواعظ والحكايات، كانت أمي امرأة قاسية، لا تجيد سوى القسوة والصرامة، لا تفقه في الحنان شيئاً ولا تجيد التعبير عن الحب ، ولا أظن أنها حاولت مجرد المحاولة أن تعبر عن حبّها لنا، هذا إن كانت أحببتنا أصلاً ! حينما كنت صغيراً، كنت على يقين من أنها كانت تكرهنا، كنت أفكر دائماً لم لا ترحل عنا، لم لا تهجرنا وتتركنا خلفها ما دامت لا تطيق أحداً منا ؟))^(٤)، ولما تكون المرأة مستلبة من قبل الرجل ينعكس شعور الاستلاب على الأبناء، مما لا شك فيه ((أن الأمومة

(١) رواية عتمة الذاكرة ، ٣٠ .

(٢) م . ن ، ٨٤ .

(٣) العنف الأسري بين المواجهة والتستر ، مجموعة باحثين، مركز رؤية للدراسات الاجتماعية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض، ٢٠١٠م، ٧٣ .

(٤) رواية عتمة الذاكرة ، ٢٧ .

مصدر تعويض ولكن الإنسان المستلب هو وحده بحاجة إلى تعويض ، وبهذا المعنى تكون الأمومة توكيداً للاستلاب ((^(١))، فالضرب الذي يمارسه الزوج يستند إلى ثقافة المجتمع الذي يؤمن بأن المرأة ملك للرجل؛ لأنّ ((معظم القوانين التي تحكم نظام الأسرة في مجتمعاتنا العربية تدعم بشكل أو بآخر القول بأنّ المرأة والأبناء هم امتداد طبيعي لملكية الرجل))^(٢)، فهذه القوانين شجعت الرجل في المجتمع العربي على ممارسة العنف الجسدي، فراح الرجل يسلك وسائل متعددة في العنف ضد المرأة، ومنها استخدام العقال ((أذكر أنّ والديّ تشاجرا بعد رسوب ماجد بيومين ، كان صوت صياحهما عالياً في غرفة نومهما ، وفجأة انفتح باب الغرفة ورأينا والدي وهو يخرج منها صاحباً أمي من شعرها ، أذكر كيف كان يضربها بقسوة وهي تصرخ ... أذكر كيف رفع أبي عقاله وانهاهال به على أمي بالضرب وهو يلهث من شدة القسوة والغضب))^(٣)، فالعقال يقع ضمن كينونة الرجل الخليجي وثقافته الذكورية، فهو نسق اجتماعي يدلّ على هوية الرجل وجنسه، وفي نفس الوقت يرتبط بوصفه وسيلة عقاب يستخدمها الرجل، فاعتمده أبو (مشهور) في ضرب زوجته، فكان لهذه الأداة أثر كبير في الانحلال الحاصل في شخصية الأم وعلاقتها مع أبنائها؛ لذلك ظهرت لديها ردة فعل معاكسة تجاه الأبناء من خلال ممارستها أداة العنف نفسها، فالضرب بالعقال الذي مارسه الأم على أبنائها هو استجابة لحالة نفسية تمر بها شخصية الأم؛ لأنّ ((الجسد يستجيب لخاصية نفسية أو فلسفية أو معرفية وهذه الخصائص هي التي تشكل قوام الشخصية))^(٤)، وبما أن جسدها يحمل أوجاعاً وآلاماً لجأت إلى استخدام أداة العنف نفسها التي استخدمها الزوج لضربها، ولعل استخدام (أم مشهور) للعقال وسيلة للضرب يعود إلى محاولة الأم في استعادة قوة جسدها المعنف بهذه الأداة ((

(١) الأدب من الداخل ، جور طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ٩٦ .

(٢) أصل واحد وصور كثيرة ، ثقافة المرأة ضد المرأة في لبنان ، فهيمة شرف الدين ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ١٢ .

(٣) رواية عتمة الذاكرة ، ٣٤ - ٣٥ .

(٤) لغة الجسد النفسية، جوزيف ميسنجر، تر: محمد عبد الكريم إبراهيم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط ١، ٢٠٠٧م، ١٠ .

قامت من مكانها فجأة، أخذت عقال أبي المرمي على الأرض وأقبلت علينا كفرس هائجة، وانهالت على ماجد بالضرب وهي تصرخ بشعرٍ أشعث وملابس ممزقة: وأنت يا الغبي يا الفاشل ليش ما تذاكر ؟ ما عندك مخ تفهم فيه ؟ وش ينقصك عن باقي العيال عشان تسقط ؟ التفت علي وضربتني بالعقال فصرخت فيها وأنا أبكي : وأنا وش سويت يمه ؟؟؟ أنا ناجح !

- وأنت عشان تعرف تضحك على أخوك مرة ثانية !

- متى ضحكت على أخوي ؟

- قبل أمس !))^(١)، منح صراع الأم مع الأب أبعاداً مركبةً في هويتها بوصفها أمّاً، فنقلت هذا العنف الجسدي إلى الأبناء، فعندما فشل(ماجد) في دروسه، قامت بضربه، وضرب(مشهور) على الرغم من أن (مشهور) كان ناجحاً ولم يظهر منه تقصير في دراسته، فكان هذا الضرب أحد وجوه أزمة هوية الأمومة، إذ تمزقت لديها بتأثير العنف الذي تعرضت له، ولعل ذلك ينبع من فقدانها للأمان الذاتي؛ لأن ((التوق الإنساني لتحقيق الهوية ينبع من الحاجة للأمان الذاتي))^(٢)، فساهم العنف الجسدي الذي يمارسه الزوج في بروز هوية قاسية للأُم فاقدة لمشاعر دفء الأمومة، وجاءت قسوتها لتنفيس عن الضرب الذي تتعرض له، فالذات التي تمارس التعنيف الجسدي هي ذات تعرضت للعدوانية، لذلك توجه ما تعانيه إلى الخارج بشكل مستمر ودوري^(٣) . وعنف الأم لأبنائها يعكس عمق الصراع الداخلي الذي تمر به بسبب عنف الزوج، فتتخذ موقفاً عدائياً مع أبنائها مدفوع بنزعة الانتقام.

(١) رواية عتمة الذاكرة ، ٣٦ .

(٢) القبيلة والقبلية ، هويات ما بعد الحداثة ، ٤٧ .

(٣) ينظر: التخلف الاجتماعي مدخل إلى السيكولوجية الإنسان المقهور، مصطفى حجازي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م، ١٦٥ .

وأن أزمة العنف الجسدي الذي تعرضت له الأم والأبناء أدى إلى اضطراب الذات مع المحيط الخارجي، فعلامات العنف ظلت عالقة في دواخلهم ((نشأنا مضطربين مختلفين عمن سوانا فمعظمنا لم يتمكن من أن يزيل علامات العنف التي مازالت تشوه نفسه ودواخله))^(١)، لأن افتقار الجسد للرعاية والاهتمام يؤدي إلى تمزق الهوية، كما إن ((الافتقار إلى الحب والحنان في مرحلة الطفولة يؤدي إلى تشظيات الهوية وانشطارها))^(٢).

ب- العنف والتصدع النفسي:

أوضحت الروائية الكويتية علياء الكاظمي في روايتها (جوهرة) الأبعاد النفسية التي يتركها العنف الجسدي على هوية المعنف، من خلال شخصية (عذاري) التي تتزوج من (عبدالله) لكن هذا الزواج لم يدم طويلاً، فبعد شهر من زواجهما طلقها بسبب معرفته بعلاقتها السابقة مع صديقه، بعد إنقام صديقه بإرسال كل المحادثات التي كانت تدور بينه وبين (عذاري) إلى الزوج بفعل الانتقام، وبعد طلاقها من (عبدالله) تزوجت من (شهاب)، وهذا الآخر كان كثير الشك بها وخاصة بعدما علم أسباب طلاقها من زوجها الأول، ففتك الشك بعلاقتها الزوجية، وأصبح يستخدم العنف الجسدي معها ويضربها لمجرد شكه بها، فعندما كانت هي و(شهاب) جالسين في المطعم مرّ أحد زملائها وسلّم عليها، فقام (شهاب) بضربها أمام الناس ((قال وهو يمد يده فجأة ويضغط على أصابعها بين راحة يده الكبيرة : تظنّيني أحمق صحيح ؟

ذهلت وهي تشعر بأصابعها تكاد تنسحق في يده القوية، صاحت .. أنت تؤلمني شد ! شد على أصابعها أكثر وهو يقول : لهذا أنت متأنقة اليوم هكذا ... سحبت يدها من بين يده بصعوبة حتى كادت تحس بأن أصابعها قد انخلعت من مكانها، .. قام شهاب من مكانه فجأة وشدها معه))^(٣)، ويبرز في هذا المشهد العنف الجسدي من خلال شد أصابع (عذاري) والضغط عليها

(١) رواية عتمة الذاكرة ، ١٤٢ .

(٢) الهوية ، اليكس ميكشيللي، ٨ .

(٣) رواية جوهرة ، ٣٥٩ .

بشدة، فشخصية (شهاب) تمثل سلطة قمعية مهيمنة تلجأ للعنف لفرض سيطرتها، وهذه طبيعة الجسد الذكوري، فهو جسد ((يتعامل ويتصرف مع الآخرين بالقوة والعنف في اكتساب المواقف))^(١)، وعلى الرغم من أندالة اليد كثيراً ما تشير إلى معاني العطف، والحنان، والحب، إلا أن الروائية وظفتها توظيفاً سلبياً لإظهار دلالة العنف ((التفت إليها بكامل جسمه والشرر يتطاير من عينيه وقبل أن تعي أحست بيده الكبيرة تنهال على خدها بصفعة شديدة كادت تفقدها سمعها ! ... قال وهو يشدها من شعرها ويضرب رأسها بزجاج نافذة السيارة : أتظنين أنني غبي مثل زوجك الأول ؟ أتظنين أنني غافل عما تستطيع فتاة مثلك فعله ؟ أتظنين أنني لم أعرف بناتاً مثلك من قبل ؟ أعرف ما يمكنك أن تقومي به، أعرف ذلك جيداً أنا لست غيباً !))^(٢)، ولعل كل من شخصية (شهاب) و(عذاري) تحملان في داخلها تجارب الماضي، وكلاهما لم يتمكن من التحرر منها، فشخصية (عذاري) لم تستطع التخلص من علاقتها السابقة التي كانت تكبل علاقتها مع زوجها الأول (عبدالله) وزوجها الثاني (شهاب)، الذي ظل أسير الشك بسبب علاقاته الكثيرة مع النساء وهذا الشك ولّد لديه أزمة ناشئة من ماضيه فقد كان زير نساء، وهذا ما جعله مضطرباً ومتوتراً يعاني تشظي الهوية، مما ولّد لديه العنف والطغيان ((يكون العنف نتيجة للإحباط الشديد، ولعدم قدرة الشخص على التسامي أو الإعلاء أو ضبط النفس))^(٣)، وتبرز صور العنف من خلال احتقان العين عند (شهاب) وصفعه خد (عذاري) وشد شعرها ((جرها من ياقعتها نحوه وهو يهزها بين يديه بقسوة : أنت معتادة على الخيانة ... تملصت من بين يديه فجأة وفتحت باب السيارة وجرت هاربة، فوجيء بهروبها منه على هذا النحو، نزل من السيارة وجرى وراءها صارخاً وهو يتوعدّها، خافت منه فجرت أكثر، خافت ان تتوقف فيعاود ضربها، أحست به يقترب منها، فهو أسرع منها وأكبر حجماً، قبل أن يصل إليها، انزلقت قدمها ووقعت على الأرض وارتطم رأسها

(١) سيميائية الجسد في رواية "تلك المحبة" للكاتبة الحبيب السايح ، بدرة شريط، كتب كراسك، ٢٠١٦م، ٢٣ .

(٢) رواية جوهرة ، ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) العنف الأسري- دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول، عبد الله أحمد يوسف، دار المحجة البيضاء ، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ٣٠.

بحافة الرصيف وتفجر الدم من رأسها الصغير))^(١)، يكشف النص عن ضعف المرأة وعدم قدرتها على مواجهة العنف الجسدي الذي يمارسه الرجل عليها، الذي امتاز ((بكثافة بنيته العضلية ويمتاز بقدر وافٍ من الخشونة في حركته وتلك من طبائع هوية الجسم الذكوري))^(٢)؛ لذلك لاذت (عذاري) بالهروب وكان طريقها الوحيد للنجاة.

وأدت العدائية التي يتصف بها (شهاب) إلى تأزم نفسية (عذاري)، حيث فقدت ثققتها بكل مَنْ حولها، وهذا ما قالته على لسانها عندما طلبت الطلاق من شهاب: ((أرسل لي ورقة طلاقي لقد فقدت ثقتي بك، وفقدت ثقتي في كل شيء))^(٣)، وعليه نجد أنَّ العنف الذي تعرضت له الشخصية أدّى إلى تصدع نفسياتها، فأصبحت انطوائية ومنعزلة لا تحب الاختلاط مع الآخرين، لتتخذ قراراً بترك العمل وعدم الخروج من المنزل وعدم الزواج مجدداً، وتلغي فيه وجود البشر في حياتها وتهتم فقط بكلبها (كمبو) ((لم تخرج عذاري من البيت، حتى عملها لم تعد تذهب إليه فقد قدمت إجازة مفتوحة ... كانت محطة لن تسمح بعدها لأي رجل بالاقتراب منها ثانية، فقلبها لم يعد صالحاً للحب، يكفيها ما نالها، ستهتم فقط بكلبها كمبو ، فهو الأوفى لها والوحيد الذي لن يخذلها))^(٤).

وفي رواية (مقهى نساء ضائعات) للروائية سميرة تيشه عبرت الروائية عن الأثر النفسي الذي يتركه العنف الجسدي على الأبناء، فالعنف الجسدي الذي مارسه الزوج ضد زوجته أدى إلى تصدع هوية ابنتهما (ريم) واضطرابها، لذلك أقلعت عن فكرة الزواج لكونها ترى أن الرجال كلهم سواسية وكلهم يمارسون العنف ضد النساء، والرجال في نظرها هم السبب في شقاء المرأة ووجعها وتقيد حريتها ((أما أنا فلا أفكر في الزواج أبداً، أمتلك الاستقلالية الكاملة لكي أعيش حرة ، بلا رجل ،

(١) رواية جوهرة ، ٣٦٠ .

(٢) الجسد في الرواية الإماراتية، ٤١ .

(٣) رواية جوهرة، ٣٧٩ .

(٤) م . ن ، ٣٧٩ .

وبلا وجع))^(١)، وأنَّ الضرب الذي مارسه والد (ريم) ضد والدتها ظل عالقاً في ذاكرتها مما ولد لديها شرخاً بهويتها متمثلاً باضطراب مشاعر الحب بينها وبين والدها، وعليه نجد أن مشاعر الكره التي تحملها تجاه والدها ما هي إلا صورة لتصدع هوياتي ناتج من العنف الجسدي الذي يمارسه والدها)) شعرت ريم بضيق كبير كأى فتاة تحلم بالزواج وتكوين أسرة تشاركها ذكرياتها الجميلة لكن شيئاً ما بداخلها يمنعها من ذلك دمعت عينها وأحمر وجهها ما أن تذكرت أباها لتقول بأسى : كل فتاة بأبيها معجبة، إلا أنا))^(٢)، وانعكس العنف على (ريم)، فجعلها تعيش في حالة من الحزن والكآبة والبكاء الدائم، وهيمشاعر متولدة من صراعات نفسية داخلية تبين رغبتها بالزواج ولكن خوفها من عنف الرجل يمنعها من ذلك، فالصورة السلبية لوالدها، شكلت حاجزاً نفسياً جعلها تعزف عن الزواج)) (قالت ريم بصوت حزين أبي قتل أمي، ماتت أمي، أمي عاهرة... أجهشت ريم في البكاء، والنحيب، خبأت وجهها بين كفيها، وهي تردد بلسان متعثر : أبي قتل أمي لأجل امرأة أخرى ، سقطت أرضاً ، ارتطم رأسها بالجدار، غرقت في الدماء، وغرقت أنا معها، لم أعد أر شيئاً، تركت لي الحياة وليلة عزاء طويلة، أبي من لوثها))^(٣)، يصف المشهد لحظة مقتل الأم على يد الأب وبرؤية الابنة (ريم)، فأحدث ذلك شرخاً كبيراً في روحها، وكان العنف الجسدي الذي مارسه والد (ريم) هو جزء لا يتجزأ من جسد مهيمن ذكوري ساعد في صياغة سيطرته ثقافة مجتمع يشجع عنف الرجل على المرأة بعدم محاسبته بحكم حصانة السلطة الذكورية التي تسمح له بقمع المرأة، فالعنف الذكوري)) (موروث توارثته المجتمعات وهو جزء من ثقافتها المتمثلة بسلطة الرجل))^(٤)، وقد بينت الرواية من خلال هذا العنف صورتين متآزمتين متأثرتين بالعنف الجسدي الذي مارسه السلطة الذكورية، فأولها صورة الأم التي تعرضت للضرب والركل وانتهت حياتها

(١) رواية مقهى نساء ضائعات، ٣٤ .

(٢) م. ن ، ٣٥ .

(٣) م. ن ، ٨٢ - ٨٣ .

(٤) ضحايا العنف الأسري عنف الزوج على الزوجة-دراسات حالات فردية في مدينة بغداد، فهيمة كريم رزيجالمشهداني ، بحث مقدم إلى جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم علم الاجتماع، ٣ .

بالقتل، وثانيها صورة البنت التي تولد لديها صراعاً داخلياً وشعوراً بالحقد اتجاه والدها ((- إلا أبي!! كان يعاقر الخمر ويمارس الرذيلة ، وعندما ارتفع صوت أمي، قتلها واتهمها بالعهر، دُفنت مظلومة، وظل هو يملأ الأرض ظلماً وجوراً ! رأيته يركل أمي))^(١)، قدمت الرواية بهذا المشهد السردية عن موقع المرأة والرجل في المجتمع الخليجي، فالرجل يحمل الحصانة في هذه المجتمعات، وهو مهما أخطأ لا يحاسب على أخطائه، بينما المرأة لا يحق لها أن تخطأ ولا يحق لها أن تحاسب الرجل على أخطائه ولا يحق لها أن ترفع صوتها أمامه، فكان الضرب ملمحاً بارزاً من ملامح عنف الرجل الذي يمارسه ضد المرأة التي تعارضه أو تتمرد عليها رتقاً صوت (أم ريم) ومواجهة زوجها بخيانته مع امرأة أخرى هو الجرم الذي ارتكبه لتتال عقابها بالقتل ظلماً وزوراً وتتهم بالعهر، ولا شك إنَّ الاتهام أدى إلى ضعف هوية المرأة أمام هوية الرجل؛ لأن مجتمعاتنا متحيزة دائماً للرجل حتى وإن كان خاطئاً، لذلك سعت الرواية إلى البوح عن التجاوزات التي تستقصي جسد الأنثى من جراء العنف الجسدي .

ويتجلى العنف الجسدي في رواية (حياتان لأنثى واحدة) للكاتبة حنان عبد اللطيف الخطابي من خلال شخصية (سالم) الذي استخدم العنف مع أخته (سمرا)، فصدمت مشاعر الأخوة بينهما بسبب سلطته القاسية؛ فكان من مظاهر هذا التصدع ما تعانيه (سمرا) من أزمة نفسية تظهر من خلال مشاعر الخوف عندما ترى أخيها، لذلك كانت تتحاشى اللقاء به وتلوذ بالفرار كلما رأيته ((كان أخي يتنقل في البيت كقنبلة موقوتة، تنفجر في اليوم أكثر من مرة، وتخلف وراءها دماراً، وحزناً، ودموعاً تذرفها أمي بلا انقطاع .. كنت كالقط الخائف أتسلل عنه، وأختفي من طريقه كلما رأيته))^(٢)، فالتصدع الهوياتي عند (سمرا) ناشئ من صراعاتها وانهازاتها النفسية وعدم قدرتها على مواجهة عنف الأخ، لأن (سالم) كان بمثابة القوة المربعة لها، لذلك نراها تحاول إن لا تلتقي به، فـ (سمرا) تعاني تشظياً ذاتياً جراء العنف الجسدي الذي يمارسه أخوها ضدها بحكم

(١) رواية مقهى نساء ضائعات ، ٩١ .

(٢) رواية حياتان لأنثى واحدة ، ٦٥ .

السلطة التي منحها المجتمع له بحجة الحفاظ عليها وحمايتها، فحاول (سالم) أن يجبر أخته على الزواج من صديقه ((نزلت أجر خطواتي، فلم أشعر إلا ويدا غريبة تخنقني من الخلف لتكتفني . حاولت أن ألتفت وأرى من الأحرق الذي يمازحني هذه المزحة السخيفة ، لكن البخاخ الذي رش على وجهي وأفقدني الوعي ، لقد اختطفت ، ومن أمام منزل والدي .

- هيا أفيقي .

- من أنت ؟

- افتحي عينيك تعرفيني جيداً ، أخوك سالم تزوجي صديقي هذا الذي ارتضيته زوجاً لك .

لست أدري ما الذي اعتراني حينها، أخي يخطفني برفقة صديقه المريب ((^(١))، تواطئ (سالم) مع صديقه ضد أخته، وقامت بخديرتها واختطافها لإجبارها على الزواج منه، مخلفاً شراً اجتماعياً ودينياً ونفسياً في ذاتها، فعملية الاختطاف التي قام بها (سالم) تبين التشطي الواضح في ذاته، فكان عنيفاً قاسياً سلبت منه مشاعر الرحمة والعطف اتجاه أخته (سمرا) ((لن أتزوج صديقك

- هل هذا آخر كلام لك ؟..

- بسبب عنادك لا لوم عليّ فيما سأفعله بك .

رفع يده فوق رأسه ، وهوى عليّ بسوط شعرت به يمزق روحي ، ويفتت قلبي ، ويشوي جلدي شويّاً

صرخت وبكيت وتوسلت إليه ..

لم يتوقف عن جلدي إلا عندما سمع صوت ساقي تكسر ، ففرقت في دوامات من الألم أذهبت عقلي، وبت أبكي بانكسار وصمت، ليت ملك الموت ينزل من السماوات الآن ويرحمني يا رب

(١) م. ن ، ٩٢-٩٣.

اقبضني إليك مظلومة منكسرة يا رب ((^(١)، ويستمر (سالم) في تعنيف أخته، فظل يمارس أقصى أساليب التعذيب وأبشعها ، فكسر قدمها وشوه جسدها كما شوه روحها.

كما عكست رواية (سرقوا أيام عمري) للروائية علياء الكاظمي التصدع النفسي الذي يصيب الشخص المعنف، ويبدو ذلك واضحاً في شخصية (سلمى)، فطبيعتها الاستسلامية وخضوعها شبه التام لزوجها، جعلها فريسة سهلة له ((أدمنت ضرب سلمى أدمنت ضعفها الأنثوي أمامي ذلك الانكسار في عينيها كلما ضربتها ودموعها التي كنت أشربها بشفتي أدمنت إيذاء المرأة التي أحب رغماً عني قد أكون مريض ربما لكن سلمى دفعت ثمن صبرها غالياً))^(٢)، فالعنف ترك آثاره السلبية على شخصية صديقتها، فأصبحت لا ترغب بالحياة ولعل ذلك يلوح بحجم الأزمة النفسية التي تتولد من العنف ((أنني لم أعد أشعر بالرغبة بالحياة من بعد الظلم والعنف الذي تعرضت له سلمى، شعرت أن الحياة ظالمة وغير عادلة ولا مكان لي فيها))^(٣).

نلاحظ مما تقدم أن الرواية النسوية الخليجية تناولت جسد المرأة ، وكثير ما كان هذا الجسد الأنثوي يتعرض لتشويه بفعل الضرب باليد والعقال والسوط، والجسد المعطوب يخلق روحاً مشوهة، فتنتشظى الذات وتضيع الهوية، لأن ((الصراع مع الآخر يمزق الهوية الشخصية عبر مرآة النفس المعكوسة في الآخر))^(٤)، وقد سعت الرواية النسوية الخليجية إلى إعادة بناء الذات الأنثوية بنزعة تدعو للخلاص من العنف الجسدي والانطلاق نحو التحرر من الظلم والكبت الذكوري الذي تعاني منه المرأة الخليجية، فالمرأة عندما تكتب عن معاناتها ((فهي ترمي من الكتابة والكلام إلى تفجير شروخ جسدها وتموجاته))^(٥)، وبذلك استطاعت الرواية النسوية من كشف أنساق العنف

(١) رواية حياتان لأنثى واحدة، ٩٤ .

(٢) رواية سرقوا أيام عمري ، ٣٠٢ .

(٣) م . ن ، ٢١٧ .

(٤) مشكلة الوعي ووعي المشكلة، مازن رسول محمد ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٢ م ، ٧٩ .

(٥) الهوية والاختلاف-المرأة والكتابة والهامش ، ٣٥ .

ومستوياته، وأسبابه، عن طريق معالجة النصوص السردية بشكل دقيق لخبايا ذلك المجتمع الذي لا يؤمن بوجود المرأة وحريتها، فكان أداة تعيق بناء هويتها الأنثوية ، ولا يعني ذلك أنَّ العنف يقتصر على المرأة وحسب، وإنما نجده يُمارسُ على فئات أخرى كالأبناء الذكور .

المبحث الثالث

مقومات هوية الجسد الأنثوي

المبحث الثالث

مقومات هوية الجسد الأنثوي

تتكون الهوية من مقومات تعطي نظرة مسبقة عن هوية الفرد وانتمائه، وطبيعة السياق الثقافي والاجتماعي الذي ينتمي إليه، فهي تتباين من مجتمع إلى آخر، وتشمل مقومات هوية الجسد الأنثوي الأزياء والعطور ووسائل التزيين، فهي تمثل دالاً هوياتياً. يُستمد من فكر المجتمع وثقافته؛ لأن كل هوية لها مقومات خاصة بها، فللهوية العربية رموز خاصة بها، وتنتضح هذه الرموز في أشكال متنوعة^(١). وقد سعت الرواية الخليجية إلى إبراز كل ما يتعلق بالجسد الأنثوي، فكما كشفت الرواية عن طهره ودناسته وتصدعه، أظهرت الرواية أيضاً المقومات التي يتمثلها الجسد الأنثوي وتمنحه هويته الخاصة متجسدة من علامات دالة عليها يمكن أن تستنتجها على وفق الرؤى الاجتماعية والموروثات الدينية والثقافية والعادات والتقاليد، ومنها :

أولاً: الأزياء:

يشكل الزي مدخلاً مهماً في معرفة الهوية، فهو ((يعد أحد مقومات الهوية لشعب ما أو لأمة ما))^(٢)، ويتأثر شكل الزي بطبيعة المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، فهوية الملبس في المجتمعات العربية تختلف عن هوية الملبس في المجتمعات الغربية، وذلك يعود إلى النظر الثقافية التي تسيطر على صورة الجسد، إذ ((تظل النظرة نحو الجسد نظرة ثقافية ...، فصورته تنتج ثيمات حسب المناخ الثقافي الذي تندرج تحته))^(٣)، فالنظرة نحو الجسد ليست معطى ثابت بل هي نظرة

(١) ينظر: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ٢٩ .

(٢) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية العراق، ديوان الوقف السني، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م، ١٤٤ .

(٣) سيميائية الجسد في رواية "أحلام مريم الوديعة" لواسني الأعرج، إيمان توهامي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير - بسكرة، الجزائر، ٢٠١٣م، ١٨ .

متأثرة بالبيئة التي تحتضنه .

و أكثر ما تتباين فيه هوية المجتمعات هو اختلافها في الزي، حيث يتميز كل مجتمع بزي خاص به يعبر عن هويته، ويعطي صورة واضحة عن علاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه، فالزي يمثل عنصراً أساسياً من عناصر تحديد هوية الفرد؛ لأن ((الملابس وأثاث المنزل والمفردات هي جزء من هوية الشخص وبإمكان الشخص أن يستعمل مثل هذه العناصر لتعبير عن الفكرة التي يحملها عن نفسه وعن علاقته بالمجموعة التي ينتمي إليها))^(١)، فهو لسان حال الفرد والمجتمع بمجرد النظر إليه يمكننا التعرف على جنس الفرد وهويته وانتمائه ومستواه المعيشي، كما يرمز إلى ((مجموعة من العلامات، فهو يدل على الانتماء إلى طبقة اجتماعية معينة، أو جنسية معينة، أو حياة معينة، كما يدل على الوضع الاقتصادي))^(٢). وزي المرأة الخليجية متقارب نسبياً نظراً لكون البيئة الاجتماعية والثقافية واحدة، وأهم ما نامزت به المرأة الخليجية هو ارتداؤها للبرقع والعباءة، والشيلة، والبخنق، والكندورة وهذه الأنواع من الأزياء تحكمت فيه مجموعة من القيم الدينية والعادات والتقاليد الموروثة والمناخ والبيئة .

أ- البرقع:

البرقع أو ما يسمى بالنقاب هو من ملامح الزي للمرأة الخليجية تستخدمه في تغطية وجهها ((برقع المرأة ما تستر به وجهها))^(٣)، وهو معروف منذ القدم، اشتهرت في لبسه النساء العربيات، وهو

(١) دراسات في الثقافة والتراث والهوية، شريف كناعنه، تح: مصلح كناعنه، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية رام الله فلسطين، ٢٠١١م، ٥٩ .

(٢) شفرات الجسد جدلية الحضور والغياب في المسرح، عواد علي، دار وائل للتوزيع والنشر، عمان -الأردن، ١٩٩٦م، ٨٥ .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، تح : عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ٤٥ .

غطاء يستر الوجهما عدا العينين ((البراقع تلبسها نساء الأعراب وفيه خرقان للعينين))^(١)، ويأتي على أشكال متعددة يختلف من بلد لآخر منه ما يغطي الوجه بأكمله ماعدا العينين، ومنهما يظهر العينين والفم، وغالباً يكون لونه أسود، وفي بعض الأحيان يكون مطعم باللون الذهبي^(٢)، والمتعارف عن البرقع غطاء يخفي وجه المرأة، ويبرز عينيها، فيزيدها جاذبيةً وجمالاً، ويبدو ذلك في وصف ذي الرمة البرقع ودوره في إخفاء ملامح الوجه بقوله: ^(٣) الوافر

جَزَى اللَّهَّ الْبَرَّاقِعَ مَنِّيَّابِعَا لِفَتْيَانٍ شَرَّامَا بَقِينَا

يُؤَارِينَا الْمَلَّاحَ فَلَانَرَاهَا وَيُخْفِينَا الْقَبَّاحَ فَيَرَدِينَا

فالبرقع يعبر عن زي شعبي متوارث منذ القدم وهذا ما عرضته الروائية (نورة شهيل) في روايتها (هنا تركت قلبي) من خلال الحوار الذي دار بين (شيخخة) وجدتها (محبة) الذي بينت فيه مظهر المرأة الخليجية القديمة وتمسكها في ارتداء البرقع، فلا تكتمل هوية المرأة الخليجية البالغة إلاّ به، فهو يعبر عن حشمة المرأة، لذلك ألّزمت في لبسه ((- شيخخة : يدوه ألم تكوني معجبة بأحد أبناء الفريج أو الأقرباء ؟

محبة : يابنيتي البنت إن بلغت مبلغ النساء لا تخرج إلا وقد غطت وجهها بالبرقع أو الشيلة وإن صادفت رجلاً في طريقها تنحت جانباً ومالت برأسها حتى يمر))^(٤)، فالبرقع تجسيد للنسق الاجتماعي العربي وبخاصة الخليجي، وهو يعكس الهوية الأنثوية المرتبطة بهوية موروثة مكتملة لزي المرأة الخليجية، فهو يعبر عن صورة المرأة المرتبطة ارتباطاً عميقاً بالقيم والعادات الاجتماعية

(١) لسان العرب ، ٨ / ٩ .

(٢) ينظر : الأزياء الشعبية العربية-قواسم مشتركة-أزياء المرأة التقليدية في الإمارات رمز الهوية والأصالة، فاطمة المغني، مجلة المراد، ع ٥٤ ، 2017م، ٢٠ .

(٣) ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٦م، ٦٤٩ .

(٤) رواية هنا تركت قلبي ، ١٢٥ .معاني الكلمات: يدوه: جدتي.

المتمثلة بحفاظها على سترها أمام الرجل، وهذا ما جسده الروائية بدرية البشر في روايتها (غراميات شارع الأعشى) من خلال شخصية (أم إبراهيم)، فلبسها للبرقع ارتبط بالأعراف والعادات السائدة في هذا المجتمع، كما يرتبط غطاء الوجه بالرؤية الفكرية والدينية التي رسمت صورة المرأة في بلدنا الخليج، فعندما ظهر وجهها أمام (أبو رياض) ظهر عليها الارتباك وبدأت تلوم نفسها، لأن مظهر المرأة في هذه البلدان يطغى عليه كثير من الأفكار التي يتبناها هذا المجتمع، الذي يرى أن وجه المرأة عورة، فلا يجوز إظهاره لشخص غريب((فيما نحن نزور أم رياض جلست أمي كاشفة عن وجهها تشرب القهوة، دخل أبو رياض كعادته هاشاً باشاً بضيوف مزنة فما كان من أمي إلا أن أدارت وجهها وهي تواصل:

- هو هوهو ، وش ذا اللي دخل علينا؟

- قالت أم رياض : هذا أبو رياض .

في الطريق سمعت أمي تحدث نفسها وتقول : الله لا يخزينا ، دخل علينا الرجال وكشف عورتنا.

- قلت : وكأن الرجال شافك بلا ثياب.

- قالت : وش بقى ؟ شاف وجهي خلاص .

- شاف وجهك ، هذا أنت قلتيها ، وماشاف إلا وجهك .

-عنبوك أنت صاحبة والوجه مهوب حرام ، والله لا يخزينا عسى ماتزلزل بنا الأرض . ((^(١)).

يمثل البرقع رمزاً لهوية المرأة البدوية، وهو من أبرز مظاهرها، ويبدو ذلك واضحاً في شخصية (مزنة) التي تمسكت بارتدائها للبرقع على الرغم من انتقالها إلى المدينة، كونه يعبر عن هويتها البدوية، ولعل ذلك يعود لتأثرها بالعادات القبلية التي حكمتها وبطبيعة الحياة التي انتمت إليها، فظهر ذلك واضحاً على ملامح أزياء جسدها؛ لأن((الجسد يحمل علامات الطبقة الاجتماعية

(١) غراميات شارع الأعشى، ٢٢١-٢٢٢ .

التي ينتمي إليها^(١)، وتمسك (مزنة) بالبرقع يعبر عن عمق حبها لبدائيتها، فالبرقع بالنسبة لها يعزز هويتها البدوية ((مزنّة أكثر إختوتها تشبهاً ببدائيتها، تعلقت بلباس البرقع الذي لبسته والدتها وضحي، كما هو عند نساء سوق الحريم والبائعات الأخريات تشتهر به البدويات ويميزهن عن نساء المدينة، تعلقت به مزنّة ليس فقط لأنه لا يسد الرؤية من خلال عينيّه المفتوحتين اللتين لا تحجبان الفضاء، بل لأنه أيضاً يظهر عينيها الفاتنتين المدعوجتين بالكحل العربي، وترى النساء البدويات أنهما مركز الفتنة في وجه المرأة^(٢)، كما إنّ التزام (مزنّة) بارتداء الملابس الشعبية يحقق نوعاً من حضور هوية الذات البدوية الأصيلة الراغبة في إظهار جمال عينيها المكحلة من خلال فتحتي البرقع التي تبرز اتساع العينين. إذ يعدّ البرقع جزءاً من الأزياء التقليدية الشعبية التي كانت ترتديها المرأة قديماً، فهو مرتبط ((بشخصية المجتمع وتميزه عن سواه من المجتمعات، وكذلك فهو تعبير المجتمع عن ذاته^(٣)، فالملابس الشعبية هي رموز مادية يسهل من خلالها التعبير عن هوية صاحبها^(٤).

ب-العباءة:

تعدالعباءة جزءاً من هوية المرأة الخليجية، إذ ألقت بظلالها على مظهر المرأة الخارجي، فحضورها ملازم للمرأة الخليجية منذ القدم ولا زال، وتمثل الزي الرسمي لها وعادة تكون طويلة وسوداء، ولا تخرج المرأة من دونها، فهي رمز للوقار والالتزام الديني، وقد أشارت الروائية بدرية البشر في روايتها (الأرجوحة) إلى مبالغة المرأة السعودية في طول العباءة، وكذلك في لبس القفازات والجواريب السوداء كصورة من صور الستر، ولعل ذلك يعبر عن الفكر الذي تحمله المرأة

(١) الجسد والنظرية الاجتماعية، كرس شلنج، تر: منى البحر ونجيب الحصادي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١،

٢٠٠٩ م، ٧٢ .

(٢) رواية غراميات شارع الأعشى ، ١٤٢-١٤٣ .

(٣) الأزياء الشعبية العربية - قواسم مشتركة-أزياء المرأة التقليدية في الإمارات رمز الهوية والأصالة، ١٩ .

(٤) ينظر: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ٤٨ .

السعودية،فهويةجسدها تخضع للمرجعيات الثقافية والدينية والرؤية الفكرية التي تدور حولها. فشكل
الملبس مرتبطبالفكرة التي يحملها الفرد من المجموعة التي ينتمي إليها^(١)، فطبيعة المجتمع الذي
تعيش فيه المرأة السعودية فرض عليها قوانين في شكل الملابس((ازدادت ظاهرة التسريل بالعباءات
الطويلة السوداء ولبس القفازات والجوارب السوداء في مدرسة مريم، وفي الباص أيضاً...وفي
الجامعة حيث درست مريم كانت العباءات أزياء خروج سوداء، ترتديها الطالبات من دون مبالاة،
كاشفة عن ألوان ملابسهن البهيجة، واليوم أصبحت العباءات طويلة ، ومغلقة بمشابك معدنية
كثيرة ، ... ذاك التسريل بالسواد جعل حضور النساء في المكان أشبه بصناديق سوداء تتحرك
على الأرض من دون ملامح، وفي المدرسة بالغ بعضهن بأن صرن يرتدين جوارب سوداء ،
وقفازات سوداء من باب التزيد بالتقوى والفضيلة))^(٢)، إذ كانت النساء تلتزم في ارتداء العباءة،
فهي تمثل مظهراً من مظاهر هوية المرأة الخليجية التي فرضتها عادات وتقاليد هذه المجتمعات.

وعلى الرغم من التطورات التي شهدتها معالم الحياة في الوقت الحاضر إلا أنّ المرأة ظلت
تحتضن ملامح هويتها الموروثة المتمثلة بمحافظتها على لبس العباءة فهي رمز الستر والاحتشام،
وهذا ما بينته الروائية نورة شهيل في روايتها (هنا تركت قلبي) عندما أوضحت موقف المجتمع تجاه
العباءة من خلال الحوار الذي دار بين (مريم) وصديقتها المصرية(مديحة) عن التزام المرأة
الخليجية فيلبس العباءة بعدها جزءاً من كيانها((مديحة: هل لبس العباءة ضروري لديكم؟

مريم : نعم هذه عادات وتقاليد متوارثة من الأجداد ، فالعباءة بالنسبة لنا رمز للستر والحشمة.

مديحة فقط أهل الشارقة يلبسونه؟

(١) ينظر: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ٥٩.

(٢) رواية الأرجوحة ، ٣٤ .

— حصة: لا كل النساء والفتيات في الإمارات يحرصن على لبسها ^(١) . يظهر النص مدى تمسك المرأة الخليجية بالعادات والتقاليد الاجتماعية، وعدّ الملابس المحتشمة رمزاً للّعفة والشرف.

ج- الشيلة:

من أبرز مايتصل بزي المرأة الخليجية هو لبس الشيلة، فهيمن زيٌّ شائعٌ في الخليج العربي، وتكون من القماش الرقيق وتتخذها النسوة لتغطية الشعر وستره ^(٢)، وغالباً ما تلتزم المرأة في لبسها معظم الوقت، وقد بينت ذلك الروائية هدى حمد في روايتها (سندريلات مسقط) عبر شخصية (أم عليا) التي مثلت أنموذجاً لهيئة المرأة الخليجية، فالشيلة مكمل لمظهر المرأة ، فهي ترتديها طوال اليوم ولا تنزعها، مما جعل ابنتها (عليا) تتساءل عن شكل أمها من دون شيلة، فهي لم تر شعر أمها أبداً، وقد حاولت الأم غرس هذه العادة عند ابنتها (عليا)، فهي تشدد على ضرورة ارتدائها للشيلة كلما انزاحت عن شعرها ((ولو قدر لي أن أرى أمي بدون شيلتها ، ربما لما عرفتُها بالتأكيد كانت ستبدو وكأنها امرأة أخرى، لهذا السبب ربما كانت أمي تنهرني كلما تدلّت شيلتي على كتفي)) ^(٣).

د- البخناق:

يعدّ البخنق من أنواع الزي الذي تشتهر بارتدائه الفتاة في دول الخليج، وهو غطاء للرأس يستر الشعر ويخفي ملامح الصدر و الجسد ((البُخْنُقُ خِرْقَةٌ تَلْبَسُهَا الْمَرْأَةُ فَتُغْطِي رَأْسَهَا مَا قَبْلَ مِنْهُ وَمَا دَبَرَ غَيْرِ وَسَطِ رَأْسِهَا وَقِيلَ هِيَ خِرْقَةٌ تَقَعُّ بِهَا وَتُخِيطُ طَرَفُهَا تَحْتَ حَنْكِهَا، وَالْبُخْنُقُ: بَرَقِعٌ يَغْشَى

(١) رواية هنا تركت قلبي ، ٦٨-٦٩ .

(٢) المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، رجب عبد الجواد إبراهيم ،تقديم محمود فهمي حجازي، راجعه عبد الهادي التازي،دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ٢٧٩ .

(٣) رواية سندريلات مسقط ، ١٣٥ .

العُنُقَ والصَّدْرَ))^(١)، وتحرص الفتاة البالغة في لبسه في داخل المنزل وخارجه، ويتجلى ذلك واضحاً في رواية (العريضة)، إذ حرصت (أم شريفة) على ابنتها (شريفة) لبس البخنق؛ لأن فيه يكتمل زي الفتاة الخليجية البالغة ((أصبحت تلبس البخنق داخل البيت وتضيفه على صدرها))^(٢)، فعندما تبلغ الفتاة تلتزم في لبسه داخل المنزل وخارجه ((عندما كانت شريفة في العاشرة من عمرها مرت عليها صويحاتها نادتها سويرة من وراء الجدار، وأرادت شريفة أن تخرج إليهن ، ولكن عليها أن تنهي مافيهها من عمل. نادتها سويرة : - شروف

- لبيه^(٣).

- غربلج^(٤) الله وش تسوين؟ وش لابسة؟

- بخنقي ، أمي عزمت علي ألبسه))^(٥).

هـ-الكندورة:

تمثل الكندورة جزءاً من الهوية الثقافية التراثية في الدول الخليجية لارتباطها بتراث هذه الشعوب، فهي ((رداء يرتديه الرجل أو المرأة، وهو الرداء الشعبي الرسمي في منطقة الخليج العربي، وقد تسمى الكندورة الدشداشة))^(٦).

وعلى الرغم من تطور الحياة إلا أن المرأة الخليجية ما زالت ترتديه، وخاصة في أيام المناسبات

١) ينظر: العين، الفراهيدي، ٤ / ٣٢٢، ولسان العرب، ١٠ / ١٣، تاج العروس، الزبيدي، ٢٥ / ٣٥ .

٢) رواية العريضة ، ١٠٩ .

٣) لبيه :لفظ يستخدم للرد على المناياويدل على الطاعة والاحترام، لهجتا المحلية، عائشة جمعة الرميثي، مراجعة الطبعة لولوة عيسى الحميدي، المراجعة اللغوية رائد الحلالة، الاتحاد النسائي العام ، ط٢، ٥٢ .

٤) غربلك الله: من عبارات الدعاء بالشر إلا أنها قد تقال بدون أن يقصد بها المعنى الحقيقي للعبارة م. ن، ٣٨.

٥) رواية العريضة، ١٠٥ .

٦) معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة، فالح حنظل ، وزارة الإعلام والثقافة، أبو ظبي، ١٩٧٧م

، ٥١٤ .

الفصل الثالث : هوية الجسد الأنثوي

والأعياد الوطنية، فتمسكها في لبس هذا الزي في المناسبات يدل على اعتزازها بالاحتفاظ على هويتها التراثية الشعبية المرتبطة ارتباطاً عميقاً بحضارة البلد؛ لذلك تؤكد (محبة) على أبنائها التمسك في ارتداء الأزياء القديمة ((- محبة : لم لم يلبس علي كندورة بدل القميص والبنطلون؟

- علي : هل هناك ملابس خاصة لهذا اليوم ؟

- محبة : نعم يا وليدي، فالأولاد يلبسون الدشاديش وبعضهم يلبس فوقها الصديري، والبنات يلبسون الثوب الزاهي الألوان والكناديرالتي تنافس أقمشتها الرائعة، ويزين الصدر والأكمام بالتلي^(١) أو الخوار^(٢))).^(٣)

و- الهفهاف:

تميزت المرأة الخليجية بارتدائها الهفهاف، وهو ثوب شفاف يرتدى فوق الملابس ويتصف بالاتساع يكون خفيفاً ومطرزاً بنقوش ذهبية عادة تكون رقبتة وأكمامه واسعة^(٤)، وبعدّ زي مهم بالنسبة بالنسبة للعروس الخليجية، وقد أظهرت الروائية جوخة الحارثي في روايتها (سيدات القمر)، ارتباطه بأزياء العروس الخليجية ، فهي لا تستغني عنه؛ لذلك نجد (سالمه) حرصت بأن يكون من ضمن جهاز ابنتها (أسماء)) (بسطة سالمه المشتريات أمامهنّ: أسماء وخولة وزوجة المؤذن وأرملة القاضي يوسف وأم ناصر وثلاث من الجارات، تسابقت الأيادي إلى تقليب الأقمشة الحريرية اللامعة التي ستحولها ميا لاحقاً إلى دشاديش مطرزة للعروس، وبادرت سالمه باستعراض

(١) التلي : هو الذي بضرب عليه التلي الأبيض مطرزة على شكل بتول متراصة، ووحدات مستقيمة وعمودية، مكونة من وحدات هندسة جميلة من التلي ،الأزياء الشعبية المشتركة أزياء المرأة التقليدية في الإمارات رمز الهوية والأصالة، ٢٥ .

(٢) الخوار: هو الثوب الذي يستخدم الزري في تطريزه ويكون على شكل مربع يتدلى منه التطريز بصورة عمودية، م . ن ، ٢٥ .

(٣) رواية هنا تركت قلبي ، ١٤٥ .

(٤) ينظر : المعجم العربي لأسماء الملابس، ٥١٧ .

الهفافة الخضراء المطرزة حوافها بورود ذهبية^(١).

ثانياً: وسائل التزيين:

يتصل بزي المرأة وسائل التزيين، فالمرأة منذ أن وجدت تميل إلى الاهتمام بمظهرها الخارجي، وتزيين جسدها وإظهاره بالصورة المثالية والأنيقة، لأنه يعد موطن هويتها الذاتية^(٢)، فمنذ القدم كانت تتجمل بأبسط ما كان متوفراً لديها من وسائل التجميل، وقد تعددت وسائل الزينة التي تستخدمها المرأة لإبراز أنوثتها، منها المصوغات الذهبية والكحلوالحناء والعطور، وغيرها.

أ- المصوغات الذهبية:

عدت المصوغات الذهبية وسيلة مهمة من وسائل الزينة لدى المرأة الخليجية، وهي مرتبطة بهوية المجتمع، فزينة الجسد وحليته^(٣) ((إنما هي تعابير مختلفة لمعاني من معانيه الخاصة أو معاني المجتمع المنعكسة فيه))^(٣).

وقد كشفت الروائية نورة شهيل في روايتها (هنا تركت قلبي) حرص المجتمع الخليجي على تزيين العروس بالمصوغات الذهبية، وتتنوع هذه المصوغات من قلادة وأساور وحلق وخواتم والطاسة التي تعد من أهم السلع الذهبية التي ترتديها العروس الخليجية على رأسها تتدلى منها سلاسل من الذهب بنقوشات مختلفة، فالطاسة ((هي طاقية مطرزة بالذهب محبوسة على الرأس، وهذه الطاقية تشبه في شكلها الطاسة أي الفنجان أو الطبق ولذلك سميت بهذا الاسم))^(٤)، وكذلك المرتعشة، وهي ((قلادة عريضة تلف العنق بأكمله وتتدلى منه قطع صغيرة وبأشكال مختلفة تحدث

(١) رواية سيدات القمر ، ١١٧.

(٢) ينظر: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، فريد الزاهي ، أفريقيا الشرق ، المغرب، ١٩٩٩م ، ٩٦ .

(٣) (فلسفة الجسد، جلال الدين سعيد، دار أمية للنشر، تونس، ط٢، ١٩٩٣م ، ٤٩ .

(٤) المعجم العربي لأسماء الملابس، ٢٩٧ .

بريقاً جميلاً ناتجاً من ارتعاشها خلال الحركة؛ ولذا سميت بالمرتعشة^(١)، والتزيين بهذا النوع من الذهب مستمد من التراث القديم المعبر عن هوية العروس الخليجية وخصوصيتها، فالتراث له دور هام في تشكيل الهوية؛ لأن ((التراث والهوية، عنصران متلازمان من عناصر الذات ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية))^(٢)، فعندما تزوجت (محبة) تزينت بالحلي ((بدأت النسوة في تزيين العروس وقد ألبسناها ثوباً زاهي الألوان وبدأت فاطمة تكسوها بالذهب فزينت معصمها بالمضاعد^(٣) وأصابعها الصغيرة بالمرامي والشاهد ثم طوقت جيدها بالمرتعشة ووضعت قرص الهيل على راسها، ثم زينت أصابع قدميها بالفتخ^(٤)، ووقفت المعقصة تكسو شعرها بالياس والمحلب والزعفران وتضع الطاسة الذهب على رأسها))^(٥)، إذ مثل الذهب جزءاً هاماً من هوية العروس الخليجية.

ب- الكحل:

يعد الكحل من أهم أدوات التزيين عند المرأة قديماً وحديثاً، فهو متداول منذ العهود الأولى؛ لذلك تغنى به الشعراء وعدوه جزءاً متمماً لهوية المرأة، فهذا جميل بثينة يصف الكحل ودوره في جذب القلب بقوله: ^(٦) الطويل

رَمَتْنِيْسُهُمْ، رِيْشُهُ الْكُحْلُ، لِمِيْضِرْظُوْا هِرْجُلْدِي، فَهَوْ فِي الْقَلْبِ جَارِحِي

(١) الذهب زينة وخزينة، فوزية عزت ، مجلة التراث، نادي تراث الإمارات، ع ١٣، ديسمبر، ١٩٩٩م، ٥١ .
(٢) التراث والهوية، عبد العزيز بن عثمان التويجري ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط ، ٢٠١١م ، ٢٠ .

(٣) المضاعد: أساور ذهبية مخصصة لليدين تكون ذات أحجام مختلفة ، الذهب زينة وخزينة، ٥٢ .

(٤) الفتخ : خواتم ذهبية مخصصة لإبهام القدمين اليمنى واليسرى ، م . ن ، ٥١ ،

(٥) رواية هنا تركت قلبي، ٢٠ .

(٦) ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ٦٨ .

الفصل الثالث : هوية الجسد الأنثوي

إذ يُعد الكحل منذ قديم الزمان وإلى يومنا هذا شكل من أشكال الزينة عند المرأة العربية ، وبما أن العيون أمضى أسلحة الجمال والجاذبية عند المرأة؛ لذلك اهتمت في إبرازها، فكان الكحل ولازال الوسيلة الأولى لإبراز جمال عينيها؛ لذلك لم تتنازل المرأة العربية عنه، فقال العرجي في تزيين المرأة بالكحل وعدم الاستغناء عنه إلى جانب الحناء والتطبيب بدهن العود : ^(١) البسيط

شُعْتُ عَطْلَنْ لَمْ يَغْرِ يَمْنُ كُحْلُ وَلَا خِضَابُ وَلَا غَسْلُ لَا دُهْنُ

ولم يقتصر الكحل فقط على المرأة وإنما استخدمه الرجال والأطفال كوسيلة تجميلية وعلاجية، و بعد استخدامه في البلدان الخليجية جزءاً مكملاً لهوية المرأة الخليجية، وهذا ما أظهرته الروائية مريم عبدالله القلاف في روايتها (فتاة من المقهى) عبر شخصية (أم أمل)، فعندما ذهبت (أم أمل) لعيد ميلاد أختها قامت بتكحيل عينيها، فهو من أدوات الزينة الملازمة لها في كل المناسبات ((دشيت غرفة أمي وشففتها وأهي تلبس أحلى دراعة عندها وتحط دهن العود والبخور وتتكلل ، كانت فرحتها من فرحتنا وخصوصاً إن احنا من زمان ما تيمعنا مع الأهل وفرحنا جدي)) ^(٢). فالكحل العربي يرتبط بزينة المرأة فلا تستغنى عنه.

ج- الحناء:

من وسائل التزيين الأخرى التي استخدمتها المرأة الخليجية الحناء، إذ حرصت على التزيين به من خلال تخضيب يديها وقدميها أو رسم النقوش التراثية عليهما، فهذه النقوش أبرزت هوية المرأة الخليجية، فكانت الحناء ولا تزال من مكونات الأساسية للمرأة الخليجية، فهي تضيف عليها جمالاً أنثوياً مميزاً، وقد أظهرت الروائية نورة ال سعد في روايتها (العريضة) أهمية الحناء وحضوره بوصفه وسيلة أساسية من وسائل الزينة في تجهيزات العروس في يوم زفافها، من خلال شخصية (شريفة)، ومن عادات هذه البلدان تقوم والددة الفتاة بتخضيب يدي العروس وقدميها بالحناء؛ لأن ((له

(١) ديوان العرجي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة ، ١٩٥٤ م، ٣٣٤.

(٢) رواية فتاة من المقهى ، ٢٣ . معاني الكلمات : دشيت: دخلت.

الفصل الثالث : هوية الجسد الأنثوي

دلالة وأهمية في منظور المجتمع القبلي نظراً لما تحمله هذه العملية من رمزية عميقة فهي دليل الفرح وبها تفتح أبواب الخير والإيراح ^(١)، لذلك كان التخصيب بالحناء مقترن بالمناسبات السعيدة ((جاءتها أم فارس ومشطتها بعد أن دهنت شعرها ووضعت الحناء في يديها ومسحت باطن قدميها . ثم دخلت عليها خالتها وقالت لها كلاماً عن البنت التي تكبر وتعرس وترزق بعيال ، وكيف أن تلك هي سنة الحياة))^(٢)

وقد بينت الروائية هنوف الحسينان في روايتها (التعساء) التخصيب بالحناء كصورة ملازمة لهوية الجسد الأنثوي في الخليج، إذ تقوم بتزيين يديها بالحناء لإبراز جاذبيتها من خلال لونها الأحمر المشع، فهو رمز لأنوثتها وعليه تكون الحناء علامة مميزة لهوية المرأة الخليجية، ويظهر ذلك في شخصية الجدة (إقبال) التي لا يفارق الحناء يديها، لما له من دور في تزيين يديها وإظهار جمالها إلى جانب لبس أساور الذهب التي تضيف بصوتها جاذبية للجسد الأنثوي ((تأمر جدتي العاملات بتنسيق سفرة الغداء ، ثم تأمر الخادمة بان تخرج القدر خارج المطبخ حتى لا تتصبغ ملابسها برائحته، تنثر الحشو كأنها تنثر وروداً على عروس، وتدسّ الدجاج بيديها المخضبتان بالحناء المطعمتان بأساور الذهب))^(٣)، يظهر هنا شدة تعلق المرأة بالحناء، فلا تكتمل زينة الجسد الأنثوي إلاّ به؛ لذلك حرصت على استخدامه في كل الأوقات.

د-العطور:

اهتمت المرأة الخليجية بتعطير جسدها، فهو أحد مظاهر أنوثتها وأناقتها، وقد تميزت بذوق خاص من العطور مثل عطر دهن العود والبخور، إذ شكلت هذه العطور دالاً هوياتياً تشترك فيها جميع النساء الخليجيات، فهي الأكثر استخداماً لديهن، فإعجابهن بهذه العطور يفوق إعجابهن

(١) طقوس الزواج وتقاليد منطقة أوزلاقن نموذجاً ، دراسة انثروبولوجية، عديلة عجبر، نسيمه باشا، رسالة ماجستير

في اللغة والأدب العربي ، جامعة عبد الرحمن ، ميرة - بجاية ، ٢٠١٤ م ، ٧٠.

(٢) رواية العريضة ، ٩٥ .

(٣) رواية التعساء ، ٢٦ .

بأي عطور أخرى، وقد أظهرت الروائية جوخة الحارثي في روايتها (سيدات القمر) من خلال نسيجها السردي أهم العطور التي تستخدمها العروس الخليجية منها دهن العود والبخور ((فتحت سالمه صندوق العطور : ضحكت زوجة المؤذن : أنت مهووسة بدهن العود يا سالمه، واحدة تكفي للعروس ! قالت سالمه بجديّة : كيف عروس بلا دهن العود ؟ شوفي البخور، اشتريت لها نوعين : حطب العود الأصلي الكمبودي وبخور صلالة، ...تمتعت أسماء : لكنّ البخور يخنقني يا أمي، لو اشتريت لي عطور زيادة بدلاً منه . قالت سالمه وهي تُخرج صندوق الذهب : اسكتي أنت ما تفهمي شيء، حدّ عروس تعرس بلا بخور ؟ هذي فضيحة))^(١)، فالتعطير بدهن العود من عادات المرأة الخليجية فقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً برائحة جسدها، وهذا ما أشارت إليه الروائية دلح المفتي في روايتها (رائحة التانغو) عندما شمت (زهرة) رائحة دهن العود في السوق وتذكرت الرائحة التي تفوح عند احتضانها لأُمها ((سرقته رائحة بخور وعود من محل العطورات في نهاية الشارع . اشتاقت لحضن أمها . لرائحة دهن العود التي اعتادت على شمّها في صدرها))^(٢).

إنّ يشكّل صفة ملازمة لهوية المرأة الخليجية، وقد أظهرت ذلك الروائية مريم عبد الله عصام في روايتها (لم تنتهي بعد) من خلال جلسات النساء، فلا يخلو المنزل من رائحتها ((جالسة نورة بين النساء في أحد المجالس الخاصة بالنساء مع أم زوجها وحمواتها والكثير من النساء التي تقربهن... رائحة الطيب والعود ولأحاديث الجانبية ملأت المكان))^(٣).

فهذه العطور تعدّ جزءاً من ثقافة هذه البلدان وسمة من سمات هوية الجسد الأنثوي الخليجي، وهذا ما بينته الروائية نورة شهيل في روايتها (هنا تركت قلبي) من خلال شخصية (محبة) التي تفوح منها رائحة البخور ودهن العود، فأظهرت الروائية من خلال شخصية (محبة) الصفة الملازمة لهوية الجسد الأنثوي الخليجي، إنّ طغت هذه العطور على رائحتها، وعدّتها (محبة) مادة أساسية

(١) رواية سيدات القمر ، ١١٧ - ١١٨ .

(٢) رواية رائحة التانغو ، ٤٠ .

(٣) رواية لم تنتهي بعد، مريم عصام عبد الله، دار دريم بوك، الكويت، ٢٠١٩م، ٤٥ .

لطهارة الجسد؛ لذلك تنطيببها عندما تصلي، وهذا ما أكدته ابنها (أحمد) عندما قال أن رائحة أمه (محبة) تظل عالقة في السجادة بعد صلاتها، وكذلك ما أكدت صديقتها (أم سيف) عندما وصفت رائحتها العالقة في سماعة الهاتف، وهذا يدل على تميز المرأة الخليجية باستخدام العطور التي تفوح منها رائحة قوية ((تهللت أسارير سلطان بمجرد دخوله إلى البيت فقال : ما شاء الله ، ما شاء الله ، شغل عدل، ما هذه الرائحة الطيبة ذكرتني بالعيد . أخفت محبة ابتسامتها وردت بجفاف : الحمد لله بيتنا دائماً طيب الرائحة ، فالمرش الذي خلط فيه ماء الورد والعود والدخون يلزم أجواء المنزل كالمعتاد سلطان : الله يطول عمره ، ماشاء الله يا أم عبدالله اليوم داقه بالحيل كله .

محبة : مامن جديد ، الحمد لله أنا دائماً أنيقة ، والكل يشهد بذلك .

دخل أحمد ضاحكاً فقال : وأنا أشهد ، أمي معروفة بالذوق والأناقة حتى السجادة التي تصلي

عليها تفوح منها رائحة طيبتها ، أم سيف دائماً تقول لي ماشاء الله على عمتي عندما أتحدث

بالحاتف بعدها تعلق رائحتها الذكية بأذني))^(١).

وتعد جلسات الشتاء من الزيارات المحببة لدى النساء، فهي لا تخلو من البخور، إذ يعد البخور من أهم العطور عند المرأة في جلسات السمر ((تدعو أمي جاراتها من أجل قهوة الموقد الشتائي، فيتخلقن حوله، بينما ينفث الجمر دفته ورائحته في المكان ، ترمي أمي ، حين تزورها جاراتها قطعة من البخور في الجمر فتفوح في المنزل كله رائحة شذية مميزة))^(٢)، فالنساء الخليجيات يعشقن البخور وبعده من أهم مظاهر الحفاوة بالضيف، فهو مظهر من مظاهر التعبير عن هويتها كأنثى لذلك لا تستغني عنه وتستخدمه لتبخير الجسد والملابس والمنزل والضيوف، فالبخور الذي يفوح من كل بيت خليجي هو رمز من رموز الانتماء الثقافي وتوحد الهوية.

(١) رواية هنا تركت قلبي ، ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) رواية غراميات شارع الأعشى ، ٩١ .

وكذلك قدمت الروائية علياء الكاظمي في روايتها (جوهرة) من خلال نصها السردي أهم مزايا المرأة الخليجية واهتمامها المفرط بالبخور بما يمتلكه من دلالات تكشف عن طبيعة هذه المجتمعات وهويتها، فبرزت من خلال شخصية (فضة) العلاقة المتلازمة بين اعتناء المرأة بنفسها واعتنائها بزوجها من خلال اهتمامها بتعطيره بالبخور؛ لأن الرجل يمثل جانب مكمل لأنوثة المرأة وأناقته إذ ((يظهر الرجل بعده مكملًا لمقتضيات الأنوثة، فهو رفيق الدرب الذي يغذي معنى الأنوثة لدى المرأة))^(١)، فتعطير (فضة) لزوجها بالبخور هو جزء من نسيج المجتمع الخليجي لما للبخور من دور فعال في خلق أجواء وجدانية وعاطفية بين الزوجين ((بدأت فضة جميلة بثوبها المنزلي الزاهي وشعرها المصفف بعناية والمبخر المذهب الذي تحمله بيديها ، كان وليد يرتدي ملابس ليخرج للمكتب، التفت لها لتبخره ، نظر إليها بحنان ، تلقت هي نظرتة بوله، فهي تشناق له حتى وهي في حضرته، ربت على شعرها برقة وهمس لها : لن أتأخر على العشاء ضحكت بخجل : جيد، سأكون في انتظارك . قبل جبينها قبل أن يخرج فودعته بدعوة صادقة : ليحفظك الله حبيبي . خرج من الغرفة فتنهدت، تركت المبخر على الطاولة وفتحت باب غرفتها لتفوح رائحة الطيب القوية خارجها))^(٢).

ثالثاً: تحولات المرأة الخليجية

تعددت وسائل التزيين عند المرأة ومع تطور الحياة تطورت هذه الوسائل، وقد بينت الروائية نورة شهيل في روايتها (هنا تركت قلبي) وسائل التزيين الحديثة في زفاف (حصة)، إذ كشفت من خلال هذا المشهد الروائي هوية الجسد الأنثوي، وما يحمله من سمات ثقافية تمثلت باختلاف وسائل التزيين مع تطور الحياة، فكل من (حصة ومحبة) يحملان هوية حقبة زمنية تختلف كل منهما عن الأخرى، إذ مثلت شخصية (محبة) هوية المرأة الشعبية التي تتعطر وتزين بالحناء والديرموالزعفران والياس والمحلب، وترتدي الملابس الملونة الزاهية، بينما مثلت (حصة)

(١) الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة، ٣٧ .

(٢) رواية جوهرة ، ١٤٨ .

هوية المرأة المتحضرة التي تستخدم مساحيق التجميل وأحمر الشفاه وارتداء الفستان الأبيضوالإكليل لتعبير عن الموضة ((كانت المصاييح تتراقص فوق الوارش نزولاً إلى جدار البيت وكأنها تدعو الأحبة للمشاركة، بينما جلست حصة كالأميرة بفستانها الأبيض وشعرها الأسود الذي رفع بعناية شديدة وبذوق عالٍ سلمت يداك يا منى قالت حصة وهي تربت على يد منى فابتسمت وقبلتها على خدها: ألف ألف مبروك يا حبيبتي، هل أعجبتك التسريحة ؟ لقد شاهدتها في فيلم سعاد حسني الجديد وأعجبتني، تبدو مناسبة لك لقد زدتها جمالاً . ابتسمت حصة في خجل وأردفت : لون الحمرة جميل إنها المرة الأولى التي أضع فيها مساحيق التجميل على وجهي ، أذكر عندما كنت أذهب مع أمي سوق الحريم أنظر بطرف عيني للديرم والكحل وأدوات الزينة التي تشتريها النساء، وأخجل حتى من لمسها . ضحكت منى ورتبت طرحتها ثم وقفت تنظر إليها بإعجاب : ماشاءالله تبارك الله))^(١)، نلاحظ إن أدوات التزيين اتصلت اتصالاً مباشراً بالمخزون الثقافي للزمن وللمجتمع الحاضر له، فكل زمن له ثقافته تميزه عن الزمن الذي سبقه وباختلاف الأزمان اختلفت الثقافات ((فكلما تغيرت النظرة الثقافية تغير إدراكنا للجسد، وتحول إلى مفهوم آخر))^(٢)، فالمرحلة الزمنية والمكانية أثر كبير في تحديد هوية (محبة) العروس التقليدية و (حصة) العروس المتحضرة، وهذا ما أظهرته شخصية (محبة) عندما أوضحت الفرق بين مراسيم زواجها وبين زواج (حصة)، فالبنية التقليدية والعادات الاجتماعية قد هيمنت على أساليب التزيين في عروس الزمن الماضي بينما العروس في الوقت الحاضر قد تدخل في تزيينها مظاهر الموضة ((يا ابنتي كم جرى بنا الزمان سريعاً لأراك عروساً بهذا الجمال ، كنت أتمنى أن أراك بالملابس التقليدية للعروس ولكن الموضة كما تقولون ههههه . منى : كيف كنتم تجهزون العروس يا خالتي . محبة : هيه يا ابنتي كانت العروس تحجب عن الناس فلا يراها سوى أهلها وفي هذه الفترة تقوم أمها أو إحدى قريباتها بدهن جسمها بالنيل الأزرق وتغطي بشيلة النيلة ، ويدهن الوجه بالورس

(١) رواية هنا تركت قلبي ، ٧٨-٧٩.

(٢) خطاب الجسد في رواية الرعشة أنموذجاً لأمين الزاوي ، ديهيتوتابيتيوشانز عروي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وأدب العربي ، جامعة عبد الرحمن، ٢٠١٥م ، ٣٦ .

، ويوم عرسها يوضع في شعرها البضاعة والياس . وتعمل لها تسريحة الشونغى ، وقبل العرس بيوم تحنى العروس في قدميها ويديها وقصعة أو تخط بعض النقوش كالهلال مثلا بعود الملبج وتلبس العروس الثوب المزريوالكندورة المزينة بالتلي ، والسروال أبو بادل و وتلبس البرقع والشيلة المزراية أو الخوص ، والعباية السويعية ويزين رسغها بأبو الشوك ويوضع الدلال على رأسها وأحياناً الطاسة. وتوضع الكواشي في أذنيها ، ويزين صدرها بالمرتعشة والمريّة، وإن كانت من عائلة ميسورة تضع الحقب على خصرها، وطبعاً قبل العرس بيوم تنقل الزهرة إلى بيتها عصراً في جو غنائي حافل بالبهجة ، ويوضع جهاز العروس في صندوق أو حقائب تحملها النساء ويطوفون في الفريج للمباهاة ، وعندما يصل الموكب إلى بيت العروس تستقبل أم العروس الضيوف وترتفع الأصوات بالبريكات والصلاة على النبي والدعاء للعروسين ويسمي هذا اليوم بيوم المكسار ((^(١).

وينبغي الاعتراف بأن هوية المرأة في الآونة الأخيرة قد تعرضت إلى تحولات في المظهر الخارجي ظل التطورات التي ظهرت معالمها في مختلف مسارات الحياة، إذ بدأت المرأة الخليجية تلجأ إلى عمليات التجميل بكثرة ، وفهم الأسباب التي أدت إلى ذلك لابدّ من فهم طبيعة النظرة نحو المرأة في هذه البلدان، فلما كانت النظرة للمرأة تركز على مظهرها الخارجي دون الاهتمام بجوهرها ووجودها الذاتي، أدى ذلك بها إلى اللجوء لعمليات التجميل كي تعزز من قيمتها الهوياتية عند الرجل وتثبت وجودها أمام الآخرين من خلال التجميل، فالعنصر الجمالي يكسبها امتياز القوة والحضور في مجتمع يقلل من قيمتها، ففي الواقع أن رغبة الرجل الخليجي بجمال المرأة هي رغبة يملئها الواقع الخليجي المهووس بعمليات التجميل، لذلك أقبلت المرأة على عمليات التجميل؛ لأنها أرادت أن تؤكد حضورها وتحقق وجودها من خلال إظهار الصورة الجمالية لجسدها وإيصالها

(١) رواية هنا تركت قلبي، ٧٩-٨٠ .

للآخرين)) فالشعور بالجمال أرقى مما تحضى به النفس في هذه الحياة ((^(١)، وهذا ما عبرت عنه الروائية علياء الكاظمي في روايتها (سرقوا أيام عمري)، إذ قدمت صورة واضحة عن اهتمام المرأة الخليجية بالعمليات التجميلية، حيثبات التجميل هوس كثير من النساء في هذه المجتمعات، وقد نال الوجه اهتمام المرأة بالتجميل ((فالوجه كما هو معروف صورة الكائن وموطن هويته الفردية وتميزه الفيزيقي))^(٢)، ويبدو ذلك واضحاً في شخصية (ميساء) التي تستخدم مساحيق التجميل والرموش وصبغ الشعر وحقن الشفاه والخدود، ولعل ذلك يعود إلى هوية مجتمع يبحث عن الجمال من خلال اهتمامه بشكل الجسد أكثر من اهتمامه بالقيمة الروحية للجسد ((كانت ميساء جميلة لكنه جمال صناعي فعلى جفניה استقرت رموش صناعية كثيفة وعلى وجهها ألوان كثيرة من مساحيق التجميل التي لم تكن أمي تحبها أبداً بدت شفيتها منتفختين جداً وكذلك كان خديها وعلى طرف أنفها أثر واضح لعملية جراحية لا بد أنها أجرتها لتجميله . رفعت ميساء يديها فشددت أظفارها الطويلة انتباهي تساءلت بداخلي إن كانت أظفارها حقيقية أم صناعية ككل شيء فيها حتى شعرها كان مصبوغاً بالأشقر ولونه الأسود الحقيقي ظاهراً عند مفرق رأسها))^(٣)، وغالباً ما تخلق عمليات التجميل صورة مزيفة وخادعة للمرأة الخليجية، فشخصية (ميساء) التي واكبت الموضة، أثر ذلك على شكلها، فتسببت عمليات التجميل وأبر الحقن في تغيير ملامحها وتشوه وجهها ((كانت ميساء متصابية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى شعرها الذي صار خفيفاً مصبوغاً بالأشقر الفاقع المزعج والذي لم يعد يناسبها بتاتا وجهها منفوخ أكثر من اللازم تبا لحقن التجميل التي باتت تشوه الوجوه بهذه الطريقة البشعة ! ثيابها ضيقة جداً ولا تليق

(١) المدخل إلى فلسفة الجمال ، محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية، مصطفى عبده ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ٢،

١٩٩٩م ، ٦٨ .

(٢) الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، ٩٧ .

(٣) رواية سرقوا أيام عمري ، ٢١ .

بعمرها أبدا ((^(١).

ولعلنا نرى أنّ هوية المرأة الخليجية تتوارى خلف إبراز مظهرها الجمالي الناتج من عدم ثقنها بنفسها في ظل قيمتها المفقودة وحضورها المغيّب بوصفها فرداً؛ لذلك أصبحت عمليات التجميل جزءاً ضرورياً لديها الأمر الذي أدى إلى تشتت هويتها بفعل التشوهات التي أنتجتها عمليات التجميل، وهذا ما أشارت إليها الروائية علياء الكاظمي في روايتها (جوهرة) من خلال شخصية (أم عذاري) التي استخدمت أبر التجميل ومساحيق المكياج بكثرة، فأفقدتها ذلك صورتها كأنثى لتحولها إلى أشبه بمهرج ((بدأت أم عذاري منتفخة الوجه والشفاه بفعل إبر التجميل التي شوهت الكثيرات، كان شعرها مصبوغاً باللون الأشقر والخصل الثلجية الفاتحة ، وبدأت من كثرة المساحيق والألوان في وجهها أشبه بمهرج في سيرك ((^(٢).

وفي بعض الأحيان تكون الأسباب التي تدفع النساء إلى اللجوء إلى التجميل هو الشعور بالنقص الذي يسكن دواخل النفس بسبب النظرة القاسية من قبل الآخرين، وهذا ما جسده الروائية هدى حمد في روايتها (سندريلات مسقط) من خلال شخصية (فتحية) التي تشعر بالدونية بسبب بشاعة مظهرها مقارنة بجمال أخواتها الثلاث (غنيمة ونعيمة وحمدة)، فسمنة (فتحية) وسمار بشرتها أثر على نفسيتهما، فولد لديها هوية منكسرة ناتجة من نظرة السخرية التي تراها من الآخرين؛ لذلك حاولت أن تغير هذه النظرة بتغيير شكلها الخارجي، فلجأت إلى عمليات التجميل بوصفها جسر عبور لهوية جديدة واثقة من جمالها أمام الآخرين ((تبدلت أشياء كثيرة في البطة القبيحة ، فلم أعد بحاجة إلى أن أشفط بطني إلى الداخل ، بعد أن فعل طبيب لبناني شاطر ذلك نيابة عني ، ولم أعد أخجل من سمرتي ، فهناك العديد من الجلسات التجميلية الأسبوعية ، جعلت من لوني بديعاً ومواكباً للموضة))^(٣)، وقد حاولت (فتحية) أن تمحي كل ما يذكرها بشكلها

(١) سرقوا أيام عمري، ١٨٩ .

(٢) رواية جوهرة ، ٢٤٦ .

(٣) رواية سندريلات مسقط ، ٤١ .

القديم الذي يسبب لها التوتر قبل إجراءات التجميل؛ لذلك طلبت من والدتها إخفاء الصورة المعلقة على الجدار التي تضم صورة أفراد العائلة ومن ضمنهم صورتها قبل التجميل ((أتمنى إخفاء الصورة الموجودة على مدخل الصالون))^(١).

وقد عبرت الروائية الكويتية موضي الرحال في روايتها (المغيسل) عن تفاخر المرأة الخليجية بأنافتها وجمالها وتباهيها بارتدائها أعلى الماركات ويتمثل ذلك في شخصية (أم فارس) التي تسعى أن تكون أصغر من سنها من خلال نفخ الوجه وعمليات التجميل المبالغ بها وارتداء أفخم الأقمشة المستوردة من أعلى المحلات ((تدخل للمركز بهدوء أنافة مبالغ بها ممثلة الوجه لم يكن لنهاية الأربعين أثر مع العمليات المتلاحقة والمساحيق الكثيفة الساعة والحقيبة المستوردة والعباءة الممهورة بتوقيع أفخم المحلات في دبي الحذاء المرتفع بشكل مبالغ والبخور الممزوج بعطر فرنسي))^(٢).

نرى مما تقدم أن هوية المرأة الخليجية واقعة بين نظامين القيم الشعبية المتمثلة بالبدواة وقيم التطور الحضاري، إذسعت هذه المجتمعات إلى تأصيل هويتها العربية من خلال التمسك بالموروثات القديمة التي تعبر عن ثقافتها المرتبطة بهويتها ((فالتراث الشعبي يتوسط ما بين الثقافة والهوية، فهو يستمد من الثقافة أشكاله ومعانيه، فتستمد الهوية منه حدودها ومضامينها))^(٣)،

وقد حاولت الكاتبة الخليجية أن تظهر جسد المرأة وكل ما يتعلق به، فهوية الجسد الأنثوي الطاهر المعطر بعطور البخور ودهن العود ، والمغطى بالعباءة والبرقع، لم تنفصل عن طبيعة المجتمع وعاداته. كما صورت الجسد المدنس الذي تخلى عن حشمته وراح يلهث خلف الإغراء وعمليات التجميل التي شوهدت شكله، فضاعت هويته.

(١) رواية سندريلات مسقط، ٤١ .

(٢) رواية المغيسل، ٧٧ .

(٣) دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ١٠ .

الخلاصة

الخاتمة

بعدهذه الرحلة الطويلة في البحث عن الهوية في الرواية النسوية الخليجية ، لا بدّ من ذكرأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة :

- اهتم النص الروائي النسوي الخليجي بصياغة أنساق المجتمع وأبعاده ، وقيمه على غرار طبيعة مرجعيات المجتمع الخليجي، فكانت الرواية راصدة لتطورات المجتمع وصراعاته، بما قدمته من صورة مقارنة لأيديولوجية المجتمع والتغيرات الحاصلة في الوضع السياسي والاجتماعي والديني في الدول الخليجية .
- جاءت أكثر الروايات منصبة حول موضوعات مجتمعية يتصدرها مضمون المرأة وعلاقتها بالآخر ، والذي غالباً ما يكون هذا الآخر إما اباً او اخاً او زوجاً مضطهداً وقاسياً .
- جسدت الرواية النسوية الخليجية ثنائية الذكورة والأنوثة عبر مجموعة من الرؤى والأفكار التي تترجم الواقع الخليجي .
- الموضوعات السياسية التي تبنتها الرواية النسوية الخليجية لم تتناول بلدان الكاتبات ، فكان المضمون السياسي منصباً محصوراً في القضايا العربية ، او تناول مضمون سياسي تاريخي حدث في الخليج .
- ظلت الرؤية الفكرية للمضمون السياسي بعيدة في ان يندمج بها المضمون الروائي ، إذ ظلت الرؤية من الخارج لذلك عجزت الروايات التي تناولت هذا المضمون في كشف كل ابعاده .
- جاءت صورة الرجل في الرواية الخليجية ، يمثل سلطة مركزية ، إذ غالباً ما يكون هو المتسلط والقاهر والظالم .
- شغل موضوع المرأة مساحة واسعة في السرد النسوي الخليجي بصفتها شخصية رئيسة لها الدور الفاعل والمركزي في سير الأحداث، ولعلّ السبب في ذلك النظرة الدونية

للمرأة في هذه المجتمعات التي أحدثت تراكمًا لدى الروائيات الخليجيات ، فأردن من ذلك قلب نسق تهميش المرأة المستقر في ذهن المجتمع الخليجي .

- اهتمت الرواية النسوية بعوالم المنبوذين في المجتمعات الخليجية ، اذ كان تضبيب وتشنيت مسألة الهوية لدى فئات غير قليلة في هذه المجتمعات وكشف المعايير العنصرية التي تتعامل بها هذه المجتمعات مع بعض الفئات وصراعات اللاهوية المتولدة من علاقة الآخرين بهم على المستوى الاقليات العرقية من خلال التميز على اساس اللون (أصحاب البشرة السوداء) ، والأقليات الاجتماعية تجاه اللقطاء مجهولي النسب، وعلى المستوى الذي خلفته الأنظمة السياسية بعدم الاعتراف بمواطنة فئة البدون، وعلى المستوى الفردي الناتجة من العلاقة الموترة بين احساس الشخصية بازواجية الانتماء الجنسي، فقد ذلك إلى غياب الشعور بالهوية .
- تناولت الرواية النسوية الخليجية الصراعات الدينية المتوارية خلف مرجعيات قد يكون بعضها لا صلة له بالدين ولا تتوافق مع تعاليمه، وانعكاسها السلبي في تأزم الهوية .
- قدمت الرواية النسوية الخليجية وصفاً فاعلاً للحاضنة الاجتماعية المتمثلة بالعادات والتقاليد الموروثة التي كان لها دور كبير في تشكيل الهوية الخليجية .
- دافعت الروائية الخليجية عن الجسد الأنثوي، فعند تناولها للجسد المدنس حاولت أن تبين الأسباب التي أدت إلى هذا التدنيس مبينة أنه جاء معادلاً موضوعياً لنمطية النظرة السلبية التي تبناها المجتمع حول الجسد الأنثوي .
- أن الهوية في الرواية النسوية الخليجية جاءت متأثرة بمجموعة من الأبعاد التي بلورت الهوية الجماعية ، وهذه الأبعاد مرتبطة مع بعضها بعضاً وتمثلة بالسلطة السياسية التي تعكس سلطة القوة السياسية المؤثرة على كينونة الفرد ووجوده ، وكذلك السلطة الدينية التي تبين التفاعل الحاصل بين الفرد ومبادئ الدين والمعتقدات الدخيلة على الدين التي أثارت على سلوك الفرد وتوجهاته في الحياة ومنظومة الأعراف والعادات والتقاليد التي قيدت حرية الأشخاص. وبذلك أكدت الرواية أن لا يمكن لهوية الفرد أن تستقل بذاتها وإنما هي منصهرة بالظروف والصراعات المحيطة بها .

- حاولت الرواية النسوية الخليجية أن تستعيد قيمة الجسد الأنثوي من خلال تفويضها النظرة الدونية له، فكانت ملامح هذا الجسد تتراوح بين مقدس حافظ على طهارته، ومدنس تأثر برؤية المجتمع له والتي ألقت بظلالها على علاقة المرأة بجسدها، وهي بين هذا وذاك تريد أن تثبت أن قيمة المرأة لا يمكن أن ترد على أن المرأة جسد فحسب.
 - دافعت الروائية الخليجية عن الجسد الأنثوي، فعند تناولها للجسد المدنس حاولت أن تبين الأسباب التي أدت إلى هذا التدنيس مبينة أنه جاء معادلاً موضوعياً لنمطية النظرة السلبية التي تبناها المجتمع حول الجسد الأنثوي .
 - تمكنت الرواية النسوية من كشف أنساق العنف ومستوياته، وأسبابه، عن طريق معالجة النصوص السردية بشكل دقيق لخبايا ذلك المجتمع الذي لا يؤمن بحرية الرأي والفكر وكيان المرأة، فكان أداة مهمة في إعاقة بناء هويتها الأنثوية .
 - لقد شغل اهتمام المرأة بمظهرها الخارجي حيزاً كبيراً، فهي تهتم بتزيين نفسها بأزيائها وعطورها وارتدائها المصوغات الذهبية، وذلك يعود إلى مسارين الأولهما الترف المادي الذي تحظى به المرأة الخليجية، أما المسار الآخر جاء معبراً عن واقع المرأة في هذه المجتمعات، فهي تتوارى خلف إبراز مظهرها الجمالي ضعفاً وعدم ثقتها بنفسها في ظل كيانها المفقود ووجودها المغيب بوصفها كائناً هامشياً.
 - سخرت الكاتبة الخليجية كل ما يمكن أن يميز المرأة الخليجية بدءاً من الأزياء والعطور والحناء والاكسسوار ومثل ذلك رسداً لهوية المرأة .
 - إن نظرة المجتمع الدونية للمرأة، جعلتها تلهث وراء عمليات التجميل، مما أدى ذلك إلى خلق هوية قلقة ومضطربة لديها تتعارض مع صورة المرأة العربية الواثقة بنفسها .
- هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة آمل أن أكون قد وفقت في توضيحها .
- ومن الله التوفيق والسداد .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

أولاً - الروايات

- الأرجوحة، بدرية البشر، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠١٠م.
- اعوجاج غصن، بدرية العامر، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٤٠هـ.
- امرأة عادية ثرثرة عارية، هنوف الجاسر، دار كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠١٤م.
- بيننا أنثى، رنده العماني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٣م .
- التعساء، هنوف الحسينان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
- تمنيتك ، فاطمة البحراني، دار روزا للنشر، قطر - الدوحة، ط٢، ٢٠١٩م.
- ثؤلؤل ، ميس خالد العثمان، دار العين للنشر ، القاهرة ، ط١، ٢٠١٦م.
- الجارية، منيرة سوار، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.
- جوهرة، علياء الكاظمي ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط١٠، ٢٠١٧م.
- حدائقهن المعلقة، نجمة إدريس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٩م.
- حياتان لأنثى واحدة، حنان عبد اللطيف الخطابي، دار ملهمون للنشر والتوزيع ، تركيا ، ط١، ٢٠١٨م.
- الحياة كما هي، ظبية خميس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- دم فاسد، نورة محمد، قنديل للطباعة والنشر، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٥م.
- ذات فقد، أنثى عبدالله النشمي، دار الفارابي، بيروت- لبنان ، ط١ ، ٢٠١٦م.
- رائحة التانغو، دلع المفتي، دار مدارك للنشر، الإمارات العربية المتحدة، ط١ ، ٢٠١٥م.

- روضة أزهار الياسمين-النورهان، شمة الكواري، الشركة الحديثة للطباعة، الدوحة - قطر، ط ١، ٢٠١٤م .
- سجين الجسد، سحر سمير بحراوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢ ، ٢٠١٤م.
- سرقوا أيام عمري، علياء الكاظمي ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط ٢٦ ، ٢٠١٩م.
- سلام النهار، فوزية السالم، دار العين، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م .
- سندريلات مسقط ، هدى حمد، دار الآداب، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٦م .
- سيدات القمر، جوخة الحارثي، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
- ظل هيرما فروديتوس ، بدرية البدري، دار عرب للنشر والترجمة، ط ١، ٢٠١٨م.
- العبور الأخير، بدرية البدري، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٧م.
- عتمة الذاكرة، أنير عبد الله النشومي، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط ٢ ، ٢٠١٦م.
- العريضة، نورة آل السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.
- غراميات شارع الأعشى، بدرية البشر، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٣م.
- فتاة من المقهى، مريم عبدالله القلاف ، ذات السلاسل، الكويت ، ط ٤ ، ٢٠١٨م.
- كبرت ونسيت أن أنسى، بثينة العيسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان ، ط ٢٠، ٢٠١٨م.
- لأنني أسود ، سعداء الدعاس ، الكويت، ط ١ ، ٢٠١٠م.
- لم تنتهي بعد، مريم عصام عبد الله، دار دريم بوك، الكويت، ٢٠١٩م.
- ليس ذنبي "صرخة أنثى" ، إسراء موسى كاكولي، دار كلمات للنشر والتوزيع ، الكويت، ط ١ ، ٢٠١٦م .
- ما وراء الفقد ، بدرية البدري، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان- مسقط، ط ١، ٢٠١٥م.
- مقهى نساء ضائعات، سمية تيشة، دار سما للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠١٤م.
- المغيسل، موزي رحال، نوفابلس للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٤م.
- هنا تركت قلبي، نورة شهيل ، دار ملهمون للنشر والتوزيع، الشارقة، ط ١، ٢٠١٨م.
- وسادة لحبك، زينب حنفي، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط ١ ، ٢٠١١م .

ثانياً: الكتب:

- إبداعات قطرية، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، دار الكتب القطرية، الدوحة، ١٩٩٦م.
- الأدب من الداخل ، جور طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠ م .
- إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، ماجدة حمود، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٣م.
- أصل واحد وصور كثيرة، ثقافة العنف ضد المرأة في لبنان، فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢ م.
- الاغتراب- التمرد- قلق المستقبل، إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.
- أمام القنديل- حوارات في الكتابة الروائية، فهد حسين، مملكة البحرين وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني، ط١، ٢٠٠٨ م .
- الإنسان والسلطة- إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية ، حسين الصديق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠١ م .
- بعيداً عن الظل _ التجربة النسوية في منطقة الخليج العربية، فهد حسين، مملكة البحرين وزارة الثقافة والتراث الوطني، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.
- بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده ، يوسف شُلُحْد، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطلعة للطباعة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- بول ريכול الهوية والسرد، حاتم الورقلي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، تح : ضاحي عبد الباقي، مراجعة : عبد اللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ٢٠٠١م.
- تاريخ قطر المعاصر، مفيد الزبيدي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.

- التأويل والحقيقة - قراءات تأويلية في الثقافة العربية، علي حرب، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧ م .
- التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، مصطفى حجازي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥ م.
- التراث والهوية، عبد العزيز بن عثمان التويجري، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط ، ٢٠١١ م .
- تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، رشاد عبد الله الشامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣ م .
- تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، محمد عبد الحسين هويدي، دار الرافدين-بيروت، ط١، ٢٠١٨ م .
- الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩ م.
- الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت - لبنان، ط٤، ٢٠١٤ م.
- الجسد في الرواية الإماراتية، رسول محمد رسول، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠ م.
- الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، فريد الزاهي، أفريقيا الشرق، المغرب ، ١٩٩٩ م .
- الجسد والنظرية الاجتماعية، كرس شلنج، تر: منى البحر ونجيب الحصادي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠٠٩ م.
- الحداثة والهوية سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة، عبدالله حمودي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥ م.
- الحركة النسوية، سوزان ألس واتكنز وآخرون، تر: جمال الجزيري، مراجعة: شيرين أبو النجا، إشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٥ م .
- الخدمة الاجتماعية ورعاية الشباب في المجتمعات الإسلامية، محمد سلامة غباري ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط٢ ، ١٩٨٩ م.

- دراسات في الثقافة والتراث والهوية، شريف كناعنه، تح: مصلىح كناعنه، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية رام الله فلسطين، ٢٠١١م.
- دراسات في الواقعية الأوربية، جورج لوكانش، تر: أمير اسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٧٣م.
- دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٤ م.
- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع، إشراف وتقديم : الحاج دواق، سلسلة ملفات بحثية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، الجزائر ، ٢٠١٦م.
- ديوان جميل بثنينة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٨٢ .
- ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٩٦ م .
- ديوان العرجي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة ، ١٩٥٤ م.
- الذات الأنثوية من خلال شاعرات حداثيات في الخليج العربي - دراسة في النقد الأدبي النسائي، طيبة خميس، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط١، ١٩٩٧ م .
- الذات عينها كآخر، بول ريكور، تر: جورج زيناتي ، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- الذاكرة الحضارية- الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، يان أسمن، تر: عبد الحليم عبد الغنى رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- الذاكرة والهوية ، جويل كاندو ، تر: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق ، ط١، ٢٠٠٩ م .
- الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية ، فارس توفيق البيل ، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠١٦ م .

- الرواية السياسية -دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، أحمد محمد عطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨١م.
- الرواية العربية ما بعد الحداثة - تقويض المركز -الجسد-تخطيط السرديات الكبرى ، د.ماجدة هاتو هاشم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣م .
- الريف في الرواية العربية، محمد حسن عبد الله، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.
- الزمن في الرواية العربية ، مها حسن القصاروي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٤م .
- الزمن والسرد - الزمان المروي، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، مراجعة: جورج زينات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١ ، ٢٠٠٦م.
- سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركيه السرد الانثوي وتجربة المعنى، الأخضر بن سايح، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١ ، ٢٠١١م.
- السرد الخليجي النسوي _ المرأة في الرواية أنموذجاً، فهد حسين، المكتبة الوطنية، الكويت، ط ١ ، ٢٠١٦م .
- السرد النسوي-الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١ ، ٢٠١١م .
- السرد والاعتراف والهوية، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط ١ ، ٢٠١١م.
- السرد والهوية دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تحرير : جينز بروكمييرودونال كرو ، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١ ، ٢٠١٥م.
- السلطة السياسية في نظرية الدولة، ماهر عبد الهادي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٢ ، ١٩٨٤م.
- السلوك الجنسي في مجتمع رأسمالي تبعي، فاطمة المرنيسي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٢م.
- سوسيولوجيا الهوية - جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٧م .

- سوشيولوجيا الثقافة والهوية، هارلمبسوهولبورن، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق _ سورية، ط ١، ٢٠١٠م .
- سياسة جديدة للهوية - المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، بيكو باريك، تر: حسن محمد فتحي، مراجعة محمود ماجد عبد الخالق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م .
- شرق وغرب رجولة وأنوثة، جورج الطرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط ٤، ١٩٩٧م.
- شفرات الجسد جدلية الحضور والغياب في المسرح، عواد علي، دار وائل للتوزيع والنشر، عمان - الأردن، ١٩٩٦م .
- صوت الأنثى- دراسات في الكتابة النسوية العربية، نازك الأعرجي، دار الأهالي، سوريا، ط ١، ١٩٩٧م.
- طائفية الدولة الإسلامية الجذور الأيديولوجية والسياق السياسي، حسن حسن، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، بيروت- لبنان.
- العقل والدين في تصوّرات المستنيرين الدينيين المعاصرين- تأملات نقدية في الركائز النظرية لتيار التنوير المعاصر، محمد جعفري، تر: حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
- العنف الأسري بين المواجهة والتستر، مجموعة باحثين، مركز رؤية للدراسات الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠١٠م .
- العنف الأسري دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول، عبد الله أحمد يوسف دار المحجة البيضاء، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
- العنف ضد المرأة أسبابه وأثاره وكيفية علاجه، سهيلة محمود بنات، دار المعتز للنشر، عمان، ط ١، ٢٠٠٠م .
- العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.
- فلسفة الجسد، جلال الدين محمد سعيد، دار أمية للنشر، تونس، ط ٢، ١٩٩٣م .
- الفلسفة الهوية والذات، مارتن هايدجر، تر: محمد مزيان، تقديم: محمد سبيلا، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٥م.

- فن تحليل الرواية- الأدب النسوي في الخليج العربي دنيانا مهرجان الأيام والليالي أنموذجاً للقصة القطرية دلال خليفة ، سهام محمد نعمان القواسي ،دار الكتب القطرية ، ٢٠١٣م.
- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي، تح : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، ط٨، ٢٠٠٥ م.
- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت -لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٩م.
- قراءات في المنظور السردى النسوي، حسين المناصرة، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط١، ٢٠١٣ م .
- الكتاب، سيبويه، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣، ١٩٨٨م.
- الكتابة ضد الكتابة ، عبد الله الغدامي، دار الآداب، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م.
- الكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم: رفيق العجم، تح : علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ، ط١، ١٩٩٦ م .
- الكليات-معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، إعداد عدنان درويش ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان ، ط٢، ١٩٩٨ م .
- لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٠٠هـ.
- لغة الجسد النفسية، جوزيف ميسنجر، تر: محمد عبد الكريم إبراهيم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط١، ٢٠٠٧م.
- لهجتنا المحلية، عائشة جمعة الرميثي مراجعة الطبعة لولوة عيسى الحميدي، المراجعة اللغوية رائد الحلاحلة، الاتحاد النسائي العام ، ط٢ .
- مئة عام من الرواية النسائية العربية، بثينة شعبان، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩ م .
- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة ،دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

- المخصص، ابن سيدة ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان .
- المدخل إلى فلسفة الجمال - محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية، مصطفى عبده، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٩ م .
- مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية - قراءة في سفر التكوين النسائي، حفناوي بعلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- المرأة التحرر الإبداع، خالدة سعيد، إشراف فاطمة المرينسي، الدار البيضاء، ١٩٩١ م .
- المرأة العربية في منظور الدين والواقع دراسة مقارنة، جمانه طه، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤ م .
- المرأة والكتابة سؤال الخصوصية أو بلاغة الاختلاف، رشيدة بن مسعود، أفريقيا الشرق، المغرب ، ١٩٩٤ م .
- المرأة واللغة -٢- ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨ م .
- المرأة واللغة، عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
- مسائل النص الروائي في السرديات العربية الخليجية المعاصرة ، الرشيد بوشعير ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة _ في ترويض النص وتقويض الخطاب، حفناوي رشيد بعلي، دروب للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- المسألة الثقافية - قضايا اللسان والهوية ، محمد العربي ولد خليفة ، دار تالة ، الأبيار ، الجزائر .
- مسألة الهوية - العروبة والإسلام والغرب، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦ م .
- مشكلة الوعي ووعي المشكلة ، مازن رسول محمد ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢ م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، تح : عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٧م.

- المصطلحات العربية الحديثة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، ط ٣، ٢٠٠٣ م .
- المطابقة والاختلاف - بحث في المركزية الثقافية، عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، فالح حنظل ، وزارة الإعلام والثقافة ، أبو ظبي، ١٩٧٧ م .
- المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، رجب عبد الجواد إبراهيم، تقديم محمود فهمي حجازي، راجعه عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- المعجم الفلسفي - الألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ١٩٨٢ م .
- المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- معجم لغة الفقهاء، محمد قلججي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- معجم مصطلحات عصر العولمة - مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، كتب عربية، ٢٠٠٣ م .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- المعرفة والسلطة، ميشال فوكو، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
- مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت ، لورانس غروسبيرغ، ميغان ،موريس، تر : سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- المقاومة الشعبية المسلحة في القانون الدولي العام ، صلاح الدين عامر، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٦ م

- المقدس والمدنس، مرسيا إلياد، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٨م.
- مقدمة في نظرية الأدب، تيري إيغلتن، تر: أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩١م.
- المؤسسة الدينية والسلطة السياسية من الولاء إلى المواجهة، ناجية الوريثي، قسم الدراسات الدينية، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٧م.
- موسيقى الحوت الأزرق - الهوية، الكتابة، العنف، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- النسوية في الثقافة والإبداع، حسين مناصرة، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.
- النسوية - قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، رياض القرشي، دار حضرموت، الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٠٨م.
- النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مراجعة: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- نظرة للدراسات النسوية، هند محمود وشيماء طنطاوي، تحرير: من حسن وأمل المهندس، المراجعة اللغوية: أحمد الدريني، ط١، ٢٠١٦م.
- النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- النظرية النسوية مقتطفات مختارة، ويندي كيه كولمار و فرانسيس بارتكوفيسكي، تر: عماد إبراهيم، مراجعة عماد عمر، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- النقد الأدبي الأمريكي - من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، فنسنت ليتش، تر: محمد يحيى، مراجعة: ماهر شفيق فريد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.
- الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية، عبد الحكيم أحمين، دار الأمان، الرباط - المغرب، ٢٠١٧م.
- الهوية، اليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط١، ١٩٩٣م.

- الهوية - سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين والحداثة اللغة، عبد الله حمودي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٥م.
- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية العراق، ديوان الوقف السني، بغداد، ط ١، ٢٠٠٩م.
- الهوية الثقافية والنقد الأدبي، جابر عصفور، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠١٠م.
- الهوية والاختلاف - المرأة والكتابة والهامش ، محمد نور الدين أفاية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م .
- الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، سعيدة بن بوزة ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا - دمشق، ط ١، ٢٠١٦م.
- الهوية والسرد- دراسات في النظرية والنقد الثقافي، نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ٢، ٢٠١٦م .
- الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، عبد العزيز بن عثمان التويجري ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ، إيسيسكو - الرباط ، المملكة المغربية ، ط ٢، ٢٠١٥م .
- الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مجموعة من الباحثين، تحرير وتقديم رياض زكي قاسم ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٣م.
- الهوية والمواطنة البدائل المستلبة والحداثة المتعثرة، عبد الحسين شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٧م .

ثالثاً: المجلات والدوريات:

- أزمة الخليج الجذور والنتائج، وليد الخالدي، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٢، ع ٥٤، شتاء، ١٩٩١م.

- الأزياء الشعبية العربية- قواسم مشتركة- أزياء المرأة التقليدية في الإمارات رمز الهوية والأصالة، فاطمة المغني، مجلة المراد، ع ٥٤ ، ٢٠١٧ م .
- الإعلام في زمن الحروب والأزمان- التلاعب والتضليل والنشوية، محمد قيراط، مجلة التواصل، ع ١٦، جوان ٢٠٠٦م.
- انشطار الذات وسؤال الهوية في رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح ، دليلة مروك ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع ٤٧ ، مج ١ ، ٢٠١٧ م .
- البدون في الخليج ملف معقد وحلول مؤجلة، جريدة الشاهد، الكويت، ع ٥٤٠، الاثنين ١ أغسطس ٢٠١٦م.
- البدون في الكويت وحقهم في التعليم، إبراهيم دشتي ورمزي سلامة، الأمانة العامة، إدارة البحوث والدراسات، قسم الدراسات الاجتماعية، مجلس الأمة الكويتي، ٢٠٠٤م.
- تمثيلات الهوية النسوية في رواية "دنيا" لعلوية صبح ، محمد بوعزة ، مجلة تبیین ، مج ٥ ع ٢٠، ٢٠١٧م.
- تمظهرات الكتابة في الخطاب الروائي النسوي المغربي، فريزة رافيل، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ع ٢٣ ، ٢٠١٦م.
- الحراك الشعبي في قطر ١٩٥٠-١٩٦٣ دراسة تحليلية، إبراهيم شهاد، الروزنامة، ع ١٠، ٢٠١٢م.
- دراسات التابع ، عبد الله إبراهيم ، مجلة جدل ، ع ٣-٤ ، السنة الأولى ، ٢٠٠٦ م .
- دراسات مدعو المهدوية- مهدي السلفية التكفيرية وحركة جهيمان العتيبي، حسين سامي شبر، مجلة الانتظار، ع ٥٥، ربيع الأول.
- دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي ، مرضية أياذ ، إضاءات نقدية ، السنة الثانية ، ع ٨ ، ٢٠١٢ م .
- الذات والجسد في الفكر ما بعد الحداثي، عرض ونقد تيري إيغلتن، تر: ثائر ديب ، الآداب الأجنبية، دمشق- سوريا، ع ١٠٥، شتاء، ٢٠٠١ م .
- الذهب زينة وخزينة، فوزية عزت، مجلة التراث، تصدر عن نادي تراث الإمارات، ع ١٣، ديسمبر، ١٩٩٩ م .

- الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة، عبد الله إبراهيم، مجلة علامات، مج ٢٠٠٢، ع ١٧، المغرب ، الدار البيضاء.
- السرد وتشكيل الهوية - قراءة في رواية البحث عن العظام للطاهر جاووت، هنية جوادي، مجلة المخبر جامعة بسكرة، الجزائر، ع ١٣ ، ٢٠١٧ م .
- سيميائية الجسد في رواية "تلك المحبة" للكاتبة الحبيب السايح، بدره شريط، كتب كراسك، ٢٠١٦ م .
- ضحايا العنف الأسري عنف الزوج على الزوجة- دراسات حالات فردية في مدينة بغداد، فهيمة كريم رزيجالمشهداني، بحث مقدم إلى جامعة بغداد، كلية الآداب ، قسم علم الاجتماع.
- عمليات تحويل الجنس في دولة الإمارات العربية المتحدة : دراسة تحليلية مقارنة ، منال مروان منجد ، مجلة جامعة الشارقة ، للعلوم القانونية ، مج ١٦ ، ع ٢ ، ٢٠١٩ م .
- المثقف والسلطة، جمال جاسم أمين، الأديب، ع ١٢٤ ، ٢١/٦/٢٠٠٦ م .
- المجتمع والسلطة- إشكالية الاستمرار والوحدة، رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، ع ٣٣، ١٩٨٣ م.
- مفهوم السلطة السياسية- مساهمة في دراسة النظرية السياسية، رعد عبد الجليل، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، مج ١٠، ع ٣٧، ٢٠٠٨ م.
- المؤامرة في التاريخ- حقيقة أم خيال؟، إبراهيم علوش، طلقة تنوير، مجلة ثقافية للاتحاد القومي العربي، ع ٤٢، تشرين الثاني ، ٢٠١٧ م.
- الهويات المنسلخة- العراق اختياراً، وليد شاكر نعاس، عامر صلال راهي، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ع ٢، مج ١٢، ٢٠١٩ م.
- الهوية السردية، المفهوم والتجلي، محمد فليح الجبوري، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٢٠ م.
- الهوية والتمثل والصراع في رواية يا مريم لسنان أنطون ، محمد فليح الجبوري ، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، مج ١١، ع ١، ٢٠١٨ م .

رابعاً: الرسائل والأطاريح

- الاغتراب في رواية طشاري لإنعام كاجه جي، أسماء توبة، رسالة ماجستير في الأدب واللغة العربية ، الجزائر ، ٢٠٠٧م .
- بناء مقياس مقنن لسمات شخصية طلبة المرحلة الإعدادية في العراق، علي مهدي كاظم، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق، ١٩٩٤م.
- التمرد في السرد السير ذاتي النسائي العربي المعاصر سيرة نوال السعداوي أنموذجاً ، زاوش رحمة ، رسالة ماجستير في الأدب المعاصر ، جامعة السانيا - وهران ، الجزائر ، ٢٠١٢م.
- خطاب الجسد في رواية الرعشة أنموذجاً لأمين الزاوي ، ديهيةتوابتيةوشانز عروي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وأدب العربي ، جامعة عبد الرحمن، ٢٠١٥م .
- دلالات الألوان في شعر نزار قباني ، أحمد عبد الله محمد حمدان ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين ، ٢٠٠٨م .
- الذات في الكتابة النسوية - أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق _دراسة نفسية أسلوبية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة عبد الرحمن ميرة _ بجاية ، الجزائر، زهرة تعزبين والويزتشاريخ ، ٢٠١٤م .
- السرديات النسوية - دراسة تطبيقية على روايات رجاء عالم، فاطمة بنت فيصل العتيبي، رسالة ماجستير في النقد الأدبي الحديث، جامعة الملك سعود بالرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ .
- سيميائية الجسد في رواية "أحلام مريم الوديعه" لواسني الأعرج، إيمان توهامي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير - بسكرة، الجزائر، ٢٠١٣م .
- طقوس الزواج وتقاليد منطقة أوزلاف أنموذجاً، دراسة أنثروبولوجية، عديلة عجير، نسيمه باشا، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي ، جامعة عبد الرحمن ، ميرة _ بجاية ، ٢٠١٤م .
- قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية ، نبيلة فايز السيوف، رسالة ماجستير في اللغة والأدب، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م .

- الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، بايزيد فطيمة الزهرة، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، الجزائر، ٢٠١٢م .
- المركز والهامش في الرواية النسوية العراقية ٢٠٠٣ - ٢٠١٠م، ابتهاج كاظم أحمد الطائي، رسالة ماجستير، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٩م.
- النسق المضمّر في الرواية القطرية، مرسل خلف الدواس، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة قطر كلية الآداب والعلوم، ٢٠١٩م .
- الهوية الأنثوية في الرواية النسوية " امرأة من طابقين " لهيفاء بيطار أنموذجاً، آسيا بن زروال و نرجس غرنوق، رسالة ماجستير تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، الجمهورية الجزائرية، جامعة العربي بن مهيدي _ أم البواقي، ٢٠١٨م .
- واقع إشكالية الهوية العربية: بين الأطروحات القومية والإسلامية - دراسة من منظور فكري، محمد عمر أحمد أبو عنزة، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، ٢٠١١م .

خامساً: الشبكة العنكبوتية :

- المجتمع الأسود والعنصرية بأشكالها المختلفة في الخليج، وفاء العم، www.almayadeen.net.
- من فسيفساء أفاميا المفقودة، لوحة المخلوق المخنث هيرمافروديتوس والفلسفة الأفلاطونية، تيسير خلف، <https://www.facebook.com>.

Abstract:

The identity of a community is linked to its surrounding circumstances. In a time full of cultural developments and political, religious and social challenges that swept the whole world, Identity has witnessed multiple struggles on the personal and collective levels.

Since each society has its own inherent, deeply rooted identity which defines it, this research discusses Identity through novels, as novels are considered one of the most valuable branches of literature that expresses the distinction of a community's identity. Novels provide a perspective that reveals the nuanced and unseen worlds of a society. Novels are a type of narration that is most related and linked to reality and are, therefore, fertile intellectual reservoirs in the representation of Identity. Hence the choice to study Identity in the Arabian Gulf Feminist novel; in order to view the Arab environment from the perspective of a group of countries that share an almost identical social, cultural, political and economic pattern.

This study, entitled "Identity in the Gulf Feminist Novel between 2010–2019," aims to deliver a plain and clear picture of Identity within the Gulf Feminist novel by delving into the narrative.

This study specifically discusses Identity within in a narrative of a novel written by a woman from the Arabian Gulf. This is due to the fact that women from the Gulf managed to assert a notable presence in the domain of writing novels in the Arab World. Many names that presented distinguished creative works have emerged along the years, as feminist novels are an important stream that is worthy of study in the creative literary works. On the other hand, the Gulf Feminist novel

allows us to reflect on the issues and topics that it highlights allowing us to identify the identity of a society from a feminist perspective.

There is no doubt that this study differs from previous studies, due to the distinction of the Gulf society, which is nurtured by implicit social and religious patterns that contribute to defining its view of women. Unlike other Arab societies that teeter between closedness and openness depending on the environment, and the intellectual and cultural facts that these societies believe in, the content of the novels discussed in this study focuses on societal issues that put women and their relationship with the Other at the forefront.

Al-Muthanna University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic language



(Identity in the Gulf Feminist Novel (2010-2019))

**A thesis submitted to
The Council of the College of Education for Human Sciences
- Al-Muthanna University and is part of the requirements for
obtaining a Master's degree in the Arabic language**

By:

Manal Saad Dawas

Supervised by:

Prof. DR

Fawzia Laios Ghazi Al- Jabri

2020

1441